Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقر
وزارة التعليـم العالـي والبـ
جامعـــة وهـران

كلية العلوم الاجتماعية
قسم الفلسفة

أطروحـــة لنيـل درجـة دكتـوراه دولـة فـي الفلسفـة

# العقلانية الغربية وتطبيقاتها في الفكر العربي المعاصر
# الدرس الابستيمولوجي نموذجا

**إعداد الطالب:**
الزاوي عمر

**إشراف الأستاذ:**
أ.د البخاري حمانه.

**أعضاء لجنة المناقشة**

| | | |
|---|---|---|
| د- أنور حمادي | جامعة وهران | رئيسا |
| أ.د- البخاري حمانه | جامعة وهران | مشرفا ومقررا |
| أ.د- حسن حنفي | جامعة القاهرة | مناقشا |
| د- عطاء الله زرارقة | جامعة الأغواط | مناقشا |
| د- عبدالقادر بوعرفة | جامعة وهران | مناقشا |

**السنـــة الجامعيـــة 2007/2006.**

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.
Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features

بسم الله الرحمن الرحيم

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

# الإهـــــــــــداء

- إلى زوجتي .. حبا و وفاء
- إلى أبنائي .. حبا و أملا
- إلى والدي الكريمين .. حبا و عرفانا

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

"حتى لا يقال لي إنني لم أقل شيئا جديدا،

فإن ترتيب المواد شيء جديد".

(باسكال)

و قال العماد الأصفهاني : " إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، و لو زيد كذا لكان يُستحسن، و لو قُدِّم هذا لكان أفضل، و لو تُرك هذا لكان أجمل. و هذا من أعظم العبر، و هو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.
Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features

# مقدمـــــــــــة

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



**مقدمة:**

جـــاء إختيارنـــا لهـــذا الموضـــوع مشـــروطا بشـــروط ذاتيـــة و موضـــوعية فـــي آن واحـــد. و لا شـــك أن اختيـــار أي موضـــوع للبحـــث العلمـــي يقـــع لا محالة تحـــت وطـــأة تلـــك الشـــروط و إكراهاتهـــا.. و فـــي حالتنـــا كـــان موضـــوع "العقلانيـــة".. عنوانـــا عريضـــا و حاضـــنا لانشـــغالات ثقافيـــة و فكريـــة وعلميـــة عاشت معنـــا منـــذ فتـــرة طويلـــة..أمكـــن القـــول أنهـــا بـــدأت حتـــى قبـــل مرحلـــة الدراســـة الجامعيـــة.. فـــالميول الثقافيـــة كانـــت تـــدفعنا دفعـــا إلـــى التوجـــه نحـــو الاهتمـــام أكثـــر بقضـــايا العقلانيـــة بمعانيهـــا اليوميـــة و العاديـــة للكلمـــة. و قـــد كان ذلـــك يظهـــر و يتجلـــى فـــي عمـــوم الاختيـــارات التـــي كنـــا نتجـــه نحوهـــا، ونرتاح إليها، و نقتنع بها..

فكانـــت تلـــك بعـــض الشـــروط الذاتيـــة، التـــي كانـــت تقـــف وراء اهتمامنـــا بقضـــايا العقلانيـــة فـــي الثقافـــة ثـــم فـــي البحـــث العلمـــي.. إنـــه، إذن، إختيـــار وتوجه خاص.

أمـــا مـــن الناحيـــة الموضـــوعية و العلميـــة، فـــإن موضـــوع "العقلانيـــة"، موضـــوع لا يشـــيخ ولا يُســـتهلك، كيـــف ذلـــك، وهـــو العنـــوان المقتـــرن دومـــا بـــأكبر و أكثـــر الإنشـــغالات والأفعـــال والنشـــاطات الإنســـانية تجريـــدا و عمقـــا و حكمـــة، و التـــي لـــم تكـــن ســـوى الفلســـفة و العلـــم، و مـــا ارتـــبط بهمـــا مـــن نشاطات فكرية أخرى.

العقلانيـــة، كمـــا ســـنرى علـــى مـــدى صـــفحات البحـــث، هـــي الفلســـفة ذاتها، و العلـــم ذاتـــه. بـــل إن أشـــكالا أخـــرى مـــن الممارســـة العقلانيـــة كانـــت،

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



حتمـــا، هـــي السـمة البـــارزة فـــي مجـــالا
والاقتصاد والاجتماع و القانون...إلخ.

إن أهميـــة الموضـــوع و راهنيتـــه متأتيـــة، حتمـــا، مـــن كـــون العقلانيـــة ارتبطت منـــذ البدايـــة بـــذلك الفعـــل الفكـــري والعملـــي المنـــاقض والمضـــاد لكـــل أشـــكال و أســـاليب الفكـــر الميثولـــوجي والســـحري واللامعقـــول بشـــكل عـــام.. ولكنهـــا متأتيـــة أيضـــا مـــن أن العقلانيـــة لازلـــت هـــي بـــؤرة الفكـــر النقـــدي والفلســـفي فـــي أبعـــاده المختلفـــة و المتنوعـــة، خاصـــة تلـــك المحســـوبة علـــى مانســـميه بالاتجاهـــات العلميـــة فـــي الفكـــر و الفلســـفة.. لا بـــل إن العقلانيـــة هـــي الأطروحة النقيضة، حتـــى لـــذلك الفكـــر و الفلســـفة التـــي تناصـــب العـــداء للعقـــل و العقلانية .فنيتشـــه عنـــدما باشـــر فلســـفة جديـــدة و أصـــيلة فـــي الفكـــر الغربـــي، فعلى ذلك انطلاقا مـــن مبـــارزة قويـــة أقامهـــا مـــع العقـــل الغربـــي منـــذ اليونـــان إلى غاية لحظـــة الفلســـفة الغربيـــة الحديثـــة و المعاصـــرة.. فكانـــت مبـــارزة مـــن أجـــل دحـــض العقـــل و تســـفيهه لجهـــة إبـــراز تهافتاتـــه و مطباتـــه.. و لكنهـــا مبارزة، حتـــى و هـــي تقـــوم بـــذلك، كانـــت تفعلـــه فـــي شـــكل حـــوار و منـــاظرة قوية مع العقـــل، فلـــم تعـــدُ فـــي النهايـــة ســـوى خطابـــا فلســـفيا نقـــديا للعقـــل، أي خطابا للعقل حول العقل ...

إن عنـــوان الموضـــوع، و إن بـــدا مشـــكّلا ومـــوجزا، إلـــى حـــد مـــا، لإشـــكالية البحـــث، ومقاصـــده وأهدافـــه، فهـــو فـــي واقـــع الأمـــر، يُضـــمر أكثـــر مما يفصح، و لعل أبـــرز مـــا يقبـــع بـــين ثنايـــاه هـــو ذلـــك الهـــدف الـــدفين، مـــن أجل إعادة تأسيس و بنـــاء فكـــر عربـــي جديـــد، يمـــتح وينهـــل، بـــوعي و إبـــداع، مـــن إنجـــازات العقـــل الفلســـفي و العلمـــي، منـــذ لحظـــة اليونـــان-(و قـــد أبلـــى أجدادنا بـــلاء حســـنا فـــي اســـتلهام وتمثـــل الـــدرس الفلســـفي اليونـــاني، و أبـــدعوا

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



فـــي تـــرويض مفاهيمـــه و تقنياتـــه..) – إلـــى والمعاصرة ...

إن إشـــكالية بحثنـــا لا تهـــدف إلـــى طـــرح مشـــكل، و الإجابـــة عنـــه، بقـــدر ما تطمـــح إلـــى إعـــادة صـــياغة الســـؤال الفلســـفي فـــي أبعـــاده العقلانيـــة الأولـــى وإلـــى غايـــة تخـــوم الـــدرس الابســـتيمولوجي المعاصـــر، صـــياغة تحـــاول الكشـــف عـــن مكنونـــات ذلـــك الســـؤال و مفاهيمـــه وتقنياتـــه، دون أن تـــدّعي تقـــديم أيـــة إجابـــة؛ فالســـؤال الفلســـفي – كمـــا ســـنرى و كمـــا نعلـــم جميعـــا– لا يقبل أية إجابة، اللهم إلا إذا كانت في صيغة سؤال جديد.

وفـــي الفلســـفة لا تطـــرح الإشـــكاليات، كمـــا لـــو كانـــت تطـــرح فـــي علـــم دقيق، إننا مقتنعـــون أن الفلســـفة "عـــود علـــى بـــدء"، وهـــي بـــذلك تضـــطرنا كـــل مـــرة، إلـــى صـــياغة جديـــدة للعقـــل.. وهـــي قناعـــة حرصـــنا، طـــوال فصـــول البحث على إبرازهـــا، و الـــدفاع، بشـــكل مـــا، عنهـــا، معتمـــدين فـــي ذلـــك علـــى مـــنهج تحليلـــي و نقـــدي، يبـــرز محطـــات العقـــل و يناقشـــها، ثـــم يعـــود إلـــى إختبـــار الحـــوار و المناقشـــة علـــى ضـــوء تحـــولات العقـــل والعقلانيـــة فـــي أبعادهـــا الفلســـفية والابســـتيمولوجية. وهـــي تحـــولات، حاولنـــا علـــى ضـــوءها المغامرة للكشـــف عمـــا دعونـــاه بـــ"التطبيقـــات" فـــي الفكـــر العربـــي المعاصـــر، مـــدفوعين دفعـــا بـــذلك الهـــدف الـــدفين، مـــن أجـــل إعـــادة التأســـيس والبنـــاء. فسرنا على نفـــس الأســـلوب فـــي التحليـــل والنقـــد، مشاكســـين، فـــي ذلـــك، بعـــض قضايا الفكر العربي المعاصر من فلسفة و عقلانية و ابستيمولوجيا...

وفـــي ذلـــك قســـمنا البحـــث إلـــى خمســـة فصـــول و مـــدخل عـــام، فجـــاء هيكله على الشكل التالي:

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



– مـــدخل عـــام: أردنـــاه تمهيـــدا نظريـــا، و عت

المفـــاهيم و لـــيس كلهـــا، فعمـــدنا إلـــى مناقشـــة – و لـــيس التعريـــف فقـــط – مفـــاهيم العقـــل و العقلانيـــة و اللامعقـــول، فـــي إرتباطاتهـــا و تجاذباتهـــا، مـــع إيحاء بتأجيـــل النظـــر فيهـــا، جملـــة و تفصـــيلا، إلـــى حـــين، أي عبـــر الفصـــول و في ثناياها. و هو الأمـــر نفســـه الـــذي عمـــدنا إلـــى تطبيقـــه علـــى مفـــاهيم مثـــل الفلسفة و العلم و الابستيمولوجيا...

– الفصـــل الأول: لأن الفلســـفة اليونانيـــة هـــي مهـــد العقـــل و العقلانيـــة، بـــالمعنى الـــذي وصـــلنا، فقـــد ارتأينـــا أن تخصـــيص فصـــل كامـــل لهـــا، هـــو واجـــب معرفـــي، و ضـــرورة، لا مندوحـــة عنهـــا، علـــى الأقـــل فـــي بحثنـــا هـــذا وخصوصـــية ترتيـــب مـــواده. فبحثنـــا فـــي هـــذا الفصـــل نظريـــة المعرفـــة قبـــل أفلاطـــون، و عرجنـــا علـــى لحظـــة ســـقراط الفلســـفية، منهـــا إلـــى الفلســـفة والعلـــم عنـــد أفلاطـــون. أمـــا أرســـطو فكـــان لحظـــة عقلانيـــة مكنـــت الفلســـفة والعلم، على السواء، من أجل ترتيب علاقة احتواء، لجهة العقل وفائدته.

– الفصـــل الثـــاني: أمـــا فـــي هـــذا الفصـــل، فقـــد حللنـــا حيثيـــات و شـــروط قـــيم العلـــم الحـــديث، و كيـــف بـــدت الفلســـفة معـــه مضـــطرة إلـــى إعـــادة صـــياغة قولها علميـــا و فلســـفيا، و ذلـــك عبـــر قطبيهـــا التقليـــديين (العقلـــي و التجريبـــي)، فعمـــدنا إلـــى التنـــاول بالـــدرس و التحليـــل أســـماء مثـــل: ديكـــارت و ســـبينوزا، وليبنتز، ولوك، و بركلي، و هيوم...

– الفصل الثالـــث: جـــاء هـــذا الفصـــل علـــى غيـــر الفصـــول الأخـــرى، مطـــولا، و جامعا، لما يقـــارب فصـــلين كـــاملين، فـــي فصـــل واحـــد، هـــذا إذا نظرنـــا إلـــى المسألة حجمـــا و عـــددا، و لكـــن موضـــوع هـــذا الفصـــل لـــه مـــن الخصوصـــية والأهمية، ما جعلنـــا نُســـهب فـــي القـــول فيـــه. و تعمـــدنا أن نفصّـــل القـــول بـــين

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



ثناياه عـــن الفلســـفة الغربيـــة منـــذ أواخـــر القـــرن الأول من القـــرن العشـــرين. اقتناعـــا منـــا أن هنـــاك خيطـــا رفيعـــا يختـــرق هـــذه المســـافة الزمنيـــة، ويجعـــل منهـــا وحـــدة واحـــدة، لا يمكـــن ســـبر أغوارهـــا، وإدراك معـــاني القـــول الفلســـفي والابســـتيمولوجي فيهـــا، إلا كامتـــداد بـــدأه كـــانط، و أغنـــاه هيغـــل، ليخـــرج مـــن معطفيهمـــا، مـــا نســـميه " الـــدرس الابســـتيمولوجي المعاصـــر" الـــذي أصـــبح ممكنـــا بفضـــل تطـــور العلـــم الرياضي و الفيزيائي بشكل خاص.

- الفصـــل الرابـــع: انتقلنـــا فيـــه إلـــى مســـاءلة الفلســـفة فـــي الفكـــر العربـــي المعاصـــر، عبـــر ســـؤال الفلســـفة نفســـه، و تســـاءلنا عـــن إمكانيـــات و شـــروط قيـــام "فلســـفة عربيـــة معاصـــرة". و خصصـــنا القول،بعـــد ذلـــك،عن العقلانيـــة فـــي صـــياغتها العربيـــة المعاصـــرة، وحظـــور الـــدرس الابســـتيمولوجي المعاصر فيها.

- الفصـــل الخـــامس: و اســـتمرارا لمـــا بـــدأناه فـــي الفصـــل الســـابق، باشـــرنا الحديث عـــن "الفلســـفة العربيـــة المعاصـــرة" مـــن خـــلال نمـــوذج فلســـفي عربـــي فـــذ ، متمثـــل فـــي الفيلســـوف زكـــي نجيـــب محمـــود وفلســـفته "الوضـــعية المنطقيـــة"..حاورنـــا نموذجـــه وتجربتـــه فـــي اســـتلهام الـــدرس الابســـتيمولوجي المعاصـــر. و ختمنـــا القـــول بالحـــديث عـــن مـــا أســـميناه بـــ"الأســـلوب العربـــي في الابستيمولوجيا" مـــن خـــلال التعامـــل المغـــاربي مـــع إنجـــازات ذلـــك الـــدرس و مفاهيمه و أدواته.

- خاتمـــة: جعلناهـــا أفقـــا مفتوحـــا، علـــى مصـــراعيه، أمـــام البحـــث و النظـــر، من أجل أن نباشـــره مســـتقبلا، إيمانـــا منـــا، أن الإنجـــاز لـــم يكتمـــل بعـــد، ويبقـــى الكثير مشرعا للدراسة و التفصيل..

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



أما الصـــعوبات التـــي واجهتنـــا، فهـــي كـ

بحث و دراســـة علميـــة، مـــن اختمـــار للفكـــرة إلـــى تحديـــدها و حصـــرها، إلـــى مراجعتهـــا كـــل مـــرة، و انتهـــاء بعمليـــة التحريـــر و الترتيـــب. و هـــي عمليـــة فيهـــا مـــن الجهـــد و الإجتهـــاد، مـــا يجعـــل المـــرء، غيـــر راض، و ميّـــال، كـــل مـــرة، إلـــى المراجعـــة و التغييـــر و التبـــديل، فـــي ظـــل غيـــاب الكثيـــر مـــن المراجع، التـــي تفـــي بـــالغرض أكثـــر مـــن غيرهـــا، و يفرضـــها منطـــق البحـــث و ضروراته...

و مـــع ذلـــك كـــان لابـــد مـــن التغلـــب علـــى الصـــعاب و المعوقـــات، لأن الطموح أكبر من أي عائق و حاجز ...

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

# مدخـــــــــل عام

## في العقلانية و المفاهيم المجاورة

**أولا: في العقلانية و العقل .. و اللامعقول**

**ثانيا: في الفلسفة و العلم .. و الابستيمولوجيا**

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



نبـــدأ فـــي هـــذا المـــدخل محاولـــة التفكيـ

النظـــر و الفهـــم، و هـــي عمليـــة تعتمـــد أســـلوب التنظيـــر حـــول موضـــوع أو موضـــوعات بعينهـــا، قصـــد تحليـــل قضـــاياها و إشـــكالياتها. و هـــي محاولـــة تنطلق من كشـــف و إماطـــة اللثـــام عـــن أهـــم و أبـــرز و أخطـــر مكـــون و نـــاظم لتلك العمليـــة، ألا و هـــو المفهـــوم. فـــلا نكـــاد نصـــادف أو نقـــرأ نصـــا أو متنـــا- فـــي مســـتوى معـــين و مقبـــول مـــن التجريـــد و التأمـــل و الصـــياغة النظريـــة – إلا و نـــراه يتكـــأ علـــى جملـــة مـــن المفـــاهيم و الألفـــاظ المفتاحيـــة المنحوتـــة نحتـــا، حتـــى لأنـــه لا يســـتقيم لنـــا فهـــم و لا إدراك للمعنـــى و المقصـــد، دونمـــا تلـــك المفـــاهيم العـــابرة للخطـــاب، و الناظمـــة لهيكلـــه و إنســـجامه، و بالتـــالي معانيه و مقاصده.

إن اشـــتغال النظـــر و الفهـــم لا يســـتقيم و لا يكتمـــل بـــدون قوالـــب وأدوات، هـــي، فـــي مجـــال التفكيـــر و التحليـــل و التنظيـــر، المفـــاهيم بعينهـــا، ومعرفتهـــا و فهمهـــا و تعريفهـــا و تحليلهـــا، هـــو إنجـــاز للخطـــاب و صـــياغة لـــه بكـــل المقـــاييس، حتـــى أنـــه "يكـــاد يجمـــع البـــاحثون علـــى أن معرفـــة طبيعـــة المفهـــوم و مجالـــه و قصـــدَه هـــي مـــن بـــين المســـائل و القضـــايا التـــي تشـــتغل بها كل فلســـفة منظمـــة و عقلانيـــة، و يشـــتغل بهـــا كـــل باحـــث لـــه اســـتراتيجية محددة و آفـــاق مرســـومة. فـــلا عجـــب، إذن، إذا كانـــت المفـــاهيم بـــؤرة للتفكيـــر و التحليل و التنظير في أنواع البحوث."[1]

و بقليـــل مـــن الانتبـــاه منـــا، ســـنلاحظ، لا محالـــة، أن أي بحـــث يصـــفف ويـــنظم و مجموعـــة مـــن الأفكـــار، و المعلومـــات و الإشـــكاليات و القضـــايا، يقـــوم بـــذلك بواســـطة مجموعـــة مـــن المفـــاهيم، التـــي تختـــرق جســـد البحـــث

[1]– محمد مفتاح: "ما المفهوم؟" في مواقف جماعي: "المفاهيم تكونها و سيرورتها" منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط 2000، ص 11

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



اختراقـــا، و توجـــه مصـــيره، و تـــنفخ الـــروح فـ

بعيد من هنـــا، فـــإن مـــا نحـــن بصـــدده مـــن صـــياغة لهـــذا البحـــث الـــذي بـــين أيدينا، يعتمد، كغيره، و ككـــل بحـــث آخـــر، علـــى مجموعـــة مـــن المفـــاهيم التـــي يـــراد رصـــدها و اقتفـــاء لحظاتهـــا التاريخيـــة و المعرفيـــة. و هـــو لا يـــدّعي نحتهـــا مـــن جديـــد، أو حتـــى إعـــادة صـــياغتها، كـــل مـــا هنالـــك أن البحـــث لا يســـتقيم و لا يبـــرر بـــدون تلـــك المفـــاهيم. و إذا كانـــت "الفلســـفة، كـــنمط، مـــن المعرفـــة، تقـــوم علـــى مفـــاهيم لا علـــى تـــأثرات أو صـــور. و يشـــهد التـــراث الفلسفي منـــذ القـــديم بـــذلك." [2] فـــإن " المعرفـــة العلميـــة اليـــوم معرفـــة مفـــاهيم أكثر مما هـــي معرفـــة أشـــياء. و تبـــدوا المفـــاهيم منتظمـــة فـــي سلاســـل تتصـــل أحيانا و تنفصـــل أحيانـــا أخـــرى، و تبـــدو منتجـــة لبعضـــها بعضـــا و كأنهـــا فـــي غفلة تامة مما يوجـــد حولهـــا، و كأنهـــا فـــي اســـتقلال تـــام عـــن كـــل ســـلطة دون سلطتها." [3]

و هكذا، إذن، فإن المفـــاهيم هـــي مفتـــاح الفلســـفة و العلـــم معـــا، بـــل هـــي عتبـــة كـــل خطـــاب يـــروم المحاججـــة و المعقوليـــة. و بحثنـــا هـــذا حـــول العقلانيـــة و الـــدرس الإبســـتيمولوجي، لا يشـــذّ عـــن ذلـــك الســـياق و لا يخـــرج عنـــه، بـــل هـــو فـــي الأســـاس، اشـــتغال نقـــدي تحليلـــي و تـــاريخي، حـــول مجموعـــة مـــن المفـــاهيم، كمـــا تجلـــت فـــي شـــكل أفكـــار و نظريـــات فلســـفية وعلمية، عبر لحظات عديدة، معرفية و تاريخية.

و عليـــه و انطلاقـــا ممـــا ورد أعـــلاه، نـــأتي هنـــا إلـــى مناقشـــة المفـــاهيم الأساسية الـــواردة فـــي البحـــث، و المكونـــة لهيكلـــه، فهـــي التـــي تبـــرر وجـــوده، و تعطيه قيمته الحقيقية.

---

[2]– الطاهر و عزيز: " المفاهيم طبيعتها و وظيفتها" في مجلة المناظرة العدد الأول 1989 . الرباط، ص 19
[3]- عمر الشارني : " المفهوم في موضعه أو في العلاقة بين الفلسفة و العلوم" . دار الجنوب . تونس 1992 ص 16

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



**أولا: في العقلانية و العقل..و اللامعقول:**

نقرأ في معجمي أندريه لالاند و جميل صليبا عدة معاني لمفهوم العقلانية أهمها "القول أن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية لا عن التجارب الحسية، لأن هذه التجارب لا تفيد علما كليا. و المذهب العقلي بهذا المعنى مقابل للمذهب التجريبي الذي يزعم أن كل ما في العقل فهو متولد من الحس و التجربة. (...) القول أن وجود العقل شرط في إمكان التجربة، فلا تكون التجربة ممكنة إلا إذا كان هناك مبادئ عقلية تنظم معطيات الحواس. (...) الإيمان بالعقل وبقدرته على إدراك الحقيقة. و سبب ذلك في نظر العقلانيين أن قوانين العقل مطابقة لقوانين الأشياء الخارجية، و أن كل موجود معقول، و كل معقول موجود..."[4].

و إذا نظرنا إلى العقلانية كمذهب، فإنه يمكن القول أنها ترجع تاريخيا إلى القرن السابع عشر على الأقل، " و المذهب العقلي هو القول: أن كل ما هو موجود فهو مردود إلى مبادئ عقلية، و هو مذهب ديكارت و سبينوزا، و ليبنتز، و فولف، و هيجل..."[5].

و يمكن التميز بين نوعين من العقلانية: عقلانية مطلقة، تعتبر أن العقل يمتلك بشكل مسبق و قبلي مجموعة من المعارف، سابقة عن كل تجربة (مثُل أفلاطون، الأفكار الفطرية الديكارتية ...إلخ). و هناك عقلانية نسبية و تعتبر العقل شرطا أساسيا للمعرفة، و لكنه ليس الشرط

---

[4]- أنظر جميل صليبا: " المعجم الفلسفي" ج II ، دار الكتاب اللبناني بيروت 1982، ص 90، 91

[5]- أنظر المرجع نفسه. ص 91، و أنظر مادة "عقلانية" في:
André Lalnde :vocabulaire philosophique .Ed PuF.Paris .1983.P889.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الكافي. بـــدون العقـــل التجربـــة ليســـت منتظمـــة هي مصدر معارفنا (نظرية كانط)[6].

إلا أن العقلانيـــــة تســـــتعمل، أيضـــــا، بمعنـــــى تقنـــــي أكثـــــر و فلســـــفي محض [7]، ذلـــك أن "الحـــديث عـــن العقلانيـــة فـــي الفكـــر الإنســـاني هـــو حـــديث عن الفكر الفلسفي برمتـــه منـــذ اليونـــان إلـــى حضـــارة الإســـلام إلـــى ديكـــارت و كانط و هيغـــل حتـــى عصـــرنا الحاضـــر و لـــذلك فقـــد تعـــددت صـــور العقلانيـــة بـــاختلاف الحضـــارات و المـــذاهب و الاتجاهـــات." [8]. و بتعبيـــر آخـــر فـــإن "الفلســـفة و العقلانيـــة رفيقـــا درب، لـــم تكـــن الأولـــى لـــولا الثانيـــة، حتـــى أن أرسطو يجعل الفلسفة تبـــدأ مـــع طـــاليس أي يـــوم تخلـــى الإنســـان علـــى التفســـير الميتولـــوجي للظـــواهر الطبيعيـــة و حـــاول أن يفســـرها تفســـيرا علميـــا أي عقلانيا حين بحث عن علتها الطبيعية المباشرة." [9]

و لعـــل هـــذا المعنـــى الأخيـــر هـــو الـــذي يلائـــم الفهـــم و المعنـــى الـــذي نعطيـــه للعقلانيـــة فـــي بحثنـــا. فالعقلانيـــة و إن تأخـــذ معـــاني متنوعـــة، و تتعـــدد صـــورها بـــاختلاف المـــذاهب و الاتجاهـــات، فهـــي كفعـــل و نشـــاط تـــرتبط بالفلســـفة و العلـــم ارتباطـــا وثيقـــا، و بـــدونهما فهـــي تصـــبح أي شـــيء آخـــر ماعدا "العقلانية".

وانطلاقـــا مـــن هـــذا الفهـــم النســـبي و التقنـــي للعقلانيـــة، فإنـــه يمكـــن الإقـــرار، دون تـــردد، أن العقلانيـــة تكـــاد تكـــون الأداة الوحيـــدة، التـــي تبقينـــا فـــي حـــوار دائـــم و أبـــدي مـــع الواقـــع و التـــاريخ و العـــالم و الكـــون. ويخبرنـــا إدغـــارموران (Edgar Morin) أن "العقلانيـــة هـــي اللعـــب، هـــي الحـــوار

---

[6]–أنظر مادة "عقلانية" في:
- Paul Foulquié : Dictionnaire de la langue philosophique. Ed : PuF. Paris.1982.P609.
– Alain Lercher : les mots de la philosophie .ed : Belin .Paris .1985 .P300.

[7] – Ibidem.

[8]– أميرة حلمي مطر:"عن القيم والعقل في الفلسفة والحضارة"، عين للدراسات.القاهرة.2006.ص101.

[9]– جورج زيناتي: "رحلات داخل الفلسفة الغربية".دار المنتخب العربي. بيروت. 1993. ص111 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الـــدائم بـــين فكرنـــا الـــذي يخلـــق بنيـــات منط
يتحـــاور مـــع العـــالم الخـــارجي. و عنـــدما لا يكـــون هـــذا العـــالم متطابقـــا مـــع نســـقنا المنطقـــي، يجـــب الإقـــرار بـــأن نســـقنا المنطقـــي غيـــر كامـــل، و بأنـــه لا يعـــالج ســـوى جـــزء مـــن الواقـــع. إن العقلانيـــة، بمعنـــى مـــا، لا تـــزعم إطلاقـــا بأنها تصف بشـــكل تـــام كليـــة الواقـــع داخـــل نســـق منطقـــي. إنهـــا تطمـــح إلـــى الحوار مع ما يعاندها." [10]

مـــن هنـــا كـــان الحـــديث عـــن "العقلانيـــة" وثيـــق الصـــلة بالحـــديث عـــن "العقـــل" فكلاهمـــا يحـــيلان علـــى الآخـــر. و إذا نحـــن اعتمـــدنا تعريـــف جيـــل جاستون جارانجي، فإننا نقـــرأ فـــي كتابـــه المعـــروف عـــن "العقـــل"[11] مـــا يلـــي: "إن العقـــل، مثـــل "الحـــس الســـليم" (le bon sens)، هـــو أعـــدل الأشـــياء توزعا بـــين النـــاس، مـــع أن الجميـــع لا يســـتعملونه كثيـــرا بالتســـاوي. لـــذا يبـــدو وللوهلـــة الأولـــى أن لا شـــيء أكثـــر مباشـــرة مـــن دلالـــة "المتعقـــل" ( le raisonnable) و"العقلـــي" (le rationnel). لكـــن لـــو نظرنـــا فـــي الأمـــر عن كثب، لتأكـــدنا كـــم يستعصـــي هـــذا المفهـــوم علـــى الإدراك. إنـــه يشـــير فـــي آن واحـــد إلـــى مثـــل أعلـــى، و إلـــى موقـــف، و مـــنهج. فالحـــديث يـــدور حـــول العقل بما هو نسق من المبادئ كـــان محـــل تأليـــه فـــي القـــرن الثـــامن عشـــر مـــع " روبســـبيار" (Robespierre)، أو بمـــا هـــو طريقـــة محـــددة فـــي تلقّـــي الأحـــداث التـــي تعنينـــا و الحكـــم فـــي شـــأنها، أو بمـــا هـــو قاعـــدة فـــي المعرفة."[12]

و غير بعيـــد عـــن الفلســـفة، دائمـــا، فـــإن العقـــل، بهـــذا المعنـــى، ســـيكون هـــو الأداة التـــي بـــدونها يفقـــد الفعـــل الفلســـفي، كحكمـــة و تأمـــل و تـــدبير مـــن

(10)– إدغار موران: "الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب"، دار توبقال، الدار البيضاء، 2004 ، ص73.
(11)– جيل جاستون جارانجي: " العقل" ، ترجمة محمود بن جماعة، دار محمد علي. تونس .2004
(12)– المرجع نفسه ، ص9.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



أجـــل الحقيقـــة و المعرفـــة، أي معنـــى و أيـ

اليونان علـــى الأقـــل، جـــاءت، كمـــا نعلـــم، لتُنـــاقض وتـــدحض الميثـــوس، وهـــي مـــن أجـــل ذلـــك أعملـــت العقـــل، لـــيس فقـــط كملكـــة، و لكـــن أيضـــا كقواعـــد و أدوات و مفـــاهيم، و نحـــن نعلـــم كـــذلك، أن الفلســـفة الكلاســـيكية كانـــت "تطـــرح، تقليـــديا، ثلاثـــة أســـئلة أساســـية. فـــي الميتافيزيقـــا أو "الفلســـفة الأولـــى" كانـــت تتســـاءل الســـؤال الآتـــي: مـــا هـــو الواقـــع الأصـــلي: المـــادة، الحيـــاة أو الروح؟ فـــي الإتيقـــا (مبحـــث الأخـــلاق)، كانـــت تتســـاءل عـــن ماهيـــة القـــيم. إلا أن هـــذين الســـؤالين كانـــا يتوقفـــان، كليـــة، علـــى الســـؤال الثالـــث الـــذي ينصـــب على التســـاؤل عـــن مصـــداقية المعرفـــة. فهـــل بمقـــدور الفكـــر الإنســـاني معرفـــة الحقيقـــة بمعنـــى امـــتلاك الواقـــع و فهمـــه؟ عكـــس اللاهـــوت الـــذي كـــان يعتمـــد في حقائق منزلـــة، فـــإن الفلســـفة، بمعناهـــا الصـــرف أو علـــى الأقـــل تلـــك التـــي ظهـــرت إلـــى الوجـــود مـــع الإغريـــق و طبعهـــا الغـــرب بدمغـــة النقـــد، توكـــل للفكـــر البشـــري مهمـــة البحـــث عـــن الحقيقـــة. إذا نحـــن أقررنـــا بهـــذه المســـلمة نكون قد سلمنا معها بأن أداة الفلسفة، في بحثها هذا، هو العقل."[13]

و لكـــن إذا نحـــن حاولنـــا التســـاؤل، تمامـــا كمـــا نفعـــل بالنســـبة للفلســـفة أو العلـــم، عـــن غايـــات العقـــل و مقاصـــده .. و نقـــول هـــل للعقـــل مقصـــد و غايـــة خاصة به؟ فـــإن الســـؤال لا يســـتقيم إلا إذا بحثنـــا عـــن غايـــات و مقاصـــد العقـــل داخـــل مجـــالات بعينهـــا: النظريـــة، الممارســـة، التـــاريخ، العلـــوم، الفعـــل.. إلـــخ، وعنـــدما نموقـــع العقـــل داخـــل تلـــك المجـــالات، نســـتطيع أن نخلـــص ببســـاطة إلـــى أن "مهمـــة العقـــل هـــي الكشـــف عـــن العلاقـــات و الصـــلات الداخليـــة للواقـــع.."[14] ..الواقـــع بـــالمعنى العـــادي و اليـــومي للكلمـــة، و لكـــن أيضـــا

---

(13)– مانويل دوديكيز: "العقل وأوثانه، نقد فلسفي للعقل" ، تقديم وترجمة عبدالله زارو. في مجلة فكر ونقد. عدد 4 .ديسمبر 1997 .الدار البيضاء. ص:62 .

(14) –Bertrand Saint-Sernin : « La raison ».col :Que sais je ?.PuF.Paris.2003.P :71.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



"الواقع" داخـل كـل تلـك المجـالات المتعـددة م

الخ.. "وفـي هـذا فـإن الجميـع يتفـق و ينسـجم [حـول مهمـة و قـدرة العقـل]، حتى و إن كان تقيـيم تلـك المهمـة و القـدرة يختلـف مـن حقبـة إلـى أخـرى و مـن مفكـر إلـى آخـر.."[15] و لعـل أخطـر و أبـرز مظهـر لقـدرة العقـل و مهامـه القصـوى تكمـن، حسـب تعبيـر وايتهايـد، فـي أن "العقـل هـو العضـو الـذي يبـرز الجديـد. فهـو الـذي يعطينـا و يمـدنا بـالحكم (le jugement)، الذي بفضله يتحقق الجديد في النظرية ثم في الأفعال ".[16]

و مـع ذلـك أمكـن القـول، و بكـل حـذر و اعتـدال، أن العقـل لـيس، كما يبـدو أو نتـوهم، معطـى جـاهزا قائمـا بذاتـه، فهـو نتـاج اللغـة، وإحـدى دوالّها الأكثـر تعقيـدا و إبهـارا .. و لكـن أيضـا الأكثـر اختـزالا للواقـع، إلـى درجة يبلـغ معهـا العقـل مسـتوى إبـداع المرجـع و المـدلول.. "علينـا أن نعلـم بأنـه لا وجـود لـ"حجـة ماديـة"، فكـل حجـة علـى حـدث مـا تحيـل علـى مراجع أولـى تجعـل الحـدث إيـاه دالا فـي المجـال "العقلانـي"، هـذه المراجـع أو المرجعيـات هـي مـن صـنع الإنسـان خـالق دوال هـذه الطبيعـة. إن نـزع الطابع الأسطوري عن مُثُـل اللغـة منـذ أبـيلار [17] حتـى نيتشـه جعـل العقـل الغربي يعـي محدوديـة المعرفـة العلميـة فلـم يعـد وهـو فـي حديقـة الكلمـة كما لو كان في الحديقة الطبيعية لفهمٍ هو من صنع الإله ".[18]

و إذا كـان أبـيلار "يـرى أن فـي وسـع العقـل البشـري أن يلـم بطرائـف مـن حقـائق الكـون الأساسـية ، دون حاجـة إلـى تلقـي معاونـة خارجيـة سـواء فـي شـكل رسـالة دينيـة ، أوفـي صـورة أبحـاث و تـأويلات

---

(15) –Ibidem

(16) – Alfred North Whitehad : « La fonction de la raison ». Payot. Paris.1969.P115.

(17)– [illegible] و بطرس أبيلار(ABELARD)، رجال دين وفيلسوف فرنسي، ولد عام 1079. ويعتبر من أوائل المفكرين الأحرار في القرون الوسطى.

(18)– مانويل دوديكيز: "العقل وأوثانه،..."، مرجع سابق. ص74.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



لاهوتيـــة (...) [ ويـــدعو إلـــى ] إخضـــاع نصـــ آبـــاء الكنيســـة للفحـــص والاستقصـــاء.(...) كمـــا أن اللغـــة نفســـها التـــي ســـجل بهـــا وحـــي الإلـــه غيـــر معصـــومة ، لغمـــوض كثيـــر مـــن الكلمـــات، و لأن بعـــض العبـــارات ينـــاقض بعضـــها الآخـــر." [19] .. إذ كـــان ذلـــك مـــا يـــراه أبـــيلار، فـــإن فريـــدريك نيتشـــه يكشـــف بوضـــوح قـــائلا: " حيـــث أن الإنســـان كـــان قـــد اعتقـــد، لمـــدة طويلـــة ، فـــي مفـــاهيم وكلمـــات الأشـــياء كاعتقـــاده فـــي صحة الحقائق الأبدية، فإنـــه أكســـب نفســـه نوعـــا مـــن الاعتـــزاز بالـــذات جعلـــه يعتقـــد نفســـه فـــي مرتبـــة فـــوق مرتبـــة الحيـــوان. كـــان يعتقـــد، بالعقـــل، أن اكتسابه للغة أكســـبه معرفـــة بالعـــالم. إن واضـــع اللغـــة لـــم يكـــن متواضـــعا بمـــا فيه الكفاية ، تواضعا يجعلـــه يعتقـــد أن مـــا قـــام بوضـــعه لا يعـــدو إشـــارات إلـــى الأشياء تقـــوم بمجـــرد تعيينهـــا ، بـــل كـــان يعتقـــد بأنـــه بصـــدد تـــدوين مـــا مـــن شأنه أن يكون الشكل الأسمى لمعرفتنا بالأشياء." [20]

حـــديث أبـــيلار و نيتشـــه أعـــلاه يكشـــف عـــن ذلـــك الموقـــف المعـــارض للعقـــل والعقلانيـــة ، و يجعلنـــا نقـــف علـــى عتبـــة مفهـــوم آخـــر هـــو مفهـــوم اللامعقـــول ، ولكـــن لـــيس بـــالمعنى الســـحري والأســـطوري –فهـــو لا يهمّنـــا في ما نحـــن بصـــدده– بـــل اللامعقـــول كمفهـــوم مجـــاور ومحايـــث للعقـــل، ذلـــك أن " مســـألة العقـــل مـــن حيـــث دلالتـــه وشـــكله واســـتعماله، عولجـــت غالبـــا فـــي الفكر المعاصـــر مـــن جوانبهـــا الجدالية. فتركـــت لنـــا بدايـــة القـــرن [ العشـــرين] خاصـــة، إرثـــا مغريـــا جـــدا مـــن الحجـــج المضـــادة للعقـــل "[21]، وهنـــاك أســـماء بـــارزة فـــي هـــذا المجـــال ( برغســـون ، نيتشـــه ، ولـــيم جـــيمس ، فايرنبـــد،

---

[19]– أنظر مادة "أبيلار" في معجم أعلام الفكر الإنساني. إعداد نخبة من الأساتذة المصريين. المجلد I. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1984. ص:442-443.

[20]– نيتشه: إنساني، إنساني جدا II، أورده: دوديكينز في المرجع والموضع السابق.

[21]– جاستون جارانجي: "العقل"، مرجع سابق ، ص:29.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



لاكـــاتوس، وغيـــرهم ) ولكـــن قبـــل هـــذا و ذ

أمـــران ناشـــئان مـــن الفلســـفة، ومـــن فلســـفة ذلـــك الـــذي ينـــادي بأحـــدهما. (...) ولمـــا كانـــت الفلســـفة صـــناعة إنســـانية ، كـــالأدب و الفـــن و الـــدين ، علـــى مـــا بـــين هـــؤلاء جميعـــا مـــن فـــروق ، كانـــت مزاجـــا شخصـــيا. فهنـــاك فلســـفات وفلســـفات: فلســـفة مثاليـــة، ومـاديـــة و نقديـــة، ووجوديـــة و ســـائر هـــذه الأســـماء التـــي تختلـــف بـــاختلاف أصـــحابها. فصـــاحب المـــزاج الســـليم هـــو ذلـــك الـــذي ينشـــد المعقـــول ، إنْ فـــي الفكـــر أو الســـلوك. علـــى حـــين أن صـــاحب المـــزاج المنحرف الشـــاذ المـــريض ينفـــرد بنفســـه وينعـــزل عـــن ســـائر أفـــراد المجتمـــع ويتصـــور أمـــورا هـــي مـــن قبيـــل اللامعقـــول، فكـــرة كانـــت أم ســـلوكا. ولـــذلك كثيرا ما يُـــتّهم هـــؤلاء الشـــذاذ مـــن أبنـــاء وطـــنهم بـــأنهم إلـــى المجـــانين أقـــرب وأن بهم لوثة فـــي العقـــل. لقـــد اتّهـــم المصـــلحون و المجـــددون فـــي الفكـــر بـــل الكثيـــر مـــن الأنبيـــاء بهـــذه التهمـــة ، لأنهـــم ابتـــدعوا أمـــورا جديـــدة لـــم يألفهـــا المجتمـــع، فنبـــذهم ، ولـــم يســـتطع أن يســـايرهم ، و أُلصـــقت بهـــم تهمـــة الجنون ."[22]

مـــن هنـــا أمكـــن القـــول أن هنـــاك تـــاريخ طويـــل مـــن العلاقـــة الوطيـــدة والعضـــوية بـــين العقـــل واللامعقـــول ، إنـــه تـــاريخ علاقـــة بـــين أب و ابنـــه ، ويمكـــن تشـــبيه العقـــل أو المعقـــول ( Le Rationnel) بـــالأب ، و الابـــن بـــاللامعقول ، إنهـــا علاقـــة صـــعبة عســـيرة ، رغـــم أنّ كليهمـــا لا يســـتطيع تجاهل أو إنكار الآخر..[23]

---

[22]– أحمد فؤاد الأهواني:" المعقول واللامعقول" ، سلسلة "اقرأ"، دار المعارف. القاهرة. عدد328.أبريل 1970.ص8

[23] –Abdessalem Yahiaoui : « Confins psychiques » in collectif : « le rationnel et l'irrationnel ».Académie Tunisienne « Beït Al-Hikma ». Tunis.2000 .P75.

ويروي الكاتب قصة عن تلك العلاقة العسيرة بين الأب والابن؛ فكلما طلب الأب من ابنـه أن يقـوم بعمـل مـا ، يفعـل الابـن عكـس مـا طلب منه . وفي يوم خرج الأب و الابن معا لجني محصول كبير، وبعـد فتـرة همَّـا بـالعودة إلـى البيـت. وبـالطبع كـان الابـن هـو الذي يجر العربة المحملة بالمحصول ، وحدث أن وصـلا عنـد جسـر خطيـر و آيـل للسـقوط. ولأن الحمولـة كانـت كبيـرة ، ولأن

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



إن الإشـــارة إلـــى الموقـــف المضـــاد بالنسبة لأي فعل عقلانـــي و أيـــة مقاربـــة للعقـــل ، فـــلا يمكـــن فهـــم الكثيـــر مـــن جوانب هذا الأخير، بـــدون فهـــم ضـــده و نفيـــه. وقـــد يبـــدو مســـتغربا تبنـــي تلـــك "المقاربـــة الســـالبة فـــي دراســـة العقـــل. غيـــر أنهـــا تجـــدُ مبـــررا لهـــا ، لـــيس فحسب في الأهمية التاريخيـــة الفعليـــة التـــي اكتســـبها الجـــدال ضـــد العقـــل ، بـــل أيضا في ما للأضداد مـــن فضـــل فـــي التفســـير يســـمح لنـــا بـــالتحقق مـــن القـــول المـــــأثور عـــــن ســـــبينوزا ( SPINOZA) مـــــن أن كـــــل تعـــــيُّن (Détermination) هو نفي ". [24]

**ثانيا : في الفلسفة والعلم.. و الابستيمولوجيا:**

يقـــول إدمونـــد هســـرل فـــي أحـــد نصوصـــه المهمـــة مـــا يلـــي : " لقـــد كان المطلب الـــدائم للفلســـفة – منـــذ بـــداياتها الأولـــى – أن تكـــون علمـــا دقيقـــا، بـــل أن تكـــون ذلـــك العلـــم الـــذي يفـــي بأعمـــاق المقتضـــيات النظريـــة للعقـــل ، ويمكّـــن – مـــن وجهـــة نظـــر أخلاقيـــة – دينيـــة – مـــن قيـــام حيـــاة تحكُمهـــا معـــايير العقـــل الخالصـــة. وقـــد اســـتمر هـــذا المطلـــب ســـاريا، عبـــر عصـــور التاريخ المختلفة، بدرجات تتفاوت قوة و ضعفا." [25].

إنه نص يقـــض مضـــجع الســـؤال الراقـــد ، و أيـــة محاولـــة منـــا لفحصـــه، بغرض إيجاد إجابـــة عـــن مـــا إذا كانـــت الفلســـفة قـــد حققـــت مطلبهـــا ذاك أم لا، ســـتبقى فاقـــدة لأيـــة مشـــروعية ، خصوصـــا إذا علمنـــا أن نـــص هســـرل يحمـــل

---

الابن اعتاد على فعل عكس ما يأمره به أبوه ، قرر الأب، هذه المـــرة ، أن يـــأمر ابنـــه قـــائلا: " عليـــك أن تمـــر فـــوق هـــذا الجســـر". وفعل الابن ما أمره به الأب ، ولما وصل وسط الجسر ، انهار ومعه المحصول كلـــه. فثـــارت ثـــائرة الأب، وصـــرخ فـــي وجـــه ابنـــه: " كيف تفعل لأول مرة ، ما آمرك به تماما !؟ " ، فأجاب الابن قـــائلا : " حتـــى نـــرى فعـــلا مـــا قيمـــة كلامـــك ، وهـــا أنـــت تـــرى أيـــن أوصلتنا... إلى الكارثة ، لم نعد نملك شيئا...

أنظر المرجع والموضع نفسه.

[24]– جاستون جارانجي :"العقل" ، مرجع سابق ، ص31.

[25]– إدموند هسرل: "الفلسفة علما دقيقا". ترجمة وتقديم: محمود رجب. المجلس الأعلى للثقافة.القاهرة.2002.ص23.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



في أحشائه عناصـــر مـــا لإجابـــة ممكنـــة ومقبولـ فإن الفلســـفة لـــم تســـتطع ، فـــي أي عصـــر مـــن عصـــور تطورهـــا ، أن تحقـــق هـــذا المطلـــب :أي أن تكـــون علمـــا دقيقـــا (...) إن الدلالـــة الحقّـــة للمشـــاكل الفلسفية لم تبلـــغ هـــي ذاتهـــا مرتبـــة الوضـــوح العلمـــي. ولـــذلك ، فـــإن الفلســـفة التـــي تعـــد ، وفقـــا لغاياتهـــا التاريخيـــة ، أســـمى العلـــوم جميعـــا و أدقهـــا ، تلـــك الفلسفة التـــي تمثـــل مطلـــب الإنســـانية الـــدائم فـــي المعرفـــة الخالصـــة و المطلقـــة (...) عـــاجزة عـــن أن تتبنـــي علمـــا دقيقـــا. (...) و قـــد كـــان كَنْـــت يحـــب أن يقول: لـــيس فـــي اســـتطاعتنا أن نـــتعلم الفلســـفة ، بـــل التفلســـف فحســـب. فمـــاذا يكون هذا إن لم يكن اعترافا بالطابع غير العلمي للفلسفة ؟ " [26]

في هـــذا الـــنص فصـــل للمقـــال، وحســـم فـــي مســـألة قديمـــة جديـــدة، كمـــا يوضـــح الـــنص نفســـه، مســـألة الفلســـفة و العلـــم، و ســـؤال العلاقـــة بينهمـــا، والنتيجـــة هـــي أن الفلســـفة ســـؤال متجـــدد دومـــا، و العلـــم جـــواب لا يتكـــرر دومـــا، والثابـــت أن كليهمـــا يحـــيلان علـــى العقـــل، لأن جـــذرهما مشـــترك. وعليـــه أمكـــن القـــول " أن العقلانيـــة فـــي جوهرهـــا مناقشـــة ومجادلـــة بالعقـــل وتبـــادل الحجـــج ، أي منـــاظرةً . ومـــا المعـــانى الأخـــرى ســـوى فـــروع لهـــذا الأصـــل المشـــترك بـــين العلـــم والفلســـفة . " [27] ، ليبقـــى بالتـــالي " الحـــد الفاصـــل بـــين الفلســـفة و العلـــوم غيـــر ثابـــت ، مـــن حيـــث أنـــه لا يرجـــع إلـــى طبيعة المشاكل التـــي لا يمكـــن أبـــدا أن يقـــال عـــن أحـــدها، بصـــفة نهائيـــة ، أنـــه علمـــي أو ميتـــافيزيقي ، وإنمـــا يرجـــع إلـــى تحديـــدنا لهاتـــه المشـــاكل، و إلـــى اختيار المناهج التي تسمح لنا بمعالجتها ."[28]

---

[26]– المرجع نفسه، ص:23-24.
[27]– الطاهر و عزيز: "المناهج الفلسفية" المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت ، 1990، ص:29.
[28]– الطاهر وعزيز: "تاريخ الفلسفة منهاجه وقضاياه" شركة بابل.الرباط .1991. ص58.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



تبـــدو المســـألة ، مـــرة أخـــرى ، م
هويته، وكل مـــا يترتـــب عـــن ذلـــك مـــن خصوصـــية فـــي المـــنهج و الإشـــكالية ، " إذ أن المفهـــوم الفلســـفي لا يضـــاعف المفهـــوم العلمـــي ولا يـــردد مـــا يقولـــه. بل هو يقول مـــا يقولـــه ويزيـــد عليـــه، أي أنـــه يضـــيف إليـــه مـــا يقولـــه مفهـــوم آخر مشابه لـــه ومنـــتم إلـــى ميـــدان مجـــاور. فـــالمفهوم الفلســـفي مفهـــوم محـــيط بمعنـــى أنـــه يحـــيط بالمفـــاهيم العلميـــة المتشـــابهة و المتماسّـــة و المختلفـــة. وهـــو يحـــيط بهـــا دون أن يمـــر بهـــا ، أي دون أن يعيـــد التمشّـــي ، وببقائـــه إن صـــح التعبير ، في نقطته الثابتة ، التي هي خارج ميادين العلم جميعا."[29]

يمكـــن القـــول أن الفلســـفة ، فـــي جميـــع اتجاهاتهـــا الأنطولوجيـــة والعلميـــة و اللغويـــة ... وغيرهـــا ، قـــد أصـــبحت اليـــوم تعنـــي "صـــداقة المفـــاهيم" ، كمـــا يقـــال فـــي الفلســـفة الفرنســـية المعاصـــرة.. فالفلســـفة " هـــي المبحـــث الأكـــاديمي الوحيـــد الـــذي يُعنـــى بوضـــوح المفـــاهيم و يجعلهـــا محـــور اهتمامـــه وبـــؤرة تركيـــزه . ومـــن ذلـــك أن النمـــوذج التعليمـــي الشـــائع يقـــدمها لنا في صورة التقـــدم مـــن الجهـــل إلـــى المعرفـــة . غيـــر أن التقـــدم فـــي الفلســـفة لا يمكـــن أن نتصـــوره بهـــذه الطريقـــة . التقـــدم فـــي الفلســـفة هـــو التقـــدم مـــن التمكن الجزئي من المفـــاهيم إلـــى التقـــدم الشـــامل ، مـــن الخلـــط إلـــى الوضـــوح، من تخبط المفـــاهيم إلـــى الـــتفهم التـــام لهـــا . هـــذا علـــى أن نســـلم بـــأن الـــتمكن الكامل و الـــتفهم التـــام للمفـــاهيم المحوريـــة الكبـــرى إنمـــا هـــو مطلـــب مثـــالي لا يسعنا أن نطمح إلى بلوغه ."[30]

الفلســـفة و العلـــم لا يشـــذان عـــن تلـــك القاعـــدة ، بـــل إن الفلســـفة و العلـــم فـــي ارتباطهمـــا العضـــوي و التـــاريخي ، يشـــكلان المبحثـــين الأبـــرزين و

---

(29)– عمر الشارني:" المفهوم في موضعه.."، مرجع سابق، ص112.

(30)– ولـيم جـيمس: "مـدخل إلـى الفلسـفة" ترجمـة عـادل مصـطفى، مراجعـة يمنـى طريـف الخـولي، المجلـس الأعلـى للثقافـة. القاهرة، 2005،ص35.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الأكثـــر تعـــاملا و اشـــتغالا بالمفـــاهيم ، و إذا كان " صـــداقة المفـــاهيم " ، فـــإن العلـــم لـــيس فقـــط "مجموعـــة مـــن التخمينـــات قـــد يأخـــذها القـــائلون بهـــا مأخـــذ اليقـــين ولا هـــو ركـــام مـــن الخبـــرات تكتســـبها الشعوب بتجـــارب القـــرون ولا حتـــى شـــتاتا مـــن " الحقـــائق " و إنمـــا هـــو فـــي كنهه نظرية أي نسق استنباطي من المفاهيم المجردة ." [31]

مـــن هنـــا نفهـــم تلـــك العلاقـــة العضـــوية و التاريخيـــة – التـــي تحـــدثنا عنهـــا – بـــين الفلســـفة و العلـــم ، وتأسيســـا علـــى ذلـــك ،يمكننـــا أن " نقـــرر أن الفلسفة لا تقوم إلـــى باتصـــالها بـــالعلم ومـــن خـــلال ذلـــك الاتصـــال نفســـه وهـــو يفتـــرض أســـبقية العلـــم تكوّنيـــا عـــن الفلســـفة " [32]... بـــل إن أحـــد البـــاحثين المعاصـــرين يقـــرر أكثـــر مـــن ذلـــك فهـــو يعتبـــر " أن مفهـــوم العلـــم ومفهـــوم الفلســـفة كانـــا متـــداخلين ومتشـــابكين عنـــدهم [ اليونـــان ] إلـــى أبعـــد حـــد. فلـــم يكن هناك نشـــاط واع مســـتقل اســـمه " العلـــم"، و إنمـــا كـــان هنـــاك ســـعي عقلـــي واحـــد يتجـــه نحـــو ميـــادين متعـــددة، و يُنـــتج مـــا نســـميه نحـــن فلســـفة أو علما". [33]

إن هـــذه العلاقـــة العضـــوية و التاريخيـــة كانـــت دومـــا موضـــوع دراســـة و تحليل مـــن قبـــل الفكـــر و النقـــد، و هـــي لازالـــت كـــذلك إلـــى اليـــوم، و لكـــن تحت مســـميات فلســـفية متعـــددة، و إن لـــم تكـــن مختلفـــة كثيـــرا، ففلســـفة العلـــوم أو الابســـتيمولوجيا هـــي نفســـها نظريـــة المعرفـــة، و لكـــن فـــي ثـــوب و شـــكل جديدين .."و قبـــل خمســـين ســـنة فقـــط، شـــكلت الابســـتيمولوجيا جـــزءا و فصـــلا من نظرية المعرفـــة". [34] و هـــي مســـألة مفهومـــة، مـــا دامـــت نظريـــة المعرفـــة،

---

[31]– حمادي بن جاء بالله: "دراسات فلسفية، العلم في الفلسفة"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 1986، ص18.
[32]– المرجع والموضع نفسه.
[33]– فؤاد زكريا:" التفكير العلمي" ، منشورات دار السلاسل، الكويت، 1985،ص146.
[34] – Mario Bunge : « Epistémologie » .Traduit de l'Espagnol par : Hélène Donadieu .Maloine S.a. éditeur . Paris .1983.P14.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و فلســـفة العلـــوم و الابســـتيمولوجيا، تتخـــذ م
عام، و المعرفة العلمية بشكل أكثر تخصيصا..

و يـــرد مصـــطلح "الابســـتيمولوجيا" بشـــكل مختلـــف فـــي عـــدة لغـــات. فنجده فـــي الإنجليزيـــة و الفرنســـية تحـــت نفـــس الرســـم و النطـــق، كمـــا يســـتخدم العـــرب المحـــدثون هـــذا المصـــطلح بشـــكل واســـع خاصـــة فـــي المغـــرب العربـــي. و إذا كـــان الفرنســـيون يفصـــلون بـــين الابســـتيمولوجيا و نظريـــة المعرفـــة، و يقرنونهـــا بفلســـفة العلـــوم، مـــع شـــيء مـــن التخصـــيص و الحصـــر.. و علـــى ذلـــك يســـير بـــاحثو دول المغـــرب العربـــي الـــذين يتبعـــون النمـــوذج الفرنســـي فـــي هـــذا الموضـــوع. إذا كـــان الأمـــر كـــذلك بالنســـبة للفرنســـيين، فـــإن الانجلوساكســـونيين يقصـــدون بمصـــطلح الابســـتيمولوجيا نظريـــة المعرفـــة بوصـــفها تبحـــث فـــي حـــدود المعرفـــة و شـــروطها و مصـــادرها.. و نفـــس المعنـــى يتخـــذه الإيطـــاليون و الألمـــان، و معهـــم البـــاحثون العـــرب المشـــارقة الـــذين يتخـــذون بـــدورهم البريطـــانيين و الأمريكـــان نموذجا لهم.[35]

[35]– أنظر: عبدالقادر بشته: "الابستيمولوجيا، مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية"، دار الطليعة ، بيروت ، 1995، ص5-6.

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

# الفصـــــــل الأول

## العلم و العقل في الفلسفة اليونانية

**أولا: نظرية المعرفة قبل أفلاطون**

**ثانيا: من لحظة سقراط الفلسفية إلى الفلسفة و العلم عند أفلاطون**

**ثالثا: العقلانية و العلم عند أرسطو.**

**رابعا: الفلسفة و العلم .. احتواء من أجل العقل**

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



ليس الحـديث عـن الفلسـفة اليونانيـة مجـ
مـرة فـي مجمـوع الكتابـات و الدراسـات الفلسـفية، و لا هـو أيضـا موضـوع نكتفي دومـا باعتبـاره جـزءا مـن تـاريخ الفلسـفة، أو بدايـة لتاريخهـا. بـل إن الفلسـفة اليونانيـة لحظـة فكريـة و عقليـة و علميـة متجـددة علـى الـدوام، تشكل بداية كل عقل و كل علم و لحظته الراهنة باستمرار.

إن الفلسـفة اليونانيـة بتعبيـر غـادمير هـي "الموضـوعة التـي احتفظـت بفتنـة مميـزة"[1]، و هـذه الموضـوعة يضـيف غـادامير " ليسـت مجـرد موضـوعة اهتمـام تـاريخي. إنهـا موضـوعة تقـارب المشـكلات الراهنـة فـي ثقافتنـا الخاصـة التـي لـم تجـد نفسـها بمواجهـة تغيّـر جـذري فقـط، و إنمـا بمواجهة اللايقين و الافتقار إلى الثقة بالذات".[2]

إن اسـتعادة لحظـة الفلسـفة اليونانيـة، بهـذا المعنـى، ليسـت لمجـرد الأرخنـة و إعـادة القـراءة، بـل هـي إشـكالية متجـددة، لا بـل هـي صـلب الثقافـة الغربيـة الراهنـة و روحهـا وهـي التـي شـكلت مغـامرة العقـل وشبابه. "و ليس منّـا مـن لا يعلـم مـا أداه اليونـان فـي الفـن والأدب؛ لكـن مـا أدوه فـي النطـاق العقلـي الخـالص أشـد غرابـة ممـا أدوه فـي الفـن و الأدب على عظمته؛ فهم الذين اخترعوا لرياضة و العلم و الفلسفة اختراعا".[3]

و إذا كنـا نقتصـر فـي هـذا الفصـل علـى جانـب محـدد فـي الفلسـفة اليونانية ممثلا فـي نظريـة المعرفـة، فـذلك لأن مشـكل المعرفـة، فـي نظرنـا،

---

[1]– هانز جورج غادامير: "بداية الفلسـفة" ترجمـة علـي حـاكم صـالح و حسـن نـاظم،دار الكتـاب الجديـد المتحـدة، بيروت، ط أولى 2002 ، ص5

[2]– المرجع و الموضع نفسه

[3]– برتراند رسل : "تاريخ الفلسفة الغربية" ج I ترجمـة زكـي نجيـب محمـود، مطبعـة لجنـة التـأليف و الترجمـة والنشر، القاهرة، ط الثانية 1967 ، ص 23

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



يمثـــل أهـــم تجليـــات العقـــل و أصـــدقها، كما اليونـــانيين ارتبطـــا بالقضـــايا و المشـــكلات التـــي طرحتهـــا نظريـــة المعرفـــة اليونانيـــة خصوصـــا مـــع أفلاطـــون و أرســـطو، فهـــذان الـــرجلان مـــثّلا بحـــق أوج النبـــوغ العقلـــي، و لخصـــا العبقريـــة البشـــرية فـــي لحظـــة فكريـــة و فلســـفية خارقة، كمـــا أنهـــا مـــثلا و لا يـــزالا يمـــثلان نقطـــة الجـــذب لمـــا قبلهمـــا و لمـــا بعـــدهما مـــن تـــاريخ العقـــل البشـــري. لقـــد كـــان لهمـــا "طـــوال العصـــور تـــأثير هائـــل علـــى مخيلـــة البشـــر. فحيثمـــا ازدهـــر التفكيـــر النظـــري للغـــرب، كانـــت ظـــلال أفلاطـــون و أرســـطو ملحقـــة فـــي خلفيـــة هـــذا التفكيـــر، و أخيـــرا فـــإن اسمها في الفلســـفة أهـــم، علـــى الأرجـــح، مـــن إســـهام أي فيلســـوف آخـــر قبلهمـــا أو بعدهما، إذا لا تكـــاد توجـــد مشـــكلة فلســـفية لـــم يقـــولا عنهـــا شـــيئا قيمـــة لـــه قيمة، و كل من يتصـــور فـــي أيامنـــا هـــذه أنـــه يســـتطيع أن يـــأتي بشـــيء أصـــيل دون أن يكـــون قـــد اســـتوعب تلـــك الفلســـفة الأثينيـــة، عليـــه أن يتمـــل عواقـــب مغامرته".[4]

**أولا: نظرية المعرفة قبل أفلاطون:**

نظرية المعرفـــة مبحـــث قـــديم قـــدم الفلســـفة، و لا شـــك أنهـــا تمثـــل أهـــم مبحث، إذا مـــا عرفنـــا أن ســـؤال "المعرفـــة" هـــو أهـــم ســـؤال كـــان و لا يـــزال، إذا مـــا قـــورن بســـؤال الوجـــود وســـؤال القـــيم. و رغـــم أنـــه يصـــعب الفصـــل- في كثير من الأحيـــان و خاصـــة فـــي الفلســـفات القديمـــة- بـــين نظريـــة المعرفـــة و نظريـــة الوجـــود و نظريـــة القـــيم، إلا أنـــه يمكننـــا القـــول أن مشـــكلة المعرفـــة ارتبطـــت بداهـــة بســـؤال العقـــل و مـــا يقتضـــيه مـــن قضـــايا تـــرتبط بـــالواقع والوجود و النفس و الإنسان ...إلخ .

---

[4] – برتراند رسل: "حكمة الغرب" ترجمة فؤاد زكريا، ج I سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1983، ص 103

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



كمـــا أن نظريـــة المعرفـــة مفهـــوم تطـــ
اليونـــان مختلفـــة عنهـــا فـــي الفلســـفة كمـــا تطـــورت لاحقـــا؛ " فقـــد أصـــبحت المعرفة منذ كانـــت ذات مكانـــة مركزيـــة فـــي الفلســـفة فاقـــت بهـــا كـــل جوانـــب الفلسفة الأخرى ".[5]

إلا أنـــه قبـــل ذلـــك احتلـــت مشـــكلة المعرفـــة موقعـــا هامـــا فـــي الفلســـفة اليونانيـــة، و ذلـــك منـــذ نشـــأتها وبـــداياتها الأولـــى فـــي القـــرن الســـادس قبـــل المـــيلاد. ولا شـــك أن برمنيـــدس، اضـــطر وهـــو يخـــوض فـــي قضـــايا الوجـــود الثابـــت مـــن جهـــة وقضـــايا الوجـــود المتغيـــر مـــن جهـــة أخـــرى، والـــذي تـــدل عليه الحواس، اضطر إلـــى البحـــث " فـــي المعرفـــة الحســـية مـــن أجـــل أن يقـــدر قيمتهـــا فـــي تحصـــيل المعومـــات وإدراك الحقـــائق، وقـــد انتهـــى عـــن هـــذا الطريق إلى مـــذهب عقلـــي مثـــالي يصـــور الوجـــود الخـــارجي علـــى أنـــه وهـــم ويجعـــل الوجـــود الحقيقـــي وجـــودا آخـــر هـــو الوجـــود الـــذي يكشـــف لنـــا عنـــه العقـــل، وبهـــذه التفرقـــة بـــين المعرفـــة العقليـــة وبـــين المعرفـــة الحســـية وضـــع برمنيدس لأول مرة مشكلة المعرفة في وضعها الصحيح".[6]

و رغـــم مـــا يقـــال عـــن أن الفليســـوف الانجليـــزي جـــون لـــوك j.locke كـــان أول مـــن حـــاول وضـــع مبحـــث نظريـــة المعرفـــة " فـــي صـــورة العلـــم المستقل و ذلك في كتابـــه "مبحـــث فـــي الفهـــم الانســـاني" الـــذي نشـــر فـــي نهايـــة القرن الســـابع عشـــر فـــي عـــام 1690. و يعـــد هـــذا الكتـــاب أول بحـــث علمـــي مـــنظم يتنـــاول بـــالفحص و الـــدرس أصـــل المعرفـــة و ماهيتهـــا و حـــدودها ودرجة اليقين فيهـــا "[7]، رغـــم ذلـــك، فـــإن مشـــكلة المعرفـــة مثلـــت مبحثـــا قائمـــا

---

[5]– مصطفى النشار : "نظرية المعرفة عند أرسطو" – دار المعارف بمصر، ط الثالثة 1995 ص 29 .

[6] – عبد الرحمان بدوي: "ربيع الفكر اليوناني"، مكتبة النهضة المصرية. ط الثامنة، 1979، ص122

[7]– النشار "نظرية المعرفة" مرجع سابق، ص27

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



بذاتـــه فـــي الفلســـفة اليونانيـــة و خاصـــة عنـــ

بحوثهما في المعرفة "بحوثا مستقلة لديهما و واضحة المعالم".

فقـــد خصـــص لهـــا أفلاطـــون عـــدة محـــاورات أهمهـــا "ثيـــاتيتوس" و"السفســـطائي"، وخصـــص لهـــا أرســـطو "الـــنفس" و "الـــذاكرة و التـــذكر" و"كتاب الأول من الميتافيزيقيا" وغيرها".[8]

و دون الـــدخول فـــي تفاصـــيل تهـــم تـــاريخ الفلســـفة اليونانيـــة، و تجرنـــا لا محالة إلى قضـــايا هـــي مـــن صـــميم موضـــوع نشـــأة الفلســـفة و نشـــأة العلـــم، فإننـــا نعتقـــد مـــع راســـل أن "الفلســـفة و العلـــم، كمـــا نعرفهمـــا، اختراعـــان يونانيـــان. و الواقـــع أن ظهـــور الحضـــارة اليونانيـــة، التـــي أنتجـــت هـــذا النشـــاط العقلي العـــارم، إنمـــا هـــو واحـــد مـــن أروع أحـــداث التـــاريخ، و هـــو حـــدث لـــم يظهر له نظير قبله و لا بعده".[9]

إن مشـــكلة المعرفـــة طرحـــت نفســـها كســـؤال فلســـفي و علمـــي فـــي الفلسفة اليونانية حتى قبـــل أفلاطـــون و أرســـطو، بـــل قبـــل ســـقراط نفســـه الـــذي يعده كثيرون لحظـــة الفصـــل بـــين مـــرحلتين فـــي الفلســـفة اليونانيـــة: مرحلـــة مـــا قبل سقراط، و المرحلـــة التـــي بعـــده. و عـــن هـــذا الأمـــر يقـــول راســـل: " كـــان اهتمـــام الفيثـــاغوريين بالرياضـــيات هـــو الـــذي أدى إلـــى ظهـــور نظريـــة سنصـــادفها فيمـــا بعـــد، هـــي نظريـــة المثـــل أو نظريـــة الكليـــات. فحـــين يبـــرهن الرياضـــي علـــى نظريـــة خاصـــة بالمثلثـــات، فإنـــه لا يتحـــدث عـــن أي شـــكل محدد مرسوم فـــي مكـــان مـــا، و إنمـــا يتحـــدث عـــن شـــيء يـــراه بعـــين العقـــل، ومن هنا ينشأ التمييز بين المعقول و المحسوس".[10]

---

[8]– المرجع و الموضع نفسه

[9]– برتراند راسل: "حكمة الغرب" ج I مرجع سابق، ص22

[10]– المرجع نفسه، ص44

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



يتضـــح مـــن هـــذا الكـــلام أن مشـــكلة الم

و الحســـي فـــي مراحـــل مبكـــرة مـــن الفلســـفة اليونانيـــة، و همـــا البعـــدان اللـــذان ظـــلا مـــرتبطين بالمعرفـــة كمشـــكلة فلســـفية و علميـــة إلـــى يومنـــا هـــذا. إلا أنـــه يجـــب إلـــى الإشـــارة إلـــى أن طريقـــة فلاســـفة اليونـــان فـــي وضـــع مشـــكلة المعرفـــة مختلفـــة عنهـــا فـــي مراحـــل لاحقـــة مـــن تطـــور الفلســـفة، إلـــى أن أصبحت قضية المعرفـــة مـــع كـــانط تحتـــل مكانـــة مركزيـــة تجـــاوزت بهـــا كـــل جوانب مباحـــث الفلســـفة الأخـــرى. و لـــذلك يجـــب التمييـــز بـــين طريقـــة وضـــع مشـــكلة المعرفـــة لـــدى فلاســـفة اليونـــان و بـــين طريقـــة وضـــع المشـــكلة كمـــا تطـــورت لا حقـــا. ذلـــك أن وضـــع المشـــكلة فـــي الفلســـفة اليونانيـــة مختلـــف، حيث يمكن أن نميـــز بـــين ثلاثـــة اتجاهـــات أساســـية عنـــد فلاســـفة اليونـــان لـــدى تناولهم لمشكلة المعرفـــة: الاتجـــاه الأول كـــان يركـــز علـــى أســـئلة تهـــم مصـــادر المعرفـــة و أدواتهـــا وإمكـــان قيامهـــا. أمـــا الاتجـــاه الثـــاني فتركـــز فيـــه الفلســـفة على تلـــك الظـــواهر التـــي لا يمكـــن أن تصـــل إليهـــا المعرفـــة الحســـية والإدراك الحسي كـــالأحلام و الجنـــون و غيرهـــا ... أمـــا الاتجـــاه الثالـــث فقـــد اتجـــه نحـــو التركيـــز علـــى مشـــكلات تخـــص عمليـــة التفكيـــر و الإدراك الحســـي و كيفيـــة حدوث التفكير ...إلخ.[11]

و إذا أردنـــا أن نشـــكل فكـــرة واضـــحة عـــن ملامـــح نظريـــة المعرفـــة قبـــل أفلاطـــون وأرســـطو، فإننـــا نلمـــس ذلـــك لا محالـــة فـــي الموقـــف العقلـــي للفيلســـوف بارمنيـــدس الـــذي أقـــام مذهبـــه فـــي الوجـــود "علـــى أســـاس منطقـــي عقلـــي صـــرف لا يعتمـــد علـــى أي خبـــرة حســـية. (...) كـــذلك ســـار فكـــر بارمنيدس على أســـاس منطـــق متـــرابط متســـق ينتقـــل مـــن قضـــية إلـــى أخـــرى

(11)– أنظر بالتفصيل، مصطفى النشار، "نظرية المعرفة عند أرسطو"، مرجع سابق، ص 29-30

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



مترتبـــة عليهـــا بالضـــرورة و قـــد بـــدأ بالتفرقة استدل مـــن ذلـــك علـــى أن الوجـــود موجـــود و اللاوجـــود غيـــر موجـــود و جعـــل تلك القضيتين مقدمة أساسية لبناء مذهبه".[12]

إن الموقـــف العقلـــي لـــدى بارمنيـــدس يتجلـــى بوضـــوح فـــي إنكـــاره للمعرفة الحسية، وإعتبـــار مـــا تمـــدنا بـــه الحـــواس مـــن المعرفـــة لـــيس إلا وهمـــا و خـــداعا، و أن المعرفـــة و الحقيقـــة لا يمكـــن إدراكهـــا إلا بالعقـــل.[13] ويعتبر أحـــد الدارســـين المعاصـــرين أن " أول مـــن لمـــس لـــب نظريـــة المعرفـــة مـــن الفلاســـفة اليونـــان بحـــق هـــو بارمنيـــدس حيـــث ظهـــرت مشـــكلة المعرفـــة بمعنـــى الكلمـــة عنـــده؛ فقـــد قـــال بوضـــوح أن هنـــاك وجـــودا يتعـــدى كـــل مـــا تعرفه التجربة العاديـــة، و هـــو يـــربط بـــين العقـــل و ذلـــك الوجـــود علـــى حـــين أن اللاوجود يقـــوم علـــى النظـــر و الســـمع وعلـــى اللغـــة التـــي يســـتعملها عامـــة النـــاس. و هـــذا الموقـــف البارمينـــدي يجعلنـــا نقتـــرب فعـــلا مـــن التضـــاد بـــين فكر العقل و إدراك الحس".[14]

**ثانيا: من لحظة سقراط الفلسفية إلى الفلسفة و العلم عند أفلاطون**

يمثـــل ســـقراط لحظـــة فلســـفية أساســـية فـــي الفكـــر اليونـــاني؛ و رغـــم أن فلســـفة أفلاطـــون وأرســـطو تمثـــل أوج مـــا بلغتـــه الفلســـفة اليونانيـــة علـــى الإطـــلاق، بـــل و مـــا بلغتـــه الفلســـفة إلـــى يومنـــا هـــذا – إذا مـــا أضـــيف إليهـــا كانط– رغـــم ذلـــك فـــإن ســـقراط كـــان ربمـــا "الفيلســـوف الوحيـــد الـــذي يعـــرف

---

(12)– أميرة حلمي مطر: "الفلسفة عند اليونان" دار النهضة العربية، القاهرة،1968، ص86–87

(13)– أنظر مادة "بارمنيدس" في "معجم أعلام الفكر الإنساني" إعـداد نخبـة مـن الأسـاتذة المصـريين، الهيئـة المصـرية العامة للكتاب 1984، ص 827

(14)– مصطفى النشار: "نظرية المعرفة عند أرسطو" مرجع سابق، ص31

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الجميـــع اســـمه علـــى الأقـــل".[15] فهـــو بمثابـــة في "نفـــس" الفلســـفة و تاريخهـــا مـــن خـــلال قصـــة محاكمتـــه و إعدامـــه، و كـــذا مـــن خـــلال حضـــوره كشخصـــية بطلـــة فـــي محـــاورات أفلاطـــون. و ســـقراط كان دوما بمثابـــة الوصـــي و الحـــارس المـــلازم دائمـــا للفلســـفة منـــذ نشـــأتها إلـــى اليوم، و هو لذلك ينتمـــي إلـــى تـــاريخ الفلســـفة أكثـــر مـــن انتمائـــه إلـــى الفلســـفة، فهو لم يترك لنـــا أي عمـــل مكتـــوب، و حياتـــه و أفكـــاره نقلـــت لنـــا عـــن طريـــق الشـــاعر الســـاخر أريســـطوفان و المـــؤرخ و العســـكري زينوفـــون، و خاصـــة عن طريق أفلاطون و تحديدا من خلال محاوراته الشهيرة.[16]

و مشـــكلة مصـــادر معرفتنـــا بســـقراط تطـــرح أمامنـــا مشـــكلة التعـــرف علـــى فلســـفته ومذهبـــه فيهـــا. إلا أن مـــا وصـــلنا عـــن طريـــق محـــاورات أفلاطـــون و خصوصـــا "المحـــاورات الســـقراطية" يبـــين لنـــا أن المبـــدأ الرئيســـي في فلسفة ســـقراط هـــو البحـــث عـــن المعرفـــة، لأنـــه كـــان يـــرى أن المعرفـــة لا يمكـــن أن تقـــوم علـــى أســـاس صـــحيح إلا بعـــد دراســـة طـــرق الوصـــول إلـــى المعرفـــة. ثـــم إن الأخـــلاق نفســـها لا يمكـــن أن تقـــوم إذا لـــم تســـبق بـــالعلم، لأن الفضيلة تقوم على العلم. و ســـقراط حـــين بـــدأ مـــن هـــذا المبـــدأ قـــد غيـــر وجهـــة نظر الفلاســـفة لأنـــه وجـــه نظـــر الفلســـفة إلـــى معرفـــة الماهيـــات أو المـــدركات، بدلا من توجهها إلى معرفة الموضوعات الخارجية"[17]

و إذا كان ســـقراط قـــد أنـــزل الفلســـفة مـــن الســـماء إلـــى الأرض، حســـب عبـــارة شيشـــرون، فإنـــه وضـــع الأســـس الأولـــى للمـــذهب المثـــالي الـــذي ســـار

---

(15)– براترند رسل "حكمة الغرب" Ig ، مرجع سابق، ص97

(16)– أنظر مادة سقراط في Alain lercher «les mots de la philosophie» ed belin paris 1985p10

(17) – أنظر مادة سقراط في : عبد الرحمـــان بـــدوي "موســـوعة الفلســـفة" Ig المؤسســـة العربيـــة للدراســـات والنشـــر، بيروت ط الأولى 1984، ص576

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



عليه بعد ذلك العديد من الفلاسفة و خاصة توجيه الفلسفة من البحث في قضايا الطبيعة إلى البحث في النفس؛ فوجه اهتمامه نحو موضوعين أساسين هما النفس الإنسانية والتصورات الأخلاقية، و هو الأمر الذي دفعه إلى استعمال العقل و التأمل بدل التجربة و المشاهدة و استخدام الحواس.[18]

و في معرض حديثه عن سقراط و مجهوداته في جعل الممارسة الفلسفية و العلمية ترتبط و تحيل على اللوغوس، يقول أرسطو ما يلي: "لقد انصرف سقراط عن البحث في الطبيعة كلية و عكف على دراسة الموضوعات الأخلاقية و في هذا المجال كان يعنى بالكلي و كان أول من أقام العلم على التعريفات ... لقد كان سقراط يعنى بالبحث عن الماهية و الاستدلال القياسي... و هناك شيئان يمكن أن ننسبهما إلى سقراط: الاستدلال الاستقرائي، و التعريف الكلي، و كلاهما يتعلق بنقطة البداية في كل العلوم".[19]

هكذا، إذن، كانت لحظة سقراط الفلسفية حاسمة و محددة في تاريخ الفلسفة سواء قبل سقراط أو بعده، و خاصة أفلاطون و أرسطو اللذان ورثا عنه عصارة الفلسفة اليونانية، ذلك أننا إذا رجعنا إلى الفلسفة الطبيعية ما قبل سقراط " فسوف نجد أنها كانت تدور حول افتراض مبدأ لحركة الكون و نشأته. و قد ذهب البعض إلى وضع تفسير مادي لهذا المبدأ و ذهب الفيثاغوريون إلى التفسير الرياضي. أما الفلسفة الإيلية فقد انصرفت عن تفسير عالم الظواهر الطبيعية فكانت نقطة

---

(18)– أنظر أميرة حلمي مطر: "الفلسفة عند اليونان" ص 146-147

(19)– أوردته أميرة حلمي مطر في المرجع و الموضع نفسه

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



البدايـــة فـــي تحويـــل الفكـــر الطبيعـــي نحـــ
وانصرفت إلـــى البحـــث فـــي فكـــرة الوجـــود، و مـــن هنـــا يمكـــن أن تعـــد هـــذه الفلسفة بالذات من أهم مقدمات الفكر المثالي عند سقراط و أفلاطون".[20]

و إذا كـــان هـــذا الأخيـــر، نقصـــد أفلاطـــون، قـــد تـــأثر- بالإضـــافة الـــى ســـقراط- بفلاســـفة آخـــرين أمثـــال فيثـــاغورس، صـــاحب الاتجـــاه الـــديني والإيمـــان بـــالخلود و احترامـــه للرياضـــة والعقـــل و النظـــر الصـــوفي. و أمثـــال بارمنيـــدس المـــؤمن بـــأن العـــالم الواقـــع أبـــدي لا يقـــع فـــي الـــزمن، و أمثـــال هرقليطس الـــذي يقـــرر أن العـــالم المحســـوس لا دوام فيـــه لشـــيء مـــا. وهـــؤلاء الثلاثـــة إذا جمعنـــا مـــذاهبهم إلـــى بعضـــها بعـــض نصـــل إلـــى النتيجـــة بـــأن المعرفة لا تستمد من الحواس، و إنما يكونها العقل وحده.[21]

إذا كـــان أفلاطـــون قـــد تـــأثر بهـــؤلاء جميعـــا و فـــي مـــذهب يكـــاد يكـــون واحـــدا و هـــو مـــذهب العقـــل فـــي المعرفـــة؛ فإنـــه بالمقابـــل أخـــذ عـــن ســـقراط "اهتمامـــه بالمســـائل الخلقيـــة، و ميلـــه إلـــى البحـــث عـــن تعلـــيلات للعـــالم تكـــون أقرب إلى التعليلات الغائية منها إلى التعليلات الميكانيكية." [22]

و إذا أردنـــا أن نجمـــل أهـــم الموضـــوعات التـــي تناولتهـــا فلســـفة أفلاطون فإننا نقـــول أنهـــا كانـــت أولا "مدينتـــه الفاضـــلة". ثـــم ثانيـــا نظريتـــه فـــي المثل التـــي كانـــت أول محاولـــة تهـــم حـــل مشـــكلة المعـــاني. و الثالـــث نظريتـــه فـــي الخلـــود، و الرابـــع نظريتـــه فـــي الكـــون. و الخـــامس موقفـــه مـــن مشـــكلة

---

[20]– المرجع نفسه ، ص 152

[21] – برتراندرسل : "تاريخ الفلسفة الغربية" ج I، مرجع سابق ص 177-178

[22]– المرجع والموضع نفسه.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



المعرفـــة و اعتبـــاره إياهـــا بأنهـــا أقـــرب إلـــى تكون إدراكا حسيا.[23]

إن مشـــكلة العلـــم و الـــتعلم احتلـــت موقعـــا محوريـــا فـــي فلســـفة أفلاطـــون و ذلـــك مـــن خـــلال اهتمامـــه بمشـــكلة المعرفـــة و تحديـــد موضـــوعها، و فـــي ذلـــك قســـم أفلاطـــون أنـــواع المعرفـــة المختلفـــة، ففـــرق "بـــين معرفـــة المحسوســـات و بـــين معرفـــة المعقـــولات، إذ أن بعضـــها يتنـــاول معقـــولات لا تســـتغني عـــن المحسوســـات و عـــن الفـــروض اليقينيـــة، و هـــذا فكـــر اســـتدلالي من قبيل المعرفـــة الرياضـــية، و بعضـــها يتنـــاول المعقـــولات التـــي هـــي مبـــادئ كـــل شـــيء و هـــي المثـــل و معرفتهـــا تعقـــل".[24] كمـــا أن الجـــدل أو الـــديالكتيك في نظـــر أفلاطـــون هـــو "أرقـــى مراتـــب العلـــم، و لا ينبغـــي لمـــن لـــم يتمـــرس بدراسة الرياضيات أن يزاوله". [25]

و إذا كـــان مـــن الصـــعب قبـــل مجـــيء أفلاطـــون أن نميـــز فـــي اللغـــة اليونانيـــة بـــين العلـــوم النظريـــة كالهندســـة و الرياضـــيات، و بـــين أشـــكال المعرفة الأخـــرى، و الـــتعلم بمـــا فـــي ذلـــك تعلـــم المهـــن و الحـــرف. فإننـــا مـــع أفلاطـــون سنشـــهد أول محاولـــة جـــادة لتمييـــز و تحديـــد مفهـــوم العلـــم، و لكـــن ليس ذلـــك بمعـــزل عـــن التفكيـــر و النســـق الفلســـفي الأفلاطـــوني برمتـــه. ولـــيس غريبـــا أن تـــرتبط الرياضـــيات بالـــديالكتيك، ولـــن نلمـــس تمييـــزا حقيقيـــا بينهمـــا إلا فـــي "الجمهوريـــة" حيـــث يميـــز أفلاطـــون بـــين الرياضـــيات كنمـــوذج للمعرفـــة، وبـــين الجـــدل كأســـلوب فلســـفي بامتيـــاز. و فـــي "الجمهوريـــة" فقـــط

---

(23)– المرجع نفسه ، ص176.

(24)– أنظر مادة "أفلاطون" في: "معجم أعلام الفكر الإنساني" مرجع سابق ص 617.

(25)– المرجع والموضع نفسه.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



سـيعرف العلـم ممـثلا فـي الرياضـيات تطـو
و نموذج للمعرفة.[26]

إن أهميـة العلـوم الرياضـية بالنسـبة إلـى أفلاطـون تفسـر إلـى حـد بعيـد عقلانيتـه و قيـام فلسـفته، و نظريـة المعرفـة لديـه بشـكل خـاص علـى العقل و التفكيـر القبلـي, و هـو مـا يفسـر أيضـا تلـك العبـارة التـي وضـعها علـى مـدخل أكاديميتـه و التـي يمنـع دخولهـا علـى مـن لـم يكـن ملمـا بالرياضـة و الهندسـة , لـذلك جعـل مـن دراسـة الرياضـيات مـدخلا لدراسـة الفلسـفة وبلـوغ الحكمـة. والعلـوم الرياضـية بالنسـبة لأفلاطـون تـتلخص فـي أربعـة: الحسـاب و الهندسـة والفلـك و الموسـيقى. وهـو " لا يعنـي بالحسـاب فن العـد الـذي يسـتخدمه التـاجر أو القائـد و لكنـه يعنـي بـه دراسـة نظريـة للأعـداد ولخصائصـها. أمـا الهندسـة فهـي ليسـت قيـاس المسـاحات و لكنهـا دراسـة للنسـب المعقولـة. أمـا علـم الفلـك فهـو دراسـة للنظـام البـادي فـي حركة الكواكب. وقـد ارتـبط علـم الموسـيقى عنـد أفلاطـون بعلـم الفلـك , لان الموسـيقى تبحـث فـي الائـتلاف و النسـب الرياضـية التـي تـدخل فـي نظرياتها.[27]

إلا أن إبعـاد أفلاطـون للحـواس مـن دائـرة مصـادر المعرفـة لا يجـب أن يفهـم إلا فـي إطـار الفلسـفة و المنهـاج الأفلاطـوني العـام , فالقصـد والهدف هـو " إبعـاد العقـل عـن الحـواس باتجـاه الممارسـة الخالصـة للتفكيـر

---

(26)– أنظر بالتفصيل:

- JEAN –Baptiste Gourinat : « Platon et l'invention de la science » dans « les philosophes et la science » ouvrage collectif . ed Gallimard . 2002. PP :72-85.

(27) – أميرة حلمي مطر:"الفلسفة عند اليونان" مرجع سبق ذكره . ص 188.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



القبلـــي... [لأن] المعرفـــة الحقيقيـــة لا تـــأتي مـــ
من التفكير الرياضي المجرد".[28]

إلا أن أفلاطـــون فـــي واقـــع الأمـــر " لا يريـــد أن يســـتبعد القضـــايا التجريبيـــة عـــن تصـــوره للمعرفـــة بمقـــدار مـــا يقتـــرح انـــه يجـــب علينـــا أن نتخطاهـــا, أو أن "نفارقهـــا" إذا كنـــا نـــود الوصـــول إلـــى الفهـــم الصـــحيح. وأفلاطـــون فـــي هـــذه الرؤيـــة معنـــي بإظهـــار أن الحكمـــة الفلســـفية الحقيقيـــة يجب أن تتضـــمن لا معرفـــة مـــا هـــو حقيقـــي و حســـب, بـــل "فهـــم" لمـــاذا هـــو حقيقي.[29]

من هنـــا نفهـــم جيـــدا لمـــاذا طغـــت النزعـــة الرياضـــية علـــى كـــل جانـــب من جوانب تفكيـــر أفلاطـــون إلـــى درجـــة جعلـــت معهـــا فيلســـوفنا يفســـر العـــالم كلـــه تفســـيرا رياضـــيا, حتـــى أن مفـــاهيم مثـــل"المثـــل" و "التـــذكر" و"الـــتعلم" و"الجـــدل" و "المنطـــق" تحيـــل فـــي النهايـــة علـــى مصـــدر واحـــد للمعرفـــة وهـــو العقل، و" دفعـــا لكـــل ارتيـــاب فـــي القيمـــة الموضـــوعية للحقيقـــة, كـــان أفلاطـــون مضطرا للتقدم نحو المثال الخـــالص ليجعـــل الحقيقـــة مســـتقلة عـــن كـــل مـــا هـــو فردي أو حســـي. فهـــدف جـــدل المثـــل الخالصـــة عنـــد أفلاطـــون, أو منطقـــه, أو نظرية العلـــم, جعـــل العلـــم نفســـه يوجـــه الممارســـة لأول مـــرة مســـتخدما تلـــك المعـــايير العقليـــة الخالصـــة أو المثـــل، التـــي لا يمكـــن اعتبارهـــا, بحـــال مـــن الأحـــوال, نتاجـــا تجريبيـــا اســـتقرائيا لعلـــوم الوقـــائع. وبانجـــاز هـــذه المهمـــة يكون الجدل الأفلاطـــوني قـــد ســـاعد إلـــى حـــد كبيـــر فـــي خلـــق العلـــوم و فـــي

---

[28] – جون كوتنغهام: "العقلانية، فلسفة متجـــددة" ترجمـــة محمـــود منقـــذ الهاشـــمي، مركـــز الإنمـــاء الحضـــاري، حلـــب سوريا، ط الأولى، 1997، ص 29

[29] – المرجع نفسه، ص32

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الكشـف عـن معقوليـة المصـدر الـذي تستم (30)

إن هـذه الإحالـة إلـى العقـل و النزعـة الرياضـية للأفلاطونيـة ستقابلها لاحقـا نزعـة طبيعيـة أرسـطية تعتمـد فـي تفسـيرها للعـالم و الأشـياء على التفسـير الطبيعـي و الـذي يحيـل بـدوره علـى أشـياء أربعـة محسوسـة و هـي النـار و المـاء و الهـواء و الأرض. ورغـم أن هـذه النزعـة الطبيعيـة الأرسـطية "انتصـرت زمنـا طـويلا و سـادت فـي العصـر الوسـيط. ولكـن النزعـة الأفلاطونيـة، ونعنـي بهـا التفسـير الرياضـي للأشـياء, عـادت مـرة أخرى للحياة منـذ الفلسـفة الحديثـة, و اشـتد سـاعدها فـي الفلسـفة المعاصـرة. فنحـن نعـيش اليـوم فـي ظـل الرياضـة، وحتـى المنطـق الحـديث أصـبح منطقـا رياضـيا، وارتفـع شـأن الفلاسـفة الرياضـيين مـن أمثـال اينشـتين برتراند رسـل و هوايتهيـد، ممـن اعتمـدوا علـى الرياضـة فـي تصـوراتهم الفلسفية".[31]

**ثالثا: العقلانية و العلم عند أرسطو:**

كثيـرون هـم الـذين يعتبـرون أرسـطو هـو أفلاطـون متخفيـا, أو هـو تلميـذه النجيـب وشـارح أفكـاره وآرائـه, وكثـر هـم الـذين يعتبـرون أرسـطو هـو التلميـذ الـذي تفـوق علـى أسـتاذه وتجـاوزه فـي الكثيـر مـن الأمـور والقضـايا, ولكـن الثابـت هـو أن أرسـطو كـان " يبـدأ دائمـا فـي دراسـة أي موضـوع بتحديـد نقـاط الاخـتلاف بينـه و بـين أفلاطـون ثـم يعـود ليؤكـد

(30) – يوسف سـليم سـلامة: "المنطـق عنـد أدموندهسـرل، نظريـة العلـم" دار حـوران، دمشـق سـوريا، ط أولـى، 2002،ص 53

(31) – أحمد فؤاد الأهواني: "أفلاطون" سلسلة نوابغ لا الفكر الغربي، دار المعارف، مصر، ط رابعة [د ت] ، ص 73

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



بحجـــج جديـــدة أراء أســـتاذه" [32] خاصـــة فـ

والسياسة.

ورغـــم أن الأمـــر لـــيس بـــالهين و البســـاطة عنـــدما يتعلـــق الأمـــر بالفلسفة وتاريخهـــا, إلا انـــه يمكـــن القـــول والإقـــرار مـــع "جـــون كوتنغهـــام" انـــه "إذا كـــان بالإمكـــان البرهـــان الواضـــح علـــى دور أفلاطـــون بوصـــفه مؤسســـا للعقلانيـــة, فـــإن إســـهام أرســـطو اشـــد غموضـــا بكثيـــر. و كثيـــرا مـــا يجـــري الادعـــاء بـــان أرســـطو مؤســـس التجريبيـــة , ممـــا يعطينـــا الصـــورة الرائعـــة المشـــرقة لواحـــد مـــن العملاقـــين الفلســـفيين اليونـــانيين يقـــف علـــى رأس كـــل جيش من الجيشين الكبيرين المتنافسين للعقلانيين و التجريبيين."[33]

و الســـؤال الأساســـي الـــذي يمكـــن طرحـــه هاهنـــا هـــو مـــا موقـــف أرســـطو مـــن الحـــواس وهـــل صـــحيح انـــه اعتبرهـــا الأســـاس النهـــائي لكـــل معرفة؟ ثـــم مـــا موقفـــه مـــن المعرفـــة القبليـــة أي المعتمـــدة علـــى العقـــل؟ يقـــول كوتنغهـــام دائمـــا وحـــول هـــذا الســـؤال تحديـــدا: " يقتـــرح أرســـطو فـــي كتابـــه " فـــي الـــنفس" أن القـــدرة علـــى الفهـــم تتطلـــب تشـــكيل الصـــور العقليـــة , وهـــذا يتطلـــب القـــدرة علـــى الإدراك الحســـي" إذ لـــم يـــدرك المـــرء الأشـــياء إدراكـــا حسيا فلـــن يـــتعلم أو يفهـــم أي شـــيء". و هكـــذا فـــان وصـــف أرســـطو لأعمـــال العقلـــي تجـــري بمقـــدار مـــا يـــؤمن أن المعرفـــة تشـــترط مســـبقا و علـــى نحـــو أساســـي القـــدرة علـــى إدراك العـــالم مـــن حولنـــا بواســـطة الحـــواس. أمـــا فـــي مســـألة المعرفـــة القبليـــة فلـــيس واضـــحا علـــى الإطـــلاق أن أرســـطو يـــرفض الرؤيـــة الأفلاطونيـــة القائلـــة بـــان العقـــل يمكـــن أن يزودنـــا بالحقـــائق

---

[32] – مصطفى النشار: "نظرية العلم الأرسطية، دراسة في منطق المعرفة العلمية عند أرسطو"، دار المعارف مصر، ط أولى،1986 ص7

[33] – جون كوتنغهام: "العقلانية ..." مرجع سابق، ص37

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الضـــرورية الجوهريـــة عـــن العـــالم. و إذا نظر للتفكيـــر العلمـــي، تبـــين انـــه متـــأثر بشـــدة بالتصـــور البـــديهي أو الاســـتنباطي للمعرفـــة. وبـــدلا مـــن الإصـــرار علـــى الإجـــراءات الاســـتقرائية القائمـــة علـــى الملاحظـــات الحســـية, كـــالتجريبيين المتـــأخرين أمثـــال فرنســـيس بيكـــون, يحـــاجّ أرســـطو أن المعرفـــة العلميـــة الحقيقيـــة يجـــب أن تتضـــمن البـــراهين المنطقيـــة الصارمة " [34] و التي لا ترتبط، كما نعلم، إلا بمبادئ العقل و المنطق.

فـــي هـــذا بعـــض الجـــواب علـــى الســـؤال أعـــلاه, ولكـــن الإجابـــة لـــن تكتمـــل، فـــي نظرنـــا إلا إذا أبقينـــا علـــى المقارنـــة الموضـــوعية أصـــلا بـــين أرســـطو وأفلاطـــون. " لقـــد كـــان أرســـطو حريصـــا دائمـــا علـــى تأكيـــد الفـــرق بين مذاهبـــه هـــو ومـــذاهب أفلاطـــون, وميلـــه إلـــى هـــذا الموقـــف يجعلـــه يتجـــه بانتظام إلـــى الحـــديث و كأنـــه يعتنـــق نظريـــة طبيعيـــة تمامـــا و تجريبيـــة تمامـــا لا توجـــد فيهـــا " خيـــالات قمريـــة تعلـــو علـــى التجربـــة ". و مـــع ذلـــك، فـــان نتائجـــه التـــي ينتهـــي إليهـــا بشـــان كـــل النقـــاط ذات الأهميـــة يصـــعب كثيـــرا تمييزهـــا عـــن النتـــائج التـــي وصـــل إليهـــا أفلاطـــون. (...) ففـــي كـــل جوانـــب فلســـفته يظهـــر أرســـطو أفلاطونيـــا "رغـــم انفـــه" و هـــذا العنصـــر الأفلاطـــوني في فكره هو الذي جعل له ذلك التأثير على العقول."[35]

و مثل هذا الـــرأي يـــذهب إليـــه و يؤكـــده برتراند رســـل عنـــدما يقـــول: " لكي نفهـــم أرســـطو ينبغـــي أن نـــذكر انـــه أول ناقـــد لأفلاطـــون , ومـــع ذلـــك لا يمكـــن القـــول إن نقـــد أرســـطو كـــان يرتكـــز فـــي كـــل الأحـــوال علـــى معرفـــة صـــحيحة.(...) وبـــالطبع يمكننـــا أن نفتـــرض أن أرســـطو قـــد عـــرف

---

[34] – المرجع نفسه ص 38 ، 39

[35] – ألفراد إدوارد تايلور: "أرسطو" ، ترجمة، د. عزت قرني، دار الطليعة، بيروت، ط أولى، 1992، ص 39-40.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الرياضـــيات الســـائدة فـــي عصـــره, و هـــو الأكاديمية تؤكده، و لكـــن مـــن المؤكـــد أيضـــا أنـــه لـــم يكـــن ميـــالا إلـــى الفلســـفة الرياضية لأفلاطون بل انه لم يفهمها أبدا في الواقع."[36]

مثـــل هـــذه الأحكـــام القاســـية تـــدفعنا لا محالـــة، إلـــى التســـاؤل حـــول أهميـــة و أصـــالة فكـــر و فلســـفة أرســـطو, خاصـــة إذا علمنـــا أن تـــأثير أرســـطو من الناحية التاريخية كـــان "معوقـــا, ويرجـــع ذلـــك أساســـا إلـــى الجمـــود الأعمـــى و الـــذليل لـــدى الكثيـــر مـــن أتباعـــه."[37] لا بـــل إن بعـــض الدارســـين و المؤرخين يذهب فـــي تحاملـــه علـــى أرســـطو إلـــى حـــدود قصـــوى, فلقـــد "ذهـــب بعضهم إلـــى حـــد التوكيـــد علـــى رداءة أرســـطو فـــي الرياضـــيات, وعلـــى جهلـــه بمـــا بلغتـــه مـــن انتصـــارات, وبمســـائلها العاليـــة. (...) ذلـــك أن بعـــض المـــؤرخين يلوحـــون بـــأن محـــاولات أفلاطـــون، فـــي تـــرييض الواقـــع (...) كـــان بوســـعها أن تبلـــغ القصـــدّ, لـــولا الحـــاجز الأرســـطي."[38] وهـــو الحـــاجز الـــذي يعتبـــره المؤرخـــون المســـؤول الأول و الأخيـــر عـــن تـــأخر مولـــد العلـــم الحديث لمدة تجاوزت ألفي سنة .

الحـــق أن مثـــل هـــذا النقـــاش المتعـــارض حـــول مكانـــة أرســـطو التاريخيـــة شـــكل ولا زال احـــد أهـــم نقـــاط الجـــذب فـــي الفكـــر الحـــديث والمعاصـــر, لمـــا لأهميـــة وخطـــورة و تـــأثير أرســـطو فـــي مجمـــل الفلســـفة والفكـــر البشـــري عمومـــا لمئـــات الســـنين, و "لعـــل شخصـــية مـــا مـــن الشخصيات لم تثـــر مـــن الإعجـــاب الـــذي لا حـــد لـــه, و النقـــد و الحملـــة اللـــذين

---

[36] – برتراند رسل : " حكمة الغرب " ج1 ، مرجع سابق ، ص 155

[37] – المرجع نفسه, ص156

[38] – ابو يعرب المرزوقي :"استيمولوجيا ارسطو مـن خـلال منزلـة الرياضـيات فـي قولـه العلمـي " الـدار العربيـة للكتاب , طرابلس, ليبيا , 1985 , ص8.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



لا حـــد لهمـــا أيضـــا، كمـــا أثـــارت شخصـــية أرسطو فـــي نظـــر العصـــور الوســـطى المثـــل الأعلـــى للفكـــر الإنســـان , وكانـــت فلسفته ينبـــوع الحقيقـــة التـــي إذا خالفهـــا شـــيء فهـــو قطعـــا علـــى ضـــلال. (...) و لكـــن جـــاء العصـــر الحـــديث فحطـــم, أو –علـــى الأقـــل– بـــدأ بـــأن هـــزّ هـــذا النيـــر الـــذي طغـــى علـــى التفكيـــر فـــي العصـــور الوســـطى, وأصـــبح يعـــارض شخصية أرســـطو كـــل المعارضـــة. و اســـتمرت الحـــال علـــى هـــذا النحـــو حتـــى الآن."[39]

لســـنا هنـــا بصـــدد الانخـــراط فـــي الانتصـــار لهـــذه الفلســـفة أو هـــذا الفيلســـوف علـــى ذاك أو غيـــره مـــن الفلاســـفة أو العكـــس، و لســـنا كـــذلك نجـــادل فـــي أهميـــة و مكانـــة أرســـطو التاريخيـــة، ونحســـب أن ردّات الفعـــل النقديـــة و الرافضـــة للهيمنـــة الأرســـطية مـــع مطلـــع العصـــور الحديثـــة، خاصـــة مـــع الفيلســـوفين فرنســـيس بيكـــون و ديكـــارت و أتباعهمـــا، يمكـــن فهمـــه فـــي إطـــاره المـــرتبط، تحديـــدا و حصـــرا، بمولـــد العلـــم الحـــديث و مـــا تطلبـــه ذلـــك من عـــودة قويـــة إلـــى الرياضـــيات فضـــلا عـــن مولـــد مفهـــوم جديـــد للتجريبيـــة مع بيكون، يختلف عنه مع الفهم الأرسطي لها.

و مهما يكـــن، و انســـجاما مـــع مـــا ذهبنـــا إليـــه فـــي بدايـــة هـــذا الفصـــل، من أن الفلســـفة اليونانيـــة كانـــت و لزالـــت نقطـــة جـــذب عظـــيم لكـــل مســـارات الفلســـفة و الفكـــر البشـــري لاحقـــا. وبتعبيـــر غـــادامير لازال أفلاطـــون وأرســـطو يشـــكلان "الأســـاس المتـــين" لـــيس فقـــط للعقـــل الغربـــي الحـــديث والمعاصر بـــل حتـــى للفكـــر و الفلســـفة قبـــل ســـقراط ... فهـــو يقـــول فـــي هـــذا الصدد: "إن موضـــوعتنا الحقيقيـــة هـــي: "الفلســـفة قبـــل ســـقراط و بدايـــة التفكيـــر

---

[39] – عبد الرحمن بدوي :" موسوعة الفلسفة "ج1 , سبق ذكره ,ص127

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الغربـــي". (...) والحـــق إن الســـؤال الأول المهـ أن نســـتخدمها لتســـاعدنا فـــي هـــذه الموضـــوعة؟ و إجـــابتي عـــن هـــذا الســـؤال هـــي: إن النصـــوص الحقيقيـــة الأولـــى لموضـــوعتنا هـــي كتابـــات آفلاطـــون وأرسطو."[40]

هكـــذا، إذن، يشـــكل أرســـطو إلـــى جانـــب أفلاطـــون لحظـــة حاســـمة فـــي تـــاريخ العقـــل والفكـــر و الفلســـفة و "يكفـــي أن نشـــير بإيجـــاز إلـــى أن أعصـــى المشـــاكل التـــي عالجهـــا الفلاســـفة و مـــا زالـــوا، إن فـــي حقـــل المنطـــق أو علـــم الـــنفس أو الأخـــلاق أو السياســـة أو الإلهيـــات، مـــا زالـــت تـــرتبط جميعـــا بالمقدمات و المفاهيم و المصطلحات الأريسطوطالية."[41]

و علـــى ذكـــر المنطـــق فإنـــه لا يســـعنا إلا أن نؤكـــد مـــع راســـل عنـــدما يقـــول: "ربمـــا كـــان أشـــهر إســـهام قدمـــه أرســـطو إلـــى الفكـــر المنهجـــي هـــو مؤلفاته في المنطـــق. صـــحيح أن الكثيـــر مـــن هـــذه المؤلفـــات كـــان مســـتمدا مـــن أفلاطـــون، و لكـــن النظريـــات المنطقيـــة كانـــت عنـــد أفلاطـــون مبعثـــرة بـــين مـــواد أخـــرى كثيـــرة، علـــى حـــين أنهـــا أصـــبحت عنـــد أرســـطو مركـــزة ومعروضـــة بصـــورة ضـــلت تُعلّـــم بهـــا دون تغييـــر تقريبـــا حتـــى الوقـــت الحاضر."[42]

و لابـــد مـــن الإشـــارة فـــي هـــذا المجـــال إلـــى أن أرســـطو كـــان أول مـــن ميـــز بشـــكل ملمـــوس بـــين المعرفـــة و وســـائل المعرفـــة، و مـــن هنـــا كـــان لتـــداخل نظريـــة المعرفـــة عنـــده بـــالمنطق والميتافيزيقـــا مـــا يبـــرره معرفيـــا وفلســـفيا. وهكـــذا ركـــز أرســـطو اهتمامـــه علـــى "دراســـة العقـــل وإمكاناتـــه

---

(40)– هانز جورج غادامير: "بداية الفلسفة " مرجع سابق، ص41

(41)– د. ماجد فخري "أرسطو طاليس" دار المشرق، بيروت،ط الرابعة، 1999، ص6

(42)– براتراند رسل : "حكمة الغرب" ج1 مرجع سابق، ص 155.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



المعرفيـــة مـــن جانـــب، و محاولتـــه مـــن جانـــب لضـــبط التفكيـــر العقلـــي حتـــى لا يشـــتط العقـــل و لا يبتعـــد عـــن المجـــال المعرفي الصـــحيح. و مـــن هنـــا كـــان تأســـيس أرســـطو للمنطـــق و فصـــله عـــن بقية العلـــوم، كمـــا كـــان بحثـــه فـــي نظريـــة المعرفـــة، ومـــن هنـــا أيضـــا كانـــت بحوثه المتعددة فـــي هـــذا المجـــال مرتبطـــة ببعضـــها ارتباطـــا صـــعب عليـــه كمـــا صعب على من جاء بعده الفصل بينهما."[43]

و ريـــادة أرســـطو و أصـــالته فـــي تأســـيس و وضـــع علـــم جديـــد يســـمى علم المنطـــق تكـــاد تكـــون محـــل إجمـــاع، أو هـــي كـــذلك بالفعـــل " فبينمـــا يبنـــي أرسطو في الفلســـفة الطبيعيـــة و الإلهيـــة علـــى مـــا انتهـــى إليـــه الفلاســـفة الـــذين تقـــدموه كـــأفلاطون و أناكســـاغوراس و أنبـــذقليس وهـــراقليطس خاصـــة مـــن القـــدماء، يكـــاد لا يكـــون لـــه رائـــد فـــي هـــذا البـــاب، إذا إســـتثنينا ســـقراط وأفلاطـــون اللـــذين نبهـــا إلـــى بعـــض أصـــول الحـــوار المنطقـــي: كتحديـــد المفـــردات و أســـاليب التـــدليل و الإبطـــال بالقســـمة و الخلـــف، التـــي تحفـــل المحـــاورات الأفلاطونيـــة بالشـــواهد عليهـــا. أمـــا تصـــنيف مبـــادئ هـــذا العلـــم تضيفا علميا واضحا، فلم يسبق أرسطو إليه أحد قط."[44]

إن المنطـــق الصـــوري الـــذي وضـــعه أرســـطو، شـــكل بحـــق الآلـــة (الأورغـــانون) و الأداة الفكريـــة التـــي تهـــدي طريـــق العقـــل إلـــى المعرفـــة، وإذا أردنا الدقـــة فإنـــه إذا كـــان "الاســـتنتاج" يعـــد أهـــم قواعـــد و بنـــود المعرفـــة، فإن ذلك يطـــرح علينـــا بإلحـــاح مشـــكلة المعرفـــة، و فـــي ذلـــك نكـــون مجبـــرين لا محالـــة للبحـــث عـــن مقـــاييس و شـــروط المعرفـــة اليقينيـــة [45]، و "عـــن ســـبل

---

[43]– د. مصطفى النشار: "نظرية المعرفة عند أرسطو" مرجع سابق، ص 17.

[44]– د. ماجد فخري: "أرسطو طاليس" مرجع سابق، ص23.

[45]– المرجع و الموضع نفسه.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



التمييـــز بـــين الأقيســـة الفاســـدة و الأقيســـة ال
اليقين منها، و هو البرهان، وهـو مـا يـدور عليـه علـم المنطـق. و هـذا العلـم يكاد يكون من وضع أرسطو بحذافيره."[46]

و قـد اعتبـر أرسـطو المنطـق، أو مـا كـان يـدعوه فـي كتاباتـه بـالتحليلات و العلـم التحليلـي، اعتبـره "علـم التفكيـر الصـحيح أو علـم قـوانين الفكر الـذي يميـز بـين الصـحيح و الفاسـد مـن أفعـال العقـل، فـالمنطق آلـة العلـوم لأن كـل العلـوم مـن طبيعيـة و رياضـية واجتماعيـة تسـتخدم قواعـده و تحتـاج إليـه فـي حـين أنـه لا يحتـاج هـو إليهـا. موضـوعه العلـم لا مادته".[47]

تسـاءلنا فـي البدايـة عـن أهميـة و أصـالة أرسـطو، و كـان تسـاؤلنا ردة فعل عمّا اعتبر مسـؤولية أرسـطو عـن ركـود الفكـر و العقـل لأزيـد مـن ألفـي سـنة. و لا شـك أن مـا أعتبـر ركـودا و جمـودا كـان سـببه بالـذات المنطـق الأرسـطي، أي أن الفكـر البشـري بعـد أرسـطو لـم يكـن باسـتطاعته تجاوز منطقـه و فكـرة لقـرون طويلـة، و لعـل فـي ذلـك جـزء مـن الإجابـة عـن تسـاؤلنا أعـلاه؛ بمعنـى آخـر إن سـيادة الفلسـفة و المنطـق الأرسـطي طوال تلك الفترة لهـو دلالـة علـى أهميـة و أصـالة أرسـطو، مـن خـلال ذلـك التـأثير الهائـل الـذي طبـع الفكـر و العقـل البشـري لقـرون طويلـة و لا زال. و نحـن إذ نقـول مثـل هـذا الكـلام فـذلك بعيـدا عـن طروحـات الجمـود

---

(46)– المرجع و الموضع نفسه.

(47)– مهدي فضل الله: "مـدخل إلـى علـم المنطـق (المنطـق التقليـدي) " دار الطليعـة، بيـروت، ط4، 1990، ص27، ويحيل الكاتب على تمييز مهم بين صورة العلم و مادته قائلا: "من المعلـوم أن لكـل علـم مـن العلـوم مـادة و صـورة، فالمادة هي موضوع العلم الذي يتناوله بالدراسة. و الصورة هي القوانين الفكريـة التـي يسـتخدمها العقـل فـي دراسـته للموضوع (المادة)" الصفحة نفسها.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



والركـــود، فالمســـألة فـــي اعتقادنـــا جـــد نســـ

والفكر والعقل.

ولعـــل أحســـن مـــن عبـــر عـــن ذلـــك هـــو برتراند رســـل عنـــدما كتـــب يقول: " كـــان أرســـطو عظـــيم التـــأثير جـــدا فـــي ميـــادين كثيـــرة مختلفـــة، لكنـــه كان أعظم تأثيرا فـــي ميـــدان المنطـــق منـــه فـــي أي ميـــدان آخـــر، ففـــي الشـــطر الأخير من العصـــور القديمـــة، حـــين كـــان أفلاطـــون لـــم تـــزل لـــه الســـيادة فـــي الميتافيزيقيـــا، كـــان أرســـطو هـــو صـــاحب الكلمـــة العليـــا فـــي المنطـــق، و قـــد ظل محتفظـــا بهـــذه المكانـــة خـــلال العصـــور الوســـطى كلهـــا، و لـــم يحـــدث إلا فـــي القـــرن الثالـــث عشـــر أن أولاه الفلاســـفة المســـيحيون ســـيادة فـــي مجـــال الميتافيزقـــا، إلا أن هـــذه الســـيادة عـــاد فقـــدها إلـــى حـــد كبيـــر بعـــد النهضـــة الأوربية، و أما سيادته فـــي المنطـــق فلبثـــت قائمـــة، بـــل يـــزال مدرســـو الفلســـفة المتمســـكون بالقـــديم جميعـــا، و كثيـــرون غيـــرهم، يرفضـــون حتـــى اليـــوم فـــي إصـــرار عنيـــد أن يتطـــور إلـــى كشـــوف المنطـــق الحـــديث، و تـــراهم يتشـــبثون تشبثا عجيبا بمنطق قـــد نمســـخه الجديـــد نســـخا لا شـــك فيـــه، كمـــا أنتســـخ الفلـــك البطليموســـي ســـواء بســـواء، و ذلـــك يجعـــل مـــن العســـير علينـــا أن ننصـــف أرســـطو مـــن الوجهـــة التاريخيـــة، فتـــأثيره فـــي العصـــر الحاضـــر، يســـد علينـــا مسالك التفكير الواضح ســـدا يتعـــذر علينـــا معـــه أن نـــذكر كـــم كانـــت الخطـــورة التـــي خطاهـــا متقـــد مـــا علـــى أســـلافه جميعـــا (و فـــيهم أفلاطـــون) فســـيحة، أو نذكر كم كـــان تأليفـــه فـــي المنطـــق ليبـــدو حتـــى اليـــوم جـــديرا بالإعجـــاب، لـــو كان مرحلـــة مـــن طريـــق مســـتمر المراحـــل نحـــو التقـــدم بـــدل أن يكـــون (كمـــا كان فعلا) طريقا مسدودا، أعقبه ما يزيد على ألفي عام من الركود".[48]

[48]– برتراند رسل: "تاريخ الفلسفة العربية" Ig ، مرجع سابق، ص 312

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



نسـوق هـذه الفقـرة بأكملهـا لكـي نفهـ والآراء و الأحكـام حـول أرسـطو و فلسـفته، و لكـي نفهـم أيضـا أن المنطـق الصـوري الـذي سـاد لقـرون طويلـة، والـذي كـان بمثابـة المـدخل الحقيقـي لأي تفكيـر فلسـفي، و لأي ممارسـة للفكـر و العقـل، هـو المنطـق الأرسـطي نفسه الذي لـولاه لمـا كـان بالإمكـان أن تبـدأ حركـة الإصـلاح و نقـد المنطـق التقليـدي فـي أوربـا خـلال القـرن السـادس عشـر. و هـي الحركـة التـي أوجـدت "إتجاهـا علميـا تجريبيـا يهـدف إلـى إظهـار عـدم جـدوى اسـتخدام المنطق التقليـدي بصـفة عامـة و نظريـة القيـاس بصـفة خاصـة فـي التفكيـر العلمـي و تحصـيل حقائقـه أو الوصـول إلـى تعميماتـه أو البرهنـة علـى قوانينـه. و بـدأ التفكيـر فـي وضـع المنطـق الإسـتقرائي الـذي يتفـق و تقـدم العلم في ذلـك الوقـت، فوضـع فرانسـيس بيكـون أورجانونـه الجديـد بـدلا مـن الأورجـانون الأرسـطي القـديم، و أرسـى بـذلك قواعـد المـنهج الإسـتقرائي الجديد أو المنطق العلمي الجديد"[49]

و لابـد هنـا أن نشـير إلـى مسـألة فـي غايـة الأهميـة و هـي إرتبـاط المنطق الأرسطي بالرياضـيات، رغـم مـا يبـدو مـن عـزوف عنهـا مـن قبـل أرسطو، الـذي "حرصـا منـه علـى الإسـتقلال حتـى عـن المـنهج الأفلاطـوني

---

[49]– – دكتور عزمي إسلام في مقدمة ترجمته لكتاب ألفراد تارسـكي: "مقدمـة للمنطـق و لمـنهج البحـث فـي العلـوم الإستدلالية"، ترجمة عزمي إسلام، مراجعة فؤاد زكرياء، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، 1970، ص5.
بالإضافة الاتجاه العلمي التجريبي أعلاه يتحدث الدكتور عزمي إسلام في المقدمـة الهامـة لترجمـة الكتـاب عـن "إتجـاه صوري بدأ في الوقت نفسه الذي ظهر فيه المنطق العلمي، و هو اتجـاه يتجـه دعاتـه بـالمنطق وجهـة رياضـية، و قـد اتخذوا من طريقة التفكير الرياضي نموذجا يسعون إلى تطبيقه على العلوم المختلفـة، و لقـد تطـور هـذا الاتجـاه الأخيـر فأصبح منطقا رمزيا، يتلافى أوجه النقص التي كانت موجـودة فـي المنطـق الصـوري القـديم، و يعتبـر أعـم و أشـمل تطبيقا من المنطق العلمي. و هذا هو المنطق السائد في التفكير المعاصر الآن". المرجع و الموضع نفسه .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



لم يعر الرياضيات أهمية مباشرة، و مع هـ مباشرة، حيث إستند إليها في نظرياته المنطقية".[1(50)]

هكذا، إذن يبدو "العلم" الأرسطي، و المتمثل تحديدا في "الأورغانون" محطة و حلقة أساسية في مسار و تاريخ العقل، فهو "العلم" الوحيد، في نظرنا، الذي مكن العقل من فتح قارات جديدة في الفكر و النظر، لا بل مكن من اكتشاف مساحات شاسعة و هائلة من اليابسة التي ستتحول إلى أرضية في غاية الخصوبة لظهور ما يسمى بالعلم الحديث، رغم ما قيل و كتب من أن الأرسطية شكلت و لقرون، عائقا أمام الثورة العلمية الحديثة.

**رابعا– الفلسفة و "العلم" ..احتواء من أجل العقل**

تطل علينا مرة أخرى، قصة العقل و بدايتها اليونانية، كلما طرقنا باب الحديث عن الفلسفة و العلم و العقل، فلا مفر من الإقرار أن "للفكر العقلاني شهادة ميلاد، نعرف تاريخ و مكان ولادته. كان ذلك في القرن السادس قبل الميلاد، في المدن اليونانية بآسيا الصغرى. (...)

---

**(50)– ماهر عبد القادر محمد علي: "فلسفة التحليل المعاصر"، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص43 .**

**يلاحظ بحق الفيلسوف الإنجليزي و عالم اللاهوت الشهير فريديريك كوبلستون (1907–1994) في المجلد الأول من موسوعته الكبرى في تاريخ الفلسفة الغربية ما يلي: "كثيرا ما يطلق على المنطق الأرسطي اسم المنطق "الصوري"، من حيث أن منطق أرسطو هو تحليل لصور الفكر. (...) لكن سيكون من الخطأ الفادح أن نفترض أن المنطق عند أرسطو يعنى بأشكال التفكير البشري بطريقة حصرية تجعله لا يرتبط بالواقع الخارجي. فأرسطو يعنى أساسا بأشكال البرهان، و هو يزعم أن نتيجة البرهان العلمي تعطينا معرفة مؤكدة عن الواقع. فمثلا القياس الذي يقول: "كل إنسان فان، و سقراط إنسان، إذن سقراط فان" ليس مجرد استخلاص نتيجة صحيحة طبقا لقوانين المنطق الصوري. و إنما يفترض أرسطو أن النتيجة متحققة في الواقع. و من ثم فهو يفترض سلفا نظرية واقعية".**

**– انظر: فردريك كوبلستون: "تاريخ الفلسفة" المجلد الأول، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط أولى، 2002، ص380.**

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



ولادة الفلسفة في اليونان سجلت، بهذا المـ
لنقل: بداية الفكر و كفى...".[51]

و إذا كان الكثير من الفلاسفة و على رأسهم نيتشه قد وصفوا الفلسفة اليونانية بأوصاف و نعوت قد تختلف دلالاتها من فيلسوف إلى آخر، فإن وصف الحضارة اليونانية من قبل نيتشه بـ"الروح الأبولونية" و ذلك نسبة إلى الإله "أبولو"، له من الدلالات ما يفوق كل المعاني الأخرى. فالروح الأبولونية هي روح الانسجام و الاعتدال، وهي الخاصية التي تمتاز بها الحضارة اليونانية، كما أن "المثل الأعلى للرياضيات عند اليونانيين (...) هو الانسجام أي أنهم لم يكونوا يعنون من الرياضيات إلا بما فيه انسجام. و من هنا يمكننا أن نفهم الصلة القوية التي وضعوها بين الأعداد و الوجود، كما يظهر ذلك جليا في فلسفة فيثاغورس. و ذلك لأنه لما كانت الأعداد، في نظرهم، هي المثل الأعلى للإنسجام، ومن حيث أن الوجود –من ناحية أخرى– لا بد أن يفهم من جهة الانسجام، فلابد أن تكون ثمة رابطة أولية بين الأعداد والوجود. (...) و في الفلسفة اليونانية نرى فكرة الانسجام قد سادت كل التفكير اليوناني، و كل فيلسوف يحاول أن يحقق فكرة الانسجام في كل مذهب يقول به و كل نظرية يضعها".[52]

من هنا تبدوا جليا العلاقة الحميمية بين الفلسفة و "العلم"، و الذي هو هنا الرياضيات بلا منازع، علاقة نعبر عنها، من طرفنا، بلفظة

---

[51] –Jean-Pierre vernant : « mythe et pensée chez les grecs, études de psychologie historique » ed :F.M,Paris,1965,P :285.

[52] – عبد الرحمن بدوي: "ربيع الفكر اليوناني" مرجع سبق ذكره، ص39–40.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



"الاحتواء" من أجـل العقـل و الفلسـفة معـا. و .

رسل قـائلا: "إن ظهـور الفلسـفة اليونانيـة قـد اقتـرن بظهـور العلـم العقلـي. ذلـك لأن مـن طبيعـة المشـاكل الفلسـفية أن تظهـر عنـد الحـدود القصـوى للبحـث العلمـي, وهـذا يصـدق بوجـه خـاص علـى الرياضـيات, فمنـذ وقـت فيثـاغورس لعـب الحسـاب و الهندسـة دورا أساسـيا فـي الفلسـفة اليونانيـة, وهنـاك أسـباب متعـددة تجعـل للرياضـيات أهميـة خاصـة فـي هـذا الصـدد: أولهـا أن المشـكلة الرياضـية بسـيطة واضـحة المعـالم. وهـذا لا يعنـي أن حلهـا سـهل دائمـا, بـل إنهـا لا يتعـين أن تكـون بسـيطة بهـذا المعنـى. (...) ثانيا فإن الرياضـيات تتميـز بـأن لـديها طريقـة مسـتقرة للسـير فـي البرهـان. (...) و الواقـع أن عموميـة البرهـان و الإثبـات هـي اختـراع يونـاني علـى وجـه التحديـد. وفـي الرياضـة تظهـر وظيفـة البرهـان بوضـوح يفـوق مـا نجـده فـي معظـم العلـوم الأخـرى.(...) وثالثـا فـان نتـائج أي برهـان رياضـي, بمجـرد أن تفهـم علـى النحـو الصـحيح, لا تقبـل أي شـك. (...) وقـال الكثيـرون أن الرياضـيات هـي المعرفـة, بينمـا أنكـروا هـذا الوصـف علـى أي مصـدر آخـر للمعلومـات, (...) إن الرياضـيات تنتمـي إلـى عـالم الصور, ومن ثم فهي تزودنا بمعرفة".[53]

إقرار آخر لابـد منـه هـا هنـا, وهـو أن الفلسـفة تكـاد تكـون , أو هـي بالفعل , مرادفـة للعلـم فـي الفكـر اليونـاني، فـإذا كانـت الحكمـة تعنـي، فـي أحد مـا تعنيـه, معرفـة السـبب أو الأسـباب, فـإن معرفـة السـبب هـي العلـم ذاته. و بالنسـبة للفلاسـفة اليونـانيين فـإن التفلسـف يعنـي أساسـا "البحـث" عـن معرفـة تأمليـة لا مصـلحة لهـا –أو بمعنـى أدق مـأخوذة بالرغبـة العقلانيـة

[53] – رسل: "حكمة الغرب" Ic ، مرجع سبق ذكره، ص 189-190.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



فـــي التعـــرف والشـــرح والفهـــم- معرفـــة " ..."[54] إن التعبيـــر والإقـــرار نفســـه نجـــده عنـــد " كوبلســـتون"، فهـــو يعتبـــر اليونانيين "هم أول مـــن بحثـــوا عـــن المعرفـــة لـــذاتها وبـــروح علميـــة حـــرة غيـــر متحيزة".[55]

مـــن هنـــا، إذن، كـــان علـــى نظريـــة المعرفـــة فـــي الفلســـفة اليونانيـــة عموما. ولـــيس لـــدى أفلاطـــون وأرســـطو فحســـب، أن تنخـــرط لامحالـــة ضـــمن أفـــق تلـــك الحالـــة المشـــروطة بخصوصـــية العلاقـــة بـــين الفلســـفة والعلـــم (الرياضـــيات), إذ لاجـــدال فـــي أن " الفلســـفة اليونانيـــة ارتبطـــت بالرياضـــيات ارتباطا وثيقا " [56] .

ونظريـــة المعرفـــة, بهـــذا المعنـــى, تكـــون قـــد طبعـــت, منـــذ فيثـــاغورس إلى أرسطو وحتى بعـــده بقليـــل مـــع الـــرواقيين خصوصـــا, بطـــابع يمكـــن القـــول معـــه أن الفلســـفة و العلـــم تـــداخلا إلـــى درجـــة أصـــبح فيهـــا احتـــواء الحقيقـــة الفلسفية للحقيقـــة الرياضـــية أمـــرا واضـــحا جـــد, بـــل إن توجيـــه وتقنـــين وتقعيـــد الأولـــى للثانيـــة أضـــحى ســـمة العلاقـــة بـــين الفلســـفة و العلـــم, ممـــا جعـــل مـــن نظريـــة المعرفـــة فـــي الفلســـفة اليونانيـــة " تشـــغل وظيفـــة تركيـــز و تـــأمين رد فعـــل خـــاص اتجـــاه الممارســـة العلميـــة الرياضـــية بمعنـــى أنهـــا تتضـــمن بشـــكل مكثـــف مجمـــل العلاقـــات التـــي أقامتهـــا الفلســـفة مـــع نمـــوذج التفكيـــر النظـــري العلمـــي الـــذي بلورتـــه الرياضـــة. ولمـــا كانـــت الرياضـــيات قـــد أحـــدثت وقتئـــذ تحولا جذريا امتد إلـــى أطـــر التفكيـــر القـــائم نفســـها، فـــإن الفلســـفة التـــي كانـــت تتكون قد عملت علـــى مراقبـــة آثـــار هـــذا التحـــول و رصـــد عمـــق فعلـــه علـــى

---

(54) – **Joseph Vialatoux " L'intention philosophique " Ed : PUF , Paris . 1969. p 19.**

(55)– **فردريك كوبلستون : "تاريخ الفلسفة " ، سبق ذكره ، ص 47 .**

(56) – **المرجع نفسه ص 46.**

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الفضاء الثقافي العام. و من ثم فقد بنت مجاري هذا التأثير لصالحها وإقامة الخطاب الذي يعين للعلم الرياضي مكانه الذي "يجب" أن يكون له، في نفس الوقت الذي يحدد فيه نوع العلم الذي بدونه لا إمكان لقيام العلم، حتى و لو كان يقينيا وصارما كالهندسة و الحساب. و واضح أن خطابا كهذا هو جوهريا خطاب في الأسس،أي اقتراح الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها الحقيقة الرياضية. لأن العلم الرياضي، كما تتصوره الفلسفة هنا، ليس قادرا لوحده و من داخله على تأسيس ذاته"[57].

في هذا النص المطول الذي نسوقه هنا عن أحد الباحثين نلمس بتفصيل، ليس فقط مكانة الرياضيات في الفلسفة اليونانية، بل إننا نطل عن قرب على طبيعة "العقل اليوناني"، و طبيعة تشكله و بداياته و حتى نهاياته. و إذا كنا قد وقفنا على معنى "بداية الفلسفة" مع غادمير في صفحات سابقة من هذا الفصل، فإننا نحيل مرة أخرى على المعنى نفسه و الدلالات ذاتها، و لكن في مكان آخر هذه المرة، حيث نقرأ ما يلي: "إن البداية هي دائما أعظم الأشياء. أما ما يبدأ صغيرا فهو الصغير. إن ما يبدأ صغير هو التدهور و الانحطاط الذي قد يعظم بدوره فيصبح انحطاطا مطلقا. إن العظيم يبدأ عظيما، ولا يستمر كذلك إلا بعودة حرة إلى العظمة. وإذا كان الشيء عظيما فإنه لا ينتهي إلا في العظمة.وكان هذا هو الأمر في فلسفة اليونان، فقد انتهت في العظمة مع أرسطو".[58]

---

[57]– محمد هشام: "في النظرية الفلسفية للمعرفة، أفلاطون –ديكارت– كانط" إفريقيا الشرق، الدار البيضاء– بيروت ، 2001 ، ص33.

[58] – نجيب بلدي: "دروس في تاريخ الفلسفة" دار توبقال،الدار البيضاء ، ط ثانية، 1997، ص12.

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

# الفصـــــــــل الثـــاني

## الفلسفة الحديثة ونشأة العلم الحديث..العقلانية في بعديها العقلي والتجريبي

أولا:ديكارت وصياغة القول العلمي فلسفيا

ثانيا: عقلانية سبينوزا وليبنتز..صياغة جديدة للقول الفلسفي

1- عقلانية سبينوزا.

2-عقلانية ليبنتز.

ثالثا : الثورة التجريبية وصياغة العقل بعديا..لوك ، بركلي ، وهيوم، أو الفلسفة على المحك

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



إذا كـــان ســـقراط قـــد اعتبـــر دومـــا لحظ

اليونانيـــة، علـــى اعتبـــار أن تلـــك اللحظـــة تفصـــل بـــين الفلســـفة الأفلاطونيـــة والأرســـطية كنظـــريتين و نســـقين متكـــاملين مـــن جهـــة، و بـــين فلســـفة أو قـــول فلسفي عُدّ دوما على أنه الفلســـفة اليونانيـــة "مـــا قبـــل ســـقراط" فـــإن الأمـــر يكـــاد يتكـــرر مـــع شخصـــية فلســـفية فـــذة عـــدّت "بحـــق الشخصـــية المحوريـــة فـــي الانتقـــال مـــن الفلســـفة الكلاســـيكية إلـــى الفلســـفة الحديثـــة"[1] . إن هـــذه الشخصية هي الفيلســـوف الفرنســـي ديكـــارت، إنـــه يعـــد بحـــق "مؤســـس الفلســـفة الحديثـــة (...) فهـــو أول رجـــل ذي قـــدرة فلســـفية عاليـــة تـــأثرت نظرتـــه بعمـــق بالفيزيـــاء و الفلـــك الجديـــدين.(...) حـــاول أن يشـــيد صـــرحا فلســـفيا مـــن جديـــد. و لـــم يحـــدث هـــذا منـــذ "أرســـطو"، و هـــو علامـــة علـــى الثقـــة بـــالنفس جديـــدة نجمت عن تقدم العلم."[2]

و لكـــن فلســـفة ديكـــارت لـــم تكـــن لحظـــة "خارقـــة"، و بـــدون مقـــدمات فهـــي و إن كانـــت جديـــدة كـــل الجـــدة، و تفصـــلها عـــن الفلســـفة الأرســـطية مسافة طويلـــة مـــن الـــزمن، إلا أنهـــا كانـــت أيضـــا مســـافة هائلـــة مـــن المعـــاني والدلالات الفلسفية، فديكارت ولد بعـــد "مضـــي مـــا لا يقـــل عـــن ألفـــي ســـنة مـــن تـــاريخ الفلســـفة، و لـــم يظهـــر فـــي العـــالم الغربـــي علـــى الأقـــل، أي فيلســـوف جـــدير بالـــذكر. و ديكـــارت نفســـه لا يشـــير إلـــى مـــن ســـبقه مـــن المفكـــرين، وإنما يتحدث عن إرادته في التحرر من فلسفة أرسطو."[3]

إن فلســـفة ديكـــارت، كانـــت لا شـــك، مســـبوقة بمقـــدمات علميـــة وعقليـــة، مكنـــت مـــن ظهـــور هـــذه الفلســـفة الجديـــدة التـــي عُـــدت بحـــق بدايـــة

---

[1]- جون كوتنغهام : "العقلانية"، مرجع سابق، ص 47

[2]- برانرند رسل: " تاريخ الفلسفة الغربية "، الكتاب الثالث، الفلسفة الحديثـــة ترجمـــة: محمـــد فتحـــي الشـــنيطي، الهيئـــة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977، ص 104

[3]- نجيب بلدي: "دروس في تاريخ الفلسفة"، مرجع سابق، ص 70

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الفلسـفة الحديثـة و مـا صـاحبها مـن إنجـازا
شـك أن لمفكـري الحركـة الإنسـانية الايطاليـة، وبـدايات النهضـة الايطاليـة إجمـالا، دور حاسـم فـي هـذا المضـمار، فلقـد جـدد هـؤلاء المفكـرون "الاهتمـام بـالتراث الرياضـي للفيثـاغوريين و أفلاطـون. إذ بـدأ التأكيـد ينصـب مـرة أخـرى علـى التركيـب العـددي للعـالم، و بـذلك حـل محـل التراث الأرسطي الـذي كـان طغـى عليـه. وكـان ذلـك واحـدا مـن التطـورات الرئيسـية التـي أدت إلـى ذلـك الإحيـاء الرائـع للبحـث العلمـي فـي القـرنين السـادس عشـر و السـابع عشـر (...) و فـي أعقـاب هـذا الإحيـاء لأسـاليب التفكير القديمـة ظهـرت الثـورة العلميـة الكبـرى، التـي بـدأت بوصـفها نزعـة تتمسـك بالفيثاغوريـة بـدرجات متفاوتـة، و أخـذت تتخلـى بالتـدريج عـن الأفكار الأرسطية السائدة في ميداني الفيزياء و الفلك."[4]

و ليس المقصـود ب "الثـورة العلميـة" هنـا، سـوى نشـأة وظهـور العلـم الحـديث مـع رجـال أربعـة عظـام، هـم "كوبرنيكـوس"، "كبلـر"، "غـاليلو"، "نيـوتن". و دون التوسـع فيمـا أنجـزه هـؤلاء الأربعـة، و مـا أحدثـه إنجـازهم ذلك من ثورة حقيقيـة فـي النظـرة إلـى الكـون، اكتملـت ذروتهـا مـع الفيزيـاء النيوتونية، إلا أن الثلاثـة الأولـين شـكلوا حلقـة متكاملـة لتحـول عقلانـي نحـو وجهـة جديـدة، سـتغير مسـار العلـم و الفلسـفة معـا، دون سـابق عهـد و دون رجعـة، مسـار تجلـى بوضـوح فـي "التخلـي النهـائي عـن التصـور التقليـدي للعالم ككون مغلق مثّـل فـي حقيقـة الأمـر تقويضـا جـذريا لهـذا التصـور، أي إستبداله بتصور جديد..."[5]

---

[4]- براترند رسل: "حكمة الغرب" ج II ، ترجمة فـؤاد زكريـا، سلسـلة عـالم المعرفـة، الكويـت، ديسـمبر 1983، ص 46- 49 .

[5]- محمد هشام: " في النظرية الفلسفية للمعرفة" ، مرجع سابق، ص 50 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و يعبّر ألكسندر كويري عن هذه الحـ

أن النقطة الحاسمة تتمثل فيما يلي: فبينما كان كوبرنيك، الذي ورث التقليد الفيتاغوري و الأفلاطوني- الجديد (...) يبلور بناءه الفلكي انطلاقا من رؤية للكون كنظام متناغم (cosmos)، و بينما كان كيبلر، من خلال علم ديناميكي جد مختلف و بواسطة تقنية رياضية عميقة الجدة، يستلهم، مع ذلك تصورا للكون كتناغم و كسلسلة من الأجسام المنتظمة... إلخ، فإن هذا النوع من الاستدلال يختفي تماما مع تفكير غاليليو."[6]

نشأة العلم الحديث بمضامينه و تأثيراته الحاسمة على مسار الفلسفة و الفكر الأوربي، ستكتمل مع رابع هؤلاء الثلاثة الذين ذكرناهم أعلاه، و هو اكتمال عبر عنه رسل قائلا: "لقد أنجز "نيوتن" النصر النهائي و الكامل، الذي شق له الطريق "كوبرنيقوس" و "كبلر" و"غاليليو"."[7]

إن عبقرية "نيوتن" الفيزيائية و الرياضية، كانت حاسمة في توجيه العقل وجهته التي استمرت إلى عهد قريب، فعبقريته "أتمت

---

و عن التصور القديم للكون يقول الباحث نفسه: " لقد شكل الكون المتناغم عالما متناهيا ، بديع النظام و التنظيم، يقوم فيه المكان كتراتب يقدم الوجود ذاته بواسطته كقيمة. لذلك كان النظام الأنطولوجي للوجود في البدء وبالأساس نظاما قيميّا، و كان كل مبدأ نظام هو في الوقت نفسه مبدءا طبيعيا و أخلاقيا يتعين فهمه حسب قيم الحقيقة و الخير. و هذا هو مضمون التصور اليوناني القديم للعالم كما تعبر عنه الأفلاطونية مثلا. على أن هذا الكون الدائري المغلق كان ينتظم كذلك إنطلاقا من مركز محدد، الأرض، من أجل الانسان كغايته البعيدة. إلا أن انتظامه على هذه الصورة و من أجل تلك الغاية لا يمكن أن يستقيم إلا إذا تفكيره ككون متناه؛ إذ أن اللاتناهي، من هذا المنظور، تستحيل حتى إمكانية التفكير فيه. إن رؤية للعالم على هذا النحو التي سادت زمنا طويلا بفعل النفوذ المطلق للميتافيزيقا الأرسطية هي تلك التي وجدها غاليلو أمامه حين أتى إلى العالم سنة 1564" المرجع والموضوع نفسه.

(6) - Alexandre koyré : Etudes Galiléennes, Hermann, paris , 1996 , pp 11-12
أورده محمد هشام في المرجع نفسه ص 49.50

(7) – برتراند رسل: " تاريخ الفلسفة الغربية" ج III ، مرجع سابق، ص 70

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



بنجـــاح تكملـــة وجهـــة النظـــر عـــن العـــا
كوبرنيقـــوس، و جـــاليلو، و كبلـــر، و هـــيمن اســـمه علـــى العلـــم حتـــى العصـــور الحالية. إننـــا لا نـــزال معتـــادين علـــى أن نتحـــدث عـــن الفيزيـــاء الحديثـــة حتـــى مجيء ميكانيكا اللكوانتم بوصفها الفيزياء النيوتينية."[8]

إن أهمية اكتمـــال هـــذه الحلقـــة المتمثلـــة فـــي الأربعـــة العظـــام تكمـــن فـــي الأســـاس فـــي التغييـــر الثـــوري و الجـــذري لنظـــرة الإنســـان إلـــى الكـــون، كمـــا أشـــرنا فـــي الصـــفحات الســـابقة، لكنهـــا تكمـــن كـــذالك فـــي تأسيســـها لأرضـــية جديـــدة، صـــنعت أساســـا مـــن النـــزوع العلمـــي و العقلـــي الجديـــد كليـــة، ســـتوفر خصوبتها تربة فريـــدة لقيـــام فلســـفات جديـــدة تجمـــع تـــارة علـــى العقـــل، وتـــارة أخرى علـــى التجربـــة، ولكنهـــا فـــي كلتـــا الحـــالتين تـــدين تمامـــا لقيـــام و تطـــور تلك المفاهيم العلمية الجديدة، التي صيغت مع نشأة العلم الحديث.

و يلاحـــظ "جـــون لـــويس" فـــي هـــذا المضـــمار أن "هنـــاك مدرســـتان فلســـفيتان متناقضـــتان قامتـــا بصـــياغة التطـــورات الفلســـفية التـــي كـــان لابـــد وأن تصـــاحب هـــذا التقـــدم العلمـــي: فمـــن ناحيـــة كـــان هنـــاك العقليـــون ديكـــارت ولايبنتـــز و ســـبينوزا، و مـــن ناحيـــة أخـــرى نجـــد التجـــريبيين لـــوك و بركلـــي وهيـــوم. هـــؤلاء هـــم الـــذين استخلصـــوا النتـــائج الكاملـــة الكامنـــة فـــي الثـــورة العلمية، فحطمـــوا فـــي الواقـــع نظـــرة العصـــور الوســـطى إلـــى العـــالم و ســـلحوا العقلية الأوربية بنظرة مختلفة تماما."[9]

إن مثـــل هـــذا التقســـيم إلـــى فلســـفتين: عقليـــة و تجريبيـــة، و الـــذي قـــد يجمـــع عليـــه الكثيـــر مـــن الدارســـين، لأســـباب إجرائيـــة و غيرهـــا، يعبـــر

---

**[8] – فريدريك كوبلستون: "تاريخ الفلسفة"، المجلد الخامس، ترجمة محمـود سـيد أحمـد، مراجعـة و تقـديم إمـام عبـد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط أولى، 2003، ص 195**

**[9] – جون لويس: "مدخل إلى الفلسفة"، ترجمة أنـور عبـد الملـك، دار الحقيقـة، بيـروت، ط الرابعـة،1983، ص 73-74.**

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



برتراند رسل إزاءهـا بنـوع مـن الـتحفظ، فمـ

نسـتخدم هـذين الوصـفين (العقليـة و التجريبيـة) بطريقـة مفرطـة فـي التحجـر، ذلـك لأن مـن أكبـر العقبـات التـي تعتـرض طريـق الفهـم فـي الفلسفة، بـل فـي أي ميـدان آخـر، تصـنيف المفكـرين بطريقـة عميـاء مفرطـة في الجمود، وفقا لأوصاف ثابتة نطلقها عليهم."[10]

و رغـم مـا يبديـه رسـل مـن تحفـظ إزاء هـذا التصـنيف، إلا أنـه، ولأسـباب إجرائيـة ربمـا يقتضـيها البحـث و الدراسـة، فإنـه يعـود و يؤكـد "ومـع ذلـك فـان التقسـيم المـألوف لـيس جزافيـا، و إنمـا يشـير إلـى بعـض السمات البارزة فـي كـلا التـراثين. و يظـل هـذا الحكـم صـحيحا حتـى علـى الـرغم مـن أن التجـريبيين الانجليـز كشـفوا، فـي نظـريتهم السياسـية، عـن نزعة عقلية واضحة في تفكيرهم".[11]

ضـمن هـذا الأفـق، إذن، سـنلامس اتجاهـات الفلسـفة الحديثـة، خاصـة في القرن السـابع عشـر، و فهـم اشـتغالها علـى ضـوء مـا أنجـز علميـا بـدءا مـن القـرن السـادس عشـر، دون أن ننجـر إلـى التـأريخ للفلسـفة، و سـرد محطاتهـا و مـذاهبها، رغـم وعينـا أن أي محاولـة لـ"التفلسـف" أو البحـث والدراسـة و الفهـم، تقتضـي لا محالـة، نوعـا مـن الانخـراط فـي معمعـة تاريخ الفلسـفة، و هـي معمعـة بقـدر مـا تمـارس الغوايـة و الانجـذاب، فهـي تفرض نفسها فرضا على أي مقتحم للفلسفة و مذاهبها و اتجاهاتها...

**أولا: ديكارت و صياغة القول العلمي فلسفيا:**

إذا كـان ديكـارت محطـة مفصـلية، كمـا أشـرنا سـابقا، فـي مسـار الفلسـفة الغربيـة، وتحـولا حاسـما للعقـل نحـو فهـم و إدراك جديـدين للكـون،

---

[10] – براترند رسل: "حكمة الغرب" ج2، مرجع سابق ، ص 107

[11] – المرجع و الموضع نفسه

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



تأسس فلسفيا على إنجازات الثورة العلمية وفيا لنوع من التقليد الفلسفي الموروث عن الفلسفة الأرسطية، و حتى الوسيطية، من منظور أن المعرفة الفلسفية معرفة موحدة تتداخل فيها وتتوحد العلوم و الرياضيات و المبادئ العقلية و الميتافيزقية.. كلها مجتمعة تحت لواء الفلسفة، و ذلك بالرغم من أن "عصر ديكارت كانت [فيه] مظاهر انفصال نوع خاص من المعرفة هو العلم، عن المعرفة الفلسفية، قد بدأت تتجلى بوضوح، وأخذت تتحدد معالم هذا النوع الجديد من المعرفة البادئ في التبلور، وبدأت مناهجه تتشكل بصورة مستقلة عن المناهج الفلسفية. وقد ظهر ذلك بوضوح في أعمال علماء مثل جاليليو و روبت بويل، بل لقد عبر عنه فيلسوف مثل فرانسس بيكن تعبيرا صريحا، حين جعل " للفلسفة الطبيعية " (أي العلم التجريبي) طبيعة ومنهجا و هدفا يختلف بصورة قاطعة عن كل ما عرفته " الفلسفة التأملية " السابقة."[12]

إن وفاء ديكارت للأسلوب التقليدي في التفلسف مرده إلى أن تفكيره كان " يدور في إطار " المعرفة الموحدة " التي تكون فيها الفلسفة و العلم شيئا واحد ، يستخدم فيه منهج واحد. فهو [ديكارت] لم يتأثر كثيرا بالتيار الجديد الذي يدعوا إلى بناء معرفة علمية على أنقاض الأسلوب التقليدي في التفلسف، وإنما ينادي بفلسفة واحدة، تبدأ بمبادئ ميتافيزيقية يقينية، أي " المبادئ الأولى (التي كان أرسطو بدوره يركز

---

(12)– فؤاد زكريا : " آفاق الفلسفة " ، دار التنوير ، بيروت / المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء ، ط الأولى، 1988، ص : 125.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



بحثــه عليهــا)، ثــم تنقــل يقــين هــذه المبــ
التطبيقي."[13]

ومــع ذلــك، نعــود ونقــول أن لحظــة ديكــارت كانــت مفصــلية وجديــدة كل الجــدة، وجــدتها تكمــن أساســا فــي "المــنهج " الــذي سيضــفي قــدرا كبيــرا مــن العقلانيــة علــى عمليــة التفلســف، بــل ســيجعل مــن الفلســفة الديكارتيــة فلسفة عقلانيــة بامتيــاز. " إن الشــيء الــذي تميــز بــه ديكــارت عــن الأســلوب التقليــدي فــي التفلســف، هــو دعوتــه إلــى تطبيــق مــنهج يتســم بالوضــوح واليقــين علــى جميــع مراحــل عمليــة المعرفــة، ذلــك لأن مثــل هــذا المــنهج الصــارم كــان مفقــودا فــي أســاليب التفلســف التقليديــة، التــي كانــت تعتمــد علــى التأمــل و الخيــال أكثــر ممــا تعتمــد علــى دقــة الاســتنباط و إحكــام الروابط بين المقدمات و النتائج." [14]

إن المــنهج عنــد ديكــارت هــو بمثابــة منطــق جديــد، أراد لــه الفيلســوف، أن يكــون علميــا رياضــيا، منطــق مهمتــه تجــاوز المنطــق الأرســطي الــذي ســاد لألفــي ســنة. إن المــنهج الــديكارتي " متصــل أشــد الاتصــال بــالعلم، بــل هــو أداة العلــم و العلمــاء، وهــو متصــل بــالمنطق، بمــا أنه يحــل محــل المنطــق القــديم. إنــه " فــن التفكيــر " كمــا قــال رجــال پــور رويــال Port Royal تلاميــذ ديكــارت؛ إنــه الآلــة الجديــدة " الأرجــانون الجديــد " كمــا قــال فرنســيس بيكــون. وديكــارت (...) مــدين بمنهجــه للعلــم والعلمــاء بوجــه عــام، و لاكتشــافاته العلميــة بوجــه خــاص؛ إلا أنــه مــدين

---

(13)– المرجع نفسه، ص 126 .

(14)– المرجع و الموضع نفسه .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



أيضـــا للمفكـــرين الـــذين انتقـــدوا المنطـــق القـــد محله. وقد ذكرنا واحد منهم، وهو بيكون."[15]

وعلى غـــرار مـــا كـــان سـائدا فـــي عصـــره و قبـــل ذلـــك أيضـــا، فـــإن ديكارت سـيوجه بـــدوره نقـــدا لاذعـــا للمنطـــق المدرســـي الـــذي اســـتمر امتـــدادا للمنطـــق الأرســـطي. يقـــول ديكـــارت: "وهـــذا هـــو الســـبب فـــي أننـــا لمـــا كنـــا نخشى بقاء عقلنا خـــاملا أثنـــاء بحثـــه عـــن حقيقـــة شـــيء مـــا، فإننـــا نســـتبعد صـــور الاســـتدلال هـــذه باعتبارهـــا معارضـــة لهـــدفنا، ونبحـــث عـــن كـــل مـــا يكفـــل اســـتمرار انتبـــاه فكرنـــا. ولكـــي نتبـــين فـــي وضـــوح أكبـــر عقـــم هـــذا المـــنهج فـــي معرفـــة الحقيقـــة، فلـــنلاحظ أن الجـــدليين لا يســـتطيعون تكـــوين قياس صحيح يـــؤدي إلـــى نتيجـــة صـــادقة، مـــا لـــم يكونـــوا علـــى علـــم ســـابق بمادتـــه، أي بـــنفس الحقيقـــة التـــي يســـتدلون عليهـــا فـــي قياســـهم. ومـــن هـــذا نخلـــص إلـــى أنهـــم لا يتعلمـــون شـــيئا جديـــدا مـــن تلـــك الصـــورة وحـــدها. وأن الجدل المعتـــاد لا فائـــدة فيـــه أصـــلا لمـــن أراد البحـــث عـــن الحقيقـــة؛ وأنـــه قـــد يفيد في بعـــض الأحيـــان، وإنمـــا لأجـــل عـــرض مبســـط لحجـــج كانـــت معلومـــة من قبل. وعلى ذلك وجب نقل هذا الجدل من الفلسفة إلى البلاغة."[16]

وإذا كانت الفلســـفة الديكارتيـــة قـــد أبقـــت علـــى نـــوع مـــن الوفـــاء للتقليـــد الفلســـفي المـــوروث عـــن الفلســـفة المدرســـية والأرســـطية، كمـــا أشـــرنا ســـابقا، وقد يبدوا ذلك واضحا فـــي مجـــال الميتافزيقـــا، فإنـــه وفـــي هـــذا المجـــال بالـــذات إســـتطاع ديكـــارت أن يجعـــل مـــن الميتافيزيقـــا مـــدخلا وتمهيـــدا للعلـــم والمعرفـــة، بفضـــل المكانـــة الكبيـــرة التـــي أعطاهـــا للرياضـــيات فـــي نظرتـــه

---

[15]– نجيب بلدي : " ديكارت " ، دار المعارف ، ط ثانية ، د ، ت ــ ص 59 .

[16]–القاعدة العاشرة من كتاب" القواعد لتوجيـــه العقـــل"، ترجمـــه وأورده نجـــب بلـــدي فـــي كتابـــه"ديكـــارت"، المرجـــع نفسه، ص 179–180.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الجديـــدة وتأويلـــه للعـــالم، وبفضـــل ذلـــك أيضـــا عن "الميتافيزيقا التقليديـــة" عـــن "مـــا بعـــد الطبيعـــة"، أعنـــي عـــن ذلـــك المبحـــث الذي كـــان عنـــد الفلاســـفة التقليـــدين فـــي العصـــور القديمـــة والوســـطى، يظهـــر بوصـــفه تتويجـــا للمـــذهب، و يفتـــرض معرفـــة بالمســـائل الطبيعيـــة ثـــم يتجـــاوز هذه المعرفـــة لكـــي يبحـــث فـــي "المبـــادئ الأولـــى" ، بمعنـــى المبـــادئ القصـــوى أو النهائيـــة. فالميتافيزيقـــا الديكارتيـــة(...) هـــي الفصـــل التمهيـــدي فـــي كتـــاب المعرفة، وبعدها يبدأ العلم في الظهـــور. بـــل إننـــا لـــو شـــئنا الدقـــة لقلنـــا أن هـــذه الميتافيزقـــا محاطـــة بـــالعلم مـــن الجـــانبين: ذلـــك لأن مســـارها عنـــد ديكـــارت يفتـــرض معرفـــة دقيقـــة بـــالمنهج الرياضـــي.(...) فقبـــل أن نبـــدأ الميتافيزيقـــا. ينبغـــي أن يكـــون الفلســـوف قـــد ألـــم بالرياضـــيات وتشـــبع بمنهجهـــا إلـــى الحـــد الـــذي يتـــيح لـــه أن يرتـــب أفكـــاره الميتافيزيقيـــة بالطرقـــة الصـــحيحة. وبعـــد أن تنتهـــي المتافيزيقـــا يكـــون الطريـــق قـــد أصـــبح ممهـــدا لقيـــام العلـــم الطبيعـــي، ومـــن بعـــده المعـــارف العمليـــة التطبيقيـــة. وعلـــى هـــذا الأســـاس تكـــون الميتافيزقـــا الديكارتيـــة مرحلـــة وســـطى بـــين مـــرحلتين علميتـــين الأولـــى تســـبقها والثانية تلحقها."[17]

مـــرة أخـــرى تتضـــح مكانـــة الرياضـــيات، كعلـــم، فـــي النســـق الفلســـفي الـــديكارتي، مضـــفية عليـــه صـــبغة عقلانيـــة مـــن أعلـــى الـــرأس إلـــى أخمـــص القـــدمين، فهـــي نفســـها ( أي الرياضـــيات ) نجـــدها تشـــتغل فـــي مـــا وراء الطبيعة، وتمكننـــا مـــن تفســـير وتأويـــل الكـــون(الكوســـموس)، كمـــا وأنهـــا تفعـــل الفعـــل ذاتـــه فـــي مجـــال الطبيعـــة والظـــواهر الطبيعيـــة، "فـــديكارت يـــرى أن القوانين الرياضـــة هـــي ذاتهـــا اللغـــة الإلهيـــة كمـــا تنطبـــع علـــى العـــالم. وهكـــذا

[17]– فؤاد زكريا : " آفاق الفلسفة " مرجع سبق ذكره ، ص : 136-137.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



يضع ديكارت أساسا لاهوتيا قويا لفكرة علمية أن مسار الظواهر الطبيعية تحكمه قوانين رياضية دقيقة-وتلك كما نعلم فكرة افتتنت بها عقول العلماء في عصر ديكارت، وكانت هي الكشف الكبير الذي توصل إله كابلر و جاليلو وباسكال، ومن بعدهم نيوتن."[18]

ولكن كيف يمكن تفسير هذا التوجه عند ديكارت المتمثل في اعتبار وجعل الميتافيزقا مدخلا بل مقدمة للعلم، رغم أن عصر دكارت كان ينحو منحى رافضا ومتجاوزا لليتافيزيقا، على الأقل هذا ما نلمسه بقوة لدى العلماء والمشتغلين بالعلم الطبيعي والرياضيات، وديكارت، إلى جانب كونه فيلسوفا كان عالما رياضيا بامتياز. ويحق، لنا هاهنا، أن نتساءل مع ألكسندر كواريه، وهو يتساءل ويجيب في آن واحد قائلا:" أليس العلم، العلم الحديث على الأقل، معارضا للمتافيزيقا؟ أليس هو معتزا بسلطانه، أو ليس ديكارت أحد مبدعيه؟ وديكارت يعلمنا عكس ذلك تماما. إنه يقول لنا إن العلم بحاجة إلى ميتافيزيقا، بل يقول لنا ماهو أخطر من ذلك، يقول إن العلم يجب أن يبدأ بالميتافيزيقا. إن هذا أخطر لأن ديكارت يقلب به "نظام العلوم" وكان قد أعلن أنه لا يريد أن يمسه. ولم يكن أحد قد نهج هذا المنهج منذ عهد أرسطو، بل كان الكل يبدأ بالعلم الطبيعي ليتأدى منه إلى ما بعد الطبيعة إلى الميتافيزيقا."[19]

ولإستجلاء أسباب هذا التوجه عند ديكارت، يشرح لنا كواريه ما يلي: "ما هو السبب في هذه الثروة الديكارتية الجديدة ؟ أهي الرغبة في التجديد ؟ أم أن ديكارت يرى من الضروري أن يسير على نظام

---

(18)-المرجع نفسه، ص 144 .

(19)-ألكسندر كواريه:" ثلاثة دروس في ديكارت"، ترجمة يوسف كرم، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1937،ص39 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الأســـباب دون نظـــام المـــواد و أن يعلـــم أن " من الفلسفة" ؟ هذا هـــو الســـبب مـــن غيـــر شـــك. فـــان فكـــر ديكـــارت، آو الفكـــر عنـــد ديكـــارت و الآمـــر واحـــد، يجـــب أن يكـــون تركيبيـــا لا تحليليـــا. الفكـــر الـــديكارتي يـــذهب مـــن الأفكـــار إلـــى الأشـــياء، لا مـــن الأشـــياء إلـــى الأفكـــار، ويـــذهب مـــن البســـيط إلـــى المركـــب و يتقـــدم مـــن وحـــدة المبـــادئ إلـــى كثـــرة الأنـــواع : فيتقـــدم مـــن المجـــرد إلـــى المشـــخص ، ويســـير مـــن النظـــر إلـــى العمل. لا كفكر أرســـطو و المدرســـيين الـــذي يـــذهب مـــن عـــالم متنـــوع واقعـــي ليرتقي منه إلـــى وحـــدة المبـــادئ والعلـــل التـــي هـــي أساســـه. فـــان الواقـــع عنـــد الفكـــر الـــديكارتي هـــو الموضـــوع البســـيط للحـــدس العقلـــي لا موضـــوعات الإحســـاس المركبـــة. (...) مـــا مـــن شـــيء واضـــح، أي مـــا مـــن شـــيء يمكـــن عرضـــه بتمامـــه علـــى العقـــل، إلا مـــا يتصـــوره العقـــل دون مشـــاركة المخيلـــة والحـــس أصـــلا، و هـــذا يعنـــي عمليـــا: مـــا مـــن شـــيء واضـــح إلا مـــا هـــو رياضي ، أو على الأقل، ما يمكن وضعه وضعا رياضيا."[20]

إننـــا إذا أضـــفنا إلـــى أهميـــة و مكانـــة الميتافيزيقـــا و دورهـــا كمقدمـــة ومـــدخل و أســـاس ضـــروري للعلـــم، مـــن وجهـــة نظـــر ديكـــارت؛ إذا أضـــفنا إلـــى ذلـــك مكانـــة أخـــرى هـــي مكانـــة ودور الرياضـــيات فـــي الفلســـفة الديكارتيـــة، توضّـــحت لنـــا فـــرادة و خصوصـــية و تميـــز هـــذه الفلســـفة، وبالتالي أهمية نعت صاحبها بـــ " أب الفلسفة الحديثة".

فنحن أمام فلســـفة، بقـــدر مـــا التزمـــت نوعـــا مـــن الوفـــاء للتقليـــد الفلســـفي الســـابق عليهـــا، بقـــدر مـــا رســـخت، و بجـــدارة، تقليـــدا فلســـفيا لا زال أثـــره مســـتمرا إلـــى الآن، وهـــو تقليـــد، أو لنقُـــل موقـــف فلســـفي، أصـــبح مطبوعـــا

[20]– المرجع نفسه، ص:40.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



بـــالعلم و مضـــغوطا عليـــه مـــن قبلـــه، إن هـــذ
تطـــورا للعلـــم الطبيعـــي (الفيزيـــاء)، و النزعـــة العلميـــة التجريبيـــة كمـــا صـــيغت مـــع غـــاليلو و تطـــورت مـــع نيـــوتن، اكبـــر تحـــد للأســـلوب الفلســـفي فـــي الوصـــول إلـــى المعرفـــة، إن هـــذا الموقـــف الفريـــد هـــو الـــذي ســـيتبلور لأول مـــرة مـــع ديكـــارت، ليمتـــد شـــكله ومظهـــره إلـــى الآن ... إنـــه موقـــف الفلســـفة إزاء العلم، أو شـــكل العلاقـــة بينهمـــا. وهـــذا بالضـــبط مـــا عنـــاه الـــدكتور فـــؤاد زكريـــا عنـــدما لاحـــظ أن " الأمـــر الـــذي يلفـــت النظـــر عنـــد دكـــارت هـــو انـــه حاول، في عصـــر كـــان فيـــه العلـــم التجريبـــي قـــد بـــدأ يثبـــت وجـــوده، وبـــدأت نتائجه المثمرة تظهر للعيـــان، أن يقـــيم بنـــاء شـــاملا لعلـــم فيزائـــي يعتمـــد أساســـا علـــى المـــنهج الـــذي أثبـــت نجاحـــه فـــي الرياضـــيات، وهـــو الاســـتنباط. والاســـتنباط [déduction] بطبيعتـــه عمليـــة عقليـــة، ومـــن ثـــم فـــإن أي علـــم فيزائـــي يبنـــى عليـــه لا بـــد أن تكـــون أسســـه مخالفـــة للعلـــم التجريبـــي. صـــحيح أن العلـــم التجريبـــي يلجـــأ إلـــى الرياضـــة فـــي صـــياغة قوانينـــه، و لكنـــه لا يكتفـــي بالرياضـــة وحـــدها، وإنمـــا يعتمـــد علـــى المشـــاهدات والتجـــارب وتكـــوين الفروض– وهذا مـــا كـــان يقـــوم بـــه غـــاليلو فـــي أبحاثـــه التـــي ســـبقت ديكـــارت زمنيا ثـــم عاصـــرته فتـــرة مـــا. أمـــا ديكـــارت فكـــان يعتقـــد بـــأن العقـــل وحـــده قادر، عن طريق الاســـتنباط، علـــى أن يشـــيد بنـــاء الفيزيـــاء كـــاملا. ومثـــل هـــذه الطريقـــة فـــي إقامـــة العلـــم الفيزيـــائي لا بـــد أن يكـــون للميتافيزيقـــا فيهـــا دور رئيسي."[21]

ويضـــيف فـــؤاد زكريـــا شـــارحا تلـــك العلاقـــة المتأزمـــة بـــين الفلســـفة والعلـــم، والتـــي بـــدأت مـــع ديكـــارت ولا زالـــت قائمـــة إلـــى الآن قـــائلا: "

[21]– فؤاد زكريا:"آفاق الفلسفة" مرجع سبق ذكره، ص156–157.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



فـــديكارت أراد أن يحـــتفظ للفلســـفة بشـــيء مميـ
يصبح هو الوسيلة الرئيسـية لتحصـيل معرفـة عـن العـالم. وأغلـب الظـن أنـه اضطرب فـي محاولتـه هـذه، ولكـن هـذا الاضـطراب والتخـبط، كـان طبيعيـا فـي عصـر حـدثت فيـه لأول مـرة مواجهـة بـين مـنهج فلسـفي يحمـل كـل التراث الماضـي للمعرفـة، ومـنهج علمـي يبشـر بطريـق جديـد للمعرفـة فـي المسـتقبل. بـل إن فـي وسـعنا القـول أن مثـل هـذا الاضـطراب فـي تحديـد موقـف الفيلسـوف إزاء العلـم مـازال يـلازم الفلاسـفة حتـى يومنـا هـذا، إذ يسعى الفلاسـفة بكـل وسـيلة إلـى أن يحتفظـوا للفلسـفة بمجـال مميـز ومـنهج خاص بهـا، ولكـنهم يـدركون فـي الوقـت ذاتـه أن العلـم هـو أفضـل وسـيلة متاحـة لتحصـيل معرفـة صـحيحة عـن الواقـع، ومـن هنـا تتعـدد المواقـف وربمـا تناقضـت الاتجاهـات حتـى عنـد الفيلسـوف الواحـد- وهـو تنـاقض يعبـر عـن تلـك الأزمـة الأساسـية التـي يعانيهـا الفكـر الفلسـفي فـي عصـر العلم."[22]

حري بنـا أن نلاحـظ هنـا، مـرة أخـرى، دور الميتافيزيقـا فـي صـياغة القـول الفلسـفي الـديكارتي الواقـع تحـت وطـأة العلـم وتحدياتـه. وإذا كانـت الصـياغة قـد بـدت مصـبوغة بلـون العقـل والعقلانيـة، إلا أن ذلـك لا يجـب أن يمنعنـا مـن الكشـف عـن أصـول تلـك الصـياغة ودور الميتافيزيقـا فـي تشكيلها، وملامسـة ذلـك تكمـن أساسـا فـي إماطـة اللثـام عـن طبيعـة "العقـل" ودلالات "الاسـتنباط" فـي القـول الفلسـفي الـديكارتي، ولعـل أضـمن طريـق للسـير فـي ذلـك هـو فهـم طبيعـة العلاقـة بـين "الجـوهر" و "الوجـود" فـي

[22]- المرجع نفسه، ص 165-166

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الفلســـفة الديكارتيـــة، وهـــي علاقـــة لا يمكـــ للميتافيزيقا والعلم معا في تلك العلاقة وتموجاتها.

يعبـــر أحـــد البـــاحثين عـــن تعقيـــدات تلـــك العلاقـــة قـــائلا:" لقـــد ألغـــت الديكارتيـــة العـــالم الخـــارجي. وضـــعته بـــين هلالـــين (أي فـــي غرفـــة انتظـــار) وراحـــت تحلـــق فـــي الشـــاهقات، فـــوق الفـــوق، حتـــى وصـــلت –بعيـــدة عـــن الوجـــود– إلـــى منتهـــى الشـــفافة الفكريـــة... إلـــى الافتـــراض(...) لقـــد أغمـــض ديكارت عينيـــه، وأصـــم أذنيـــه، وأوقـــف كـــل حواســـه. محـــا مـــن ذهنـــه جميـــع صـــور الأشـــياء، أو علـــى الأقـــل أعـــدّها باطلـــة زائفـــة، مـــا دام الـــذهن قـــادرا بالافتراض على أن يمحوها دفعة."[23]

إن ما فعلـــه ديكـــارت بالتحديـــد هـــو عمليـــة ذهـــاب وإيـــاب بـــين "وجـــود" مؤجـــل إلـــى حـــين و"جـــوهر" هـــو بالـــذات مكمـــن الحقيقـــة ومصـــدرها الأول،"لأن الجوهر هـــو الضـــامن الأوحـــد لكـــل مـــا دونـــه. قـــد يُعطّـــل الوجـــود. الـــدليل؟ هـــو الافتـــراض ذاتـــه. ولكـــن مـــا مـــن قـــوة تســـتطيع أن تُعطِّـــل الافتراض الذي يُعطِّـــل... أن تعطـــل الجـــوهر. ذلـــك لأننـــا بحاجـــة إلـــى جـــوهر لنعطـــل الجـــوهر. فالـــذي يمكـــن تعطيلـــه هـــو شـــيء عرضـــي. هـــو شـــيء عـــارض. والـــذي لا يمكـــن تعطيلـــه، حتمـــا، هـــو شـــيء غيـــر عـــارض. هـــو محض."[24]

إن "إيقـــاف ديكـــارت لحواســـه" نـــابع بالأســـاس مـــن شـــكه فـــي الأســـس التي تقوم عليهـــا معارفنـــا الأولـــى والتـــي مصـــدرها الحـــواس، وهـــو يقـــول عـــن ذلـــك بشـــكل واضـــح:" أعلـــم جيـــدا أن الحـــواس تخـــدع أحيانـــا إن كانـــت علـــى

---

[23]– كمال يوسف الحاج:" من الجوهر إلى الوجـــود، أو مـــن ديكـــارت إلـــى ســـارتر"، منشـــورات عويـــدات، بيـــروت، ط أولى ، 1958 ، ص 74.

[24]– المرجع نفسه،ص75.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



غير الهيـأة الملائمـة [للإدراك] كـأن تبـدو ج

مثلمـا ننظـر إلـى النجـوم، فهـي لشـدة بعـدها لا تظهـر لنـا بمثـل حجمهـا الحقيقي أو بصـفة عامـة عنـدما لا تشـتغل الحـواس بحريـة وفقـا لمـا تقتضـيه طبيعتها"[25]

وإذا وضـعنا جانبـا مـنهج الشـك الـديكارتي وقواعـده المعروفـة، واعتمدنا صـيغة مختصـرة فـي فهـم واسـتيعاب الأهـداف الأساسـية فـي فكـر وفلسفة ديكارت لأمكن القول أنها تتلخص في ثلاثة أهداف أساسية هي:

1. إيجاد علم يقيني فيه من اليقين بقدر ما في العلوم الرياضية...
2. تطبيق هذا العلم اليقيني عمليا...
3. تحديد العلاقـة بـين هـذا العلـم وبـين"الموجـود" الأعلـى، أي الله، وذلـك بإيجاد ميتايزيقا تتكفل بحل المشاكل القائمة بين الدين والعلم."[26]

وشـكلت تلـك الأهـداف المقدمـة الحقيقيـة لتـدخل الفلسـفة فـي القـول العلمي بشـقيه الرياضـي والفيزيـائي، وبـدا العلـم عنـد ديكـارت " عمليـة ذات مسـتويين. فعلـى المسـتوى الأول، يجـب أن تسـتخدم حدوسـنا القبليـة لبنـاء مجموعـة مـن المبـادئ الأولـى الجوهريـة التـي تزودنـا بأسـاس للوصـف الرياضي الدقيق لقـوانين الطبيعـة. ولكـن علـى مسـتوى العموميـة هـذا تظـل كـل التفصـيلات الخصوصـية تقريبـا باقيـة لتملأهـا. ولتـوفير التفصـيل علينـا أن ننـزل إلـى مسـتوى أدنـى، حيـث يعمـل شـيء أقـرب إلـى المقاربـة الافتراضية– الاستنباطية.

---

(25)– رينه ديكارت :" البحث عن الحقيقة بالنور الطبيعي" ترجمه وقدم لـه سـفيان سـعد الله ، راجعـه حمـاد بـن جـاء بالله ، دار محمد علي للنشر ، تونس، ط أولى ، 2006 ، ص 141 .

(26)– عبد الرحمـان بـدوي: موسـوعة الفلسـفة ج 1 ، المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشـر ، ط1– 1984 ، ص 491.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



والهـــدف هنـــا هـــو ابتكـــار فرضـــيات التـــي ســـتحاكم بلغـــة مـــدى النتـــائج الفعليـــة القائمـــة علـــى الملاحظـــة وتنوعهـــا، وهـــي النتـــائج التـــي تقـــدر الفرضـــيات علـــى تفســـيرها. وهـــذا أنمـــوذج معقـــد ومتطور للنظرية العلمية."[27]

تلك هي الفلســـفة فـــي اشـــتغال معقـــد ومبهـــر فـــي اتجاهـــات متعـــددة فـــي آن واحـــد... العقـــل، العلـــم... والميتافيزيقـــا ...عـــدّ ديكـــارت رائـــدها (الفلســـفة الحديثـــة) بامتيـــاز. وهـــي الفلســـفة التـــي حاولـــت لـــيس فقـــط تجـــاوز الفلســـفة المدرســـية وهيمنـــة الـــروح الأرســـطية عليهـــا، بـــل هـــي الفلســـفة التـــي اقتربـــت أكثـــر مـــن الموقـــف الأفلاطـــوني فـــي القضـــايا الفلســـفية الكبـــرى والأساســـية،" فموقف ديكارت من الفلســـفة قريـــب مـــن موقـــف أفلاطـــون. ونقطـــة البدايـــة فـــي الفلســـفة الديكارتيـــة هـــي الفكـــر مســـلما بـــه كحقيقـــة أولـــى يمكـــن أن نثبتهـــا: والشيء الحق ما جاء مطابقا لمطالب الفكر."[28]

وإذا عـــدنا إلـــى مســـألتي الوجـــود والميتافيزيقـــا، مـــرة أخـــرى، أمكـــن القول مـــع الأســـتاذ عثمـــان أمـــين أن المســـألة عنـــد ديكـــارت هـــي" الانتقـــال من الفكـــر إلـــى الوجـــود، والقـــبض علـــى الوجـــود بمعونـــة الـــذهن وحـــده و ابتداءا من الأفكار المحضة."[29]

أمـــا الميتافيزيقـــا فقـــد جعلهـــا ديكـــارت "مـــدخلا إلـــى الفيزيقـــا وإلـــى غيرهـــا مـــن العلـــوم، وجعـــل منهـــا الجـــزء الأول لا الأخيـــر والبدايـــة لا النهايـــة، والأساس لا القمة في الفلسفة."[30]

---

[27]– كوتنغهام : " العقلانية" ، مرجع سابق ، ص 58.

[28]–عثمان أمين: "شخصيات و مذاهب فلسفية"، دار الكتاب العربي، القاهرة، [د ت] ، ص 101

[29]– المرجع والموضع نفسه.

[30]– عثمان أمين: "محاولات فلسفية "، مكتبة الأنجلو المصرية، 1953 ، ص 27.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



وتحولـــت المتافيزيقـــا بـــذلك ولأول مـــ
دراســة الوجــود إلــى دراســة المعرفــة، مــن الأنطولوجيــا إلــى الابســتيمولوجيا، من الموضوع إلــى الــذات (...) والميتافيزيقــا عنــد ديكــارت علــم دقيــق يمكــن إثبــات قضــاياه بيقــين شــبيه بــاليقين الرياضــي(...) والحــق أن ديكــارت كــان يحلم بإقامة علــم عــام يتأســس علــى بــراهين يقينيــة بفضــل العقــل "الــذي هــو أعدل الأشــياء قســمة بــين النــاس" علــى حــد تعبيــره، ولهــذا وضــع مشــروعا لإقامــة مــا أســماه بالرياضــيات الشــاملة... وجعــل مــن الميتافيزيقــا الأســاس الصلب الراسخ في هذا البناء الرياضي الشامل."[31]

إن القــول الفلســفي الــديكارتي يجــب أن ينظــر إليــه لا كقيمــة علميــة بــالمعنى الــدقيق للكلمــة، ولكــن كقيمــة بــالمعنى والــدلالات الابســتمولوجية والمعرفيــة المشــروطة، بشــروط الفلســفة الحديثــة فــي القــرن الســادس عشــر وقيام العلم الحديث المتمثل أساسا في الفيزياء.

إن الديكارتيــة شــكلت تــدخلا فلســفيا نوعيــا فــي العلــم، اســتهدفت "مساعدة الفيزيــاء الغاليليــة علــى نبــذ كــل الايــديولوجيات النظريــة التــي كانــت تترقبهــا فــي العمليــة نفســها لتثبيــت أســس مســارها التــاريخي الخــاص بهــا. علــى هــذا الأســاس شــكلت الديكارتيــة "مختبــرا نظريــا" بــالغ الأهميــة أنتجــت فيه المقولات الأساسية التي كان يتطلبها بناء مفاهيم العلم الجديد."[32]

وبــذلك أمكــن القــول أن ديكــارت قلــب الإشــكالية الفلســفية رأســا علــى عقب، جاعلا مــن المعرفــة المشــكلة الأولــى فــي الفلســفة، عنــدما جعــل مــن

---

[31]– إمام عبد الفتاح إمام : "مدخل إلى الميتافيزيقا..." ، نهضة مصر ، ط1 ، 2005 ، ص 156.

[32]– محمد هشام :"في النظرية الفلسفية للمعرفة" ، مرجع سابق ، ص94.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



العقـل نفسـه موضـوعا للبحـث، أو بمعنـى آ
الإنساني وشروطه."[33]

إن فرادة القـول الفلسـفي الـديكارتي متأتيـة مـن كـل هـذه الأمـور التـي ذكرناها أعـلاه، وغيرهـا، ولكـن فرادتـه متأتيـة كـذلك مـن أسـلوبه وطريقتـه في التفلسـف الجديـدة كـل الجـدة، والتـي لا نكـاد نجـد لهـا شـبيها لـدى أي فيلسـوف آخـر، لـو أسـتثنينا أفلاطـون قـديما، وجـزءا مـن فلسـفة كـانط حديثا.[34]

**ثانيا: عقلانية سبينوزا وليبنتز...صياغة جديدة للقول الفلسفي.**

**1-عقلانية اسبينوزا.**

لن نعرض في هـذا الحيـز لفلسـفتي سـبينوزا وليبنتـز بقـدر مـا سـنتابع تقصـي طبيعـة تحـولات الفلسـفة الحديثـة فـي اتجاههـا العقلـي، فأعمـال ديكـارت الفلسـفية، كمـا نعلـم، أدت إلـى "تيـارين رئيسـين للتطـور: أحـدهما هو إحياء التـراث العقلـي، الـذي كـان أكبـر دعاتـه فـي القـرن السـابع عشـر إسـبينوزا وليبنتـز. والثـاني مـا يطلـق عليـه بوجـه عـام إسـم التجريبيـة الانجليزية."[35] ممثلة بالأساس في لوك وبركلي، وهيوم...

لا بد، فـي البدايـة، ونحـن نتحـدث عـن اسـبينوزا أن نميـز بينـه وبـين ديكارت وبينه وبـين ليبنتـز، كمـا يجـب التمييـز بـين ليبنتـز و اسـبينوزا مـن جهة وديكـارت مـن جهـة أخـرى، رغـم مـا يجمـع بـن الثلاثـة مـن وشـائج قربى الاتجاه العقلي حسب التصنيف المعهود أعلاه.

---

(33)- عثمان أمين: "شخصيات و مذاهب فلسفية "، مرجع سابق، ص 100

(34)- أنظر المرجع نفسه، ص101.

(35)- برتراند رسل : "حكمة الغرب" ، ج II ، مرجع سبق ذكره ، ص107.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



فـإذا كـان مـن المسـلم بـه أن نعتـرف الفلسـفي المـرتبط رأسـا بالإنجـاز العلمـي الحـديث، وإعطـاء الفلسـفة روحـا علميـة جديـدة، إلا أننـا يجـب أن نعتـرف أيضـا أن الديكارتيـة كخطـاب فلسفي لم يتبلور إلا فـي حـدود العلـم والعلـم فقـط، فكانـت الرياضـيات، العلـم المفضـل لـدى ديكـارت، والفيزيـاء الغاليليـة الناشـئة، همـا الفضـاء الأرحـب بامتيـاز، فجـاء الخطـاب الفسـلفي الـديكارتي مغرقـا فـي القـول الفلسـفي "الجـاف" و "المختصـر" جـدا، لدرجـة أن ليبنيتـز عبـر سـاخرا مـن قواعـد المـنهج الـديكارتي، قـائلا:" إنهـا تشـبه تعليمـات كيميـائي صـنعوي: خـذ مـا تحتاج إليه، وافعل ما عليك أن تفعله، هنالك تحصل على ما تريد."[36]

كـان لابـد أن تعـود للفلسـفة روحهـا التأمليـة والتأويليـة فـي آن، أن تسـتعيد روح مبـادرة القـول الفلسـفي فـي تجلياتـه"الأسـلوبية" و "التعبيريـة" أمـام ضـغط وتحـدي القـول العلمـي الناشـئ والمتقـدم باسـتمرار وكـان علـى سـبينوزا وليبنتـز، الـذين كانـا معاصـرين لبعضـهما الـبعض، القيـام بهـذه المهمـة دونمـا أي جحـود أو تنكـر للتـراث الـديكارتي. يقـول جيـل دولـوز معبـرا عـن الطبيعـة الجديـدة للقـول الفلسـفي عنـد سـبينوزا وليبنـز مايلي:"وللتعبيـر لـدى ليبنـز، كمـا لـدى سـبينوزا، مرمـى لاهـوتي وأنطلـوجي ومعرفـي– منطقـي. فهـو يبعـث الحيـاة فـي نظريـة الله والمخلوقـات والمعرفة.

ويبـدو أن الفيلسـوفين يعتمـدان، بصـورة مسـتقلة بعضـهما عـن بعـض، علـى فكـرة التعبيـر لتجـاوز صـعوبات الديكارتيـة، وإصـلاح فلسـفة للطبيعـة، بـل حتـى لـدمج مكتسـبات ديكـارت فـي منظومـات معاديـة معـاداة

[36]– أورده عبد الرحمان بدوي في : "موسوعة الفلسفة" ج 1 ، مرجع سابق ، ص 493.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



عميقـــة للرؤيـــة الديكارتيـــة للعـــالم، ويقـــدر م
للدكارتيـــة لـــدى ليبنتـــز و ســـبينوزا، فـــإن هـــذا العـــداء قـــوم علـــى فكـــرة التعبير."[37]

إن مآخـــذ ســـيبونوزا وليبنتـــز علـــى دكـــارت "هـــو أنـــه صـــنع فلســـفة "أسرع" ممـــا ينبغـــي، أو "أســـهل " ممـــا ينبغـــي [الأمـــر الـــذي يفســـر] لجوؤهمـــا المشترك إلى هذا التصور[للتعبير] لتأسيس فلسفة بعد ديكارتية ."[38]

رغـــم كـــل مـــا يقـــال عنـــد دور الهندســـة والرياضـــيات والنمـــوذج الإســـتنباطي فـــي فلســـفة ديكـــارت، إلا أن " المثيـــر للانتبـــاه بمـــا فيـــه الكفايـــة أن الطريقة التي قدم بهـــا ديكـــارت نظامـــه الفلســـفي فعليـــا لـــم يكـــن، فـــي الأغلـــب، اســـتنباطيا."[39] مقارنـــة باســـبينوز الـــذي كـــان إســـتنباطيا بامتيـــاز، وعبـــر عـــن ذلـــك بشـــكل فلســـفي نهـــائي فـــي كتابـــه " الأخـــلاق المبـــرهن عليهـــا فـــي نظـــام هندســـي" والـــذي كتبـــه باللغـــة اللاتينيـــة ولـــم ينشـــر إلا فـــي ســـنة 1677 بعـــد وفاته. " ويمكـــن القـــول إن عنـــوان هـــذا الكتـــاب مضـــلل إلـــى حـــد مـــا بالقيـــاس إلـــى محتـــواه. ذلـــك لأننـــا نجـــد هنـــا أولا ميتافيزيقـــا اســـبينوزا، الـــذي تنطـــوي ضمنها علـــى إيضـــاح لـــذلك التخطـــيط الـــذي يضـــعه الفيلســـوف العقلانـــي مـــن أجل بحـــث الطبيعـــة علميـــا. ولقـــد أصـــبحت هـــذه المســـألة مـــن أهـــم المســـائل العقلية فـــي القـــرن الســـابع عشـــر.(...) والكتـــاب كلـــه معـــروض علـــى طريقـــة هندســـة إقليـــدس، إذ يبـــدأ بتعريفـــات ومجموعـــة مـــن المســـلمات، ومنهـــا يســـتمد

---

[37]– جيل دولوز:" سيبونوزا ومشكلة التعبيـر" ، ترجمـة أنطـون حمصـي ، دار أطلـس ، دمشـق ، ط أوى ، 2004 ، ص:8–9.

[38]– المرجع نفسه، ص– ص : 271، 280 .

[39]– جون كوتنغهام: "العقلانية.." ، مرجع سابق ، ص 59.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



المجموعة الكاملة للقضـــايا اللازمـــة عنهـــا، مـــع ونتائج وتفسيرات."[40]

إن إســـتنباطية ســـبينوزا وتطبيقـــه المـــنهج الهندســـي علـــى الكتابـــة الفلسفية لم يكـــن أمـــرا جديـــدا ولا مســـتحدثا " فقـــد اســـتخدم هـــذا المـــنهج جزئيـــا فـــي العصـــور القديمـــة(...) وكـــان طـــرق شـــائعة للشـــرح والبرهـــان بـــين فلاسفة العصـــور الوســـطى، أمـــا فـــي عصـــر اســـبينوزا ذاتـــه فقـــد أدت نهضـــة العلوم الرياضـــية، ونجاحهـــا الهائـــل فـــي ميـــداني الفلـــك والفيزيـــاء، إلـــى دعـــوة الكثيـــر مـــن المفكـــرين، مثـــل ديكـــارت وهـــوبز، ثـــم ليبنتـــز فيمـــا بعـــد، إلـــى الإقتـــداء بالدقـــة الرياضـــية فـــي صـــياغة الأفكـــار الفلســـفية، وإلـــى جعـــل الرياضـــة أنموذجـــا ومـــثلا أعلـــى للمعرفـــة البشـــرية فـــي كافـــة ميادينهـــا. وإذن فلـــم يكـــن إتبـــاع ســـبينوزا للمـــنهج الهندســـي فـــي كتـــابي مبـــادئ الفلســـفة الديكارتيـــة والأخـــلاق بدعـــة ليســـت لهـــا ســـوابق فـــي تـــاريخ الفكـــر الفلســـفي." (41)

ولكـــن رغـــم ذلـــك فـــإن توظيـــف ســـبينوزا للرضـــيات والمـــنهج الهندســـي يحمل أكثر مـــن دلالـــة ومغـــزى، فهـــو فـــي أحـــد معانيـــه الأساســـية تأكيـــد علـــى المقاربـــة العقلانيـــة فـــي تفســـير الكـــون، وتأويـــل النصـــوص الدينيـــة، وغيرهـــا مـــن القضـــايا التـــي تناولهـــا بـــالفحص والتمحـــيص. ويمكـــن تلخـــيص مبـــررات هذا التوظيف ودلالاته من وجهة نظر الدكتور فؤاد زكريا كالآتي:

أولا أن اســـتخدام المـــنهج الرياضـــي الهندســـي هـــو أفضـــل وســـيلة للتعبيـــر عـــن الأفكـــار بدقـــة كاملـــة. ثانيـــا لأن ذلـــك يتفـــق مـــع روح المعقوليـــة والإيمان بالعلم الســـائد فـــي فلســـفة اســـبينوزا. ثالثـــا إتبـــاع أســـلوب فـــي الكتابـــة

---

(40)– برتراند رسل : " حكمة الغرب " ج II مرجع سابق ، ص 80

(41)– فؤاد زكريا: "اسبينوزا" ، دار التنوير ، بيروت ، ط الثانية ، 2005 ، ص37.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الفلسـفية يوصـله مباشـرة إلـى الحقـائق... إلـ
نظـر مختلفـة تبـرر اختيـار سـبينوزا للمـنهج الهندسـي والرياضـيات لأسـباب ترتبط بأغراض وأهداف أخرى...

إن مثل هذه الملاحظـات، ومثـل هـذا الحـديث عيـدنا مـرة أخـرى إلـى إثارة العلاقة بين الفلسـفة والعلـم، ولكـن هـذه المـرة مـع سـبينوزا ولـيس مـع ديكارت. وهنـا وجـب التأكيـد مـع فـؤاد زكريـا أنـه " مـن المحـال أن يقـارن المـرء شـهرة اسـبينوزا فـي الميـدان العلمـي- بمعنـاه الـدقيق- بشـهرة ديكارت أو ليبنيتز أو حتـى كانـت. فلـم يسـهم اسـبينوزا بنصـيب ملمـوس فـي أي علم من علـوم عصـره، وكانـت شـهرته مـن بـدايتها إلـى نهايتهـا، ترجـع إلى كونه فيلسوفا نظريا، لا عالما." [43]

إلا أن الأصـالة الفلسـفية العلميـة لسـبينوزا، وأهميـة مذهبـه بالنسـبة إلى الحركة العلمية فـي القـرن السـابع عشـر، تكمـن حسـب برنتراند رسـل، "فيما يوحي به ضمنا مـن تفسـير حتمـي علـى مسـتوى واحـد لكـل مـا يحـدث فـي الكـون. والواقـع أن هـذا المـذهب هـو المشـروع الأولـي الـذي سـيتم التوسع فيه مستقبلا، لنسق موحد للعلم." [44]

إن عقلانيـة اسـبينوزا كانـت تعبـر عـن موقـف فلسـفي عقلـي صـرف، دون أن يعنـي ذلـك إزدراءا أو حطـا مـن شـأن المـنهج التجريبـي؛ فموقـف سـبينوزا كـان اختيـارا لا انتصـارا للعقـل علـى التجربـة، وفلسـفته و إن كانت متأثرة بالعقلانيـة الديكارتيـة السـائدة، فهـي كانـت متفتحـة علـى ميـادين أخـرى للمعرفـة " وقـد آثـر إسـبينوزا لنفسـه- بمحـض اختيـاره- أن يكـون

---

(42)- أنظر بالتفصيل المرجع نفسه. ص : 38-39.

(43)- المرجع نفسه ، ص 99.

(44)- برتراند رسل :" حكمة الغرب " ج II ، مرجع سبق ذكره ، ص 84.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



فيلسوفا نظريـــا ، لا عالمـــا، ولكنـــه عبـــر بكـــل حـــاول فـــي فلســـفته النظريـــة أن يســـتخلص المقـــدمات الضـــرورية العامـــة للـــروح العلميـــة، مثـــل نفـــي العلـــل الغائيـــة، و اســـتبعاد التفكيـــر الأســـطوري الخرافـــي التشـــبيهي بالإنســـان، والإيمـــان بالحتميـــة والإرتبـــاط العلـــيّ للظـــواهر. (...) وعلـــى هـــذا الأســـاس يمكـــن أن تعـــد فلســـفته مقدمـــة للـــروح العلمية بوجـــه عـــام، ومـــدخلا إلـــى كـــل تفكيـــر يريـــد أن يســـمي نفســـه علميـــا." (45)

وعـــن الموقـــف مـــن الحتميـــة وإيمانـــه بهـــا، وكـــذا إيمانـــه واقتناعـــه بالارتبـــاط العلـــيّ للظـــواهر، يقـــول إســـبينوزا فـــي كتابـــه "الأخـــلاق": "لا شـــيء يبرر قولنـــا بوجـــود أشـــياء حادثـــة(...) وأعتقـــد أن كـــل مـــا يحـــدث ضـــروري منطقيا، إمـــا تبعـــا لماهيتـــه أو تبعـــا لوجـــوده، أو تبعـــا لعلـــة. إننـــا عنـــدما نعتقـــد أن هناك أشياء حادثة، فإنما يرجع ذلك إلى نقص معرفتنا فحسب." (46)

إن هـــذا الموقـــف جعـــل ألبـــرت أنشـــتاين يؤكـــد إعجابـــه باســـبينوزا ونظرتـــه الحتميـــة إلـــى الواقـــع، واعتبـــاره العـــالم يســـير وفـــق قـــوانين دقيقـــة؛ يقول أنشتاين عن ذلـــك:" رغـــم أن أســـبينوزا عـــاش قبـــل عصـــرنا بـــثلاث مائـــة عام، فإن الموقـــف الروحـــي الـــذي كـــان عليـــه أن يتعامـــل معـــه يشـــبه الموقـــف الروحي الحالي إلى حد بعيد. ولـــم يكـــن مـــرد ذلـــك فقـــط إلـــى أنـــه كـــان مقتنعـــا كـــل الاقتنـــاع بـــالترابط العلـــي لجميـــع الظـــواهر، فـــي وقـــت لـــم تكـــن الجهـــود التي بذلت لبلـــوغ معرفـــة بالعلاقـــة العليـــة للظـــواهر الطبيعيـــة قـــد أحـــرزت فيـــه إلا نجاحا ضئيلا." (47)

---

(45) – فؤاد زكريا:"، "اسبينوزا" ، مرجع سبق ذكره ، ص100.

(46)– أورده ريتشارد شاخت في "رواد الفلسفة الحديثـــة " ، ترجمـــة : أحمـــد حمـــدي محمـــود ، الهيئـــة المصـــرية العامـــة للكتاب، 1993،ص99.

(47)– أورده فؤاد زكريا:في "اسبينوزا" ، مرجع سبق ذكره ، ص101.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



إن صـــياغة القـــول الفلســـفي عنـــد إســـ

الهندســـي فـــي الكتابـــة، كانـــت فـــي النهايـــة تهـــدف إلـــى عمليـــة نقديـــة عارمـــة وشـــاملة، لا تقـــف عنـــد حـــدود الصـــياغة الديكارتيـــة المشـــروطة بشـــروط "الأنـــا أفكر" وإكراهاتهـــا، بـــل هـــي صـــياغة جعلـــت مـــن النقـــد الـــركن الأســـاس فـــي نسق فلســـفي متعـــدد المشـــارب والأغـــراض، فهـــو كمـــا يقـــول حســـن حنفـــي: " نقد عقلي يقوم على اســـتعمال العقـــل الرياضـــي الهندســـي، كمـــا هـــو الحـــال فـــي كتـــاب "الأخـــلاق"، وهـــو نقـــد إنســـاني يقـــوم علـــى اســـتعمال النـــور الفطـــري كنور طبيعـــي فـــي الإنســـان، ويهـــدف إلـــى تحليـــل القـــوى الإنســـانية مـــن إدراك وتخيل وانفعـــال، وهـــو أيضـــا نقـــد علمـــي يـــدرس الـــنص الـــديني كمـــا تـــدرس الظـــاهرة الطبيعيـــة ويحـــاول إخضـــاعه لقواعـــد ثابتـــة، والوصـــول إلـــى قـــوانين لتطـــور الروايـــة كمـــا يخضـــع العـــالم الظـــاهرة الطبيعيـــة لقواعـــد المـــنهج العلمي، ويصـــل إلـــى قـــوانين تحكـــم الظـــواهر، فالناقـــد كالعـــالم ســـواء بســـواء، كلاهما يـــدرس الظـــاهرة التـــي أمامـــه، ويحـــاول الوصـــول إلـــى قوانينهـــا التـــي تحكمها. وقد كان نقـــد ســـبينوزا ســـببا فـــي نشـــأة حركـــة التنـــوير فـــي اليهوديـــة قبل أن تبدأ ومازال أحد دعائم التجديد الديني على الإطلاق." [48]

ولكـــن يجـــب الوقـــوف، رغـــم ذلـــك علـــى أن طمـــوح تغييـــر صـــياغة القول الفلسفي لـــدى اســـبينوزا، أو حتـــى لـــدى ليبنتـــز كمـــا ســـنرى لاحقـــا، ظـــل حبيس الأفـــق العقلانـــي الملتـــزم بشـــروط الأســـلوب الهندســـي والرياضـــي، ومـــا يقتضيه ذلك الالتزام مـــن دقـــة فـــي التعبيـــر عـــن الحقيقـــة، رغـــم الطمـــوح إلـــى التأمل والتأويل والتفسير الذي يقتضي التزامات فلسفية من نوع آخر.

---

[48]– من مقدمة حسن حنفي لترجمـــة "رســـالة فـــي اللاهـــوت والسياســـة" لســـبينوزا، دار الطليعـــة، بيـــروت، ط ثانيـــة. 1981، ص 21.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



وبتعبيـــر آخـــر فـــإذا كـــان ديكـــارت "فـ

في البحـــث عـــن الأســـباب الأولـــى للطبيعـــة كـــان يريـــد وضـــع نظـــام للطبيعـــة تكـــون أجـــزاءه مترابطـــة، مـــع بعضـــها الـــبعض ارتبـــاط البـــديهيات بالنظريـــات فـــي النظـــام الرياضـــي.[فقـــد] (...) جـــاراه ســـبينوزا فـــي ذلـــك، فاعتقـــد بـــأن الرياضـــيات هـــي المفتـــاح لحـــل أســـرار الكـــون، واكتشـــاف قوانينـــه، واتخـــذ الهندسة نموذجا بنى على غرارها فلسفته." (49)

إنه الاســـتنتاج نفســـه الـــذي خـــرج بـــه ليبنتـــز وهـــو يعلـــق علـــى فلســـفة سبينوزا قائلا: " إن جـــل مـــا فعلـــه ســـبينوزا أنـــه حصـــد مـــا زرعـــه ديكـــارت. " (50) وفـــي هـــذا التعليـــق مـــا ينطبـــق أيضـــا علـــى ليبنتـــز نفســـه، كمـــا ســـنرى لاحقـــا. إلاّ أن مـــا يـــدعوا إلـــى التســـاؤل هنـــا هـــو لمـــاذا هـــذا الإصـــرار علـــى التمسك بالمنهج الرياضي والهندســـي مـــن قبـــل اســـبينوزا، فـــاق فيـــه حتـــى ولـــع وشـــغف ديكـــارت بعلـــم الرياضـــيات. وهـــو تســـاؤل يحضـــرنا بقـــوة خصوصـــا ونحـــن نعلـــم أن ســـبينوزا يقســـم المعرفـــة إلـــى حســـية وعقليـــة وحدســـية، و"الفلاســـفة الحدســـيين هـــم عـــادة مـــن ذوي النزعـــات الصـــوفية علـــى حـــين أن أصـــحاب الاتجـــاه الرياضـــي والهندســـي هـــم عـــادة مـــن أنصـــار المنطـــق الصارم." (51)

إلا أن الـــدكتور فـــؤاد زكريـــا يعتبـــر مثـــل هـــذا التعـــارض لا وجـــود لـــه فـــي فلســـفة اســـبينوزا، فمـــا "يقصـــده [هـــذا الأخيـــر] بالمعرفـــة الحدســـية لـــيس شيئا يفوق العقـــل أو يعلـــو عليـــه؛ بـــل إنـــه شـــيء عقلـــي فـــي أساســـه. وأغلـــب الظن أنـــه كـــان يشـــير فـــي تفرقتـــه بـــين النـــوعين الثـــاني والثالـــث مـــن أنـــواع

---

(49)– عبدالله إبراهيم: "المركزية الغربية ، إشكالية التكون والتمركز حـــول الـــذات"، المركـــز الثقـــافي العربـــي، بيـــروت ، الدار البيضاء ، 1997 ، ص82.

(50)– أورده عبدالله إبراهيم في المرجع والموضع نفسه.

(51)– أنظر فؤاد زكريا : مادة "اسبينوزا" في "معجم أعلام الفكر الإنساني" ، مرجع سبق ذكره ، ص526 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



المعرفـــة، إلـــى الاخـــتلاف بـــين الاســـتخدام العـ

فعلى حين أن العلم يســتخدم العقــل اســتخداما متــدرجا، يســتدل فيــه مــن شــيء على شيء آخر، ومــن معلــول علــى علتــه، نجــد الفلســفة تســتخدم العقــل مــن حيث هــو أزلــي، فتكشــف عــن أهــم الحقــائق التــي تســير علــى الكــون مــن حيث هو وحدة واحدة، وتعبر عنها من وجهة نظر الأزل" [52]

أمــا موقــف ســبينوزا مــن النــوع الأول مــن أنــواع المعرفــة، فلــم يكــن موقفا رافضــا لمــنهج المشــاهدة والتجربــة، وإنمــا كــان التصــور الفلســفي فــي عمومــه و نســقيته ينســجم مــع إيمــان معــين بــالوجود يمثــل حقيقــة الموقــف والقول الفلسفي عنــد اســبينوزا، " فقــد كــان يــؤمن بــأن طريــق الوصــول إلــى الحقيقة لــيس ذلــك الاســتدلال الاســتقرائي الــذي دعــا إليــه فرانســيس بيكــون، و الذي كــان لــه دوي فــي الأوســاط العلميــة فــي ذلــك الحــين. ذلــك لأن هــذا الاســتدلال الاســتقرائي، وكــذلك مــنهج الملاحظــة المتدرجــة والتجــارب التفصيلية المرتبط بــه، يفتــرض أن فــي العــالم كثــرة وانفصــالا، وأنــه يخضــع لعــدد لا نهايــة لــه مــن القــوانين الجزئيــة. أمــا إســبينوزا فكــان يــؤمن بــأن الوجود وحــدة هائلــة شــاملة، وأن الكــون اللانهــائي يســير وفقــا لقــوانين أزليــة واحــدة، ومــن ثــم فــإن طريــق الوصــول إلــى الحقيقــة لا يمــر عبــر تلــك التفصيلات الجزئية التــي اهــتم بهــا التجريبيــون وإنــا يبــدأ بالكــل وينتقــل منــه إلى فهم كل ما يتضمنه من جزئيات." [53]

إن أهميــة ســبينوزا بالنســبة للعقلانيــة الفلســفية الغربيــة تكمــن أساســا فــي ذلــك الإســهام الســبينوزي فــي صــياغة المعرفــة و الحقيقــة صــياغة المعرفة والحقيقــة صــياغة فلســفية جديــدة فــي شــكلها ومضــمونها؛ فهــي مــن

---

(52)– المرجع والموضع نفسه.

(53)– المرجع نفسه ، ص 525.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



جهة أضفت الطـابع العلـم الرياضـي الهندسـي مـن جهـة أخـرى، المعرفـة، لأول مـرة، شـيئا يكـاد يكـون مرادفـا للتعبيـر كصياغة فلسـفية لهـا شـروطها وأصـولها حيـث " المعرفـة تصـبح، علـى هـذا النحو، نوعا من التعبير." (54)

وإذا مـا نحـن بحثنـا عـن الـدلالات والأبعـاد والمنـاحي الابسـتمولوجية في القول الفلسـفي السـبينوزي فسـنجد أن "أعظـم مـا أسـهم بـه إسـبينوزا مـن أجل العلـم هـو(...) فلسـفته النظريـة ذاتهـا- تلـك الفلسـفة التـي كانـت تقـوم في جميـع نواحيهـا علـى المعقوليـة التامـة، وتسـتبعد كـل التفسـيرات الغيبيـة، وتدعو بـلا ملـل إلـى القضـاء علـى أثـار الجهالـة والتخلـف العقلـي، وتجعـل من الكون نظاما ضروريا واحدا قابلا للفهم." (55)

ربمـا كـان الأجـدر أن نفهـم منـذ البدايـة، ونـدرك بالتـالي، المعـاني الإبسـتمولوجية لـ"الأخـلاق" وهـي تعـرض بأسـلوب إقليـدس، وتصـاغ صياغة رياضية وهندسية.

**2- عقلانية ليبنتز:**

لعـل أبلـغ وصـف يمكـن أن يوصـف بـه ليبنتـز هـو ذاك الـذي جـاء على لسان برتراند رسـل عنـدما قـال: "كـان ليبنتـز مـن أرقـى العقـول فـي كـل زمـان"(56) . رغـم أن آخـرين إختـارو وصـفه بـ"المبشـر."(57) لمـا عرف عنه من سـعة العلـم والثقافـة فـي جميـع ميـادين المعرفـة تقريبـا، إلـى درجـة أن السـبق الـذي حققـه فـي شـتى المعـارف والعلـوم لازال صـداه يصـل الآذان إلـى اليـوم، كمـا اختـار آخـرون وصـفه بـ"العقلانـي

(54)- جيل دولوز: "اسبينوزا..."مرجع سبق ذكره ، ص 6 .
(55)- فؤاد زكريا: "اسبينوزا" ، مرجع سبق ذكره ، ص101.
(56)- رسل :" تاريخ الفلسفة الغربية" ، جIII ، مرجع مذكور ، ص137.
(57) –voir « Les philosophes et la science » Opcit , P167

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



التوفيقي."[58] وهو ما تجلى بحق في قدرته على التوفيق بين المناخ الفكري الفلسفي الذي ساد في القرن السابع عشر، والذي كان موضوع تجاذبات حادة بين منجزات العلم الحديث وإرث العقلانية الديكارتية من جهة، والنزعات الإيمانية التي كثيرا ما اختلطت بالدين والخرافة و" صناعة الإيمان." [59] ،من جهة أخرى . بل إن أحدهم اعتبره " أحد الرواد الفلسفيين الذين مهدوا الطريقة أمام الوضعية المنطقية بكافة اتجاهاتها الفلسفية اللغوية."[60]

إن هذه الآراء وغيرها، حول فلسفة ليبنتز تعكس إلى حد ما موقفا ملتبسا مرده وسببه "الطبيعة المزدوجة لفلسفته. إذ نجد لديه من جهة ميتافيزيقا الجوهر، وهي التي أفضت إلى نظرية الذرات الروحية، ونجد من وجهة أخرى نظرية منطقية تسير، من نواح كثيرة في خط مواز لتأملاته الميتافيزيقية. وربما كان المنطق هو أهم الجانبين في نظرنا، غير أن ليبنتز ذاته كان يبدي كما هو واضح، قدرا متساويا من الاهتمام بجانبي فلسفته. بل لقد بدا له مؤكدا أن المرء يستطيع الانتقال من أحد المجالين إلى الآخر بلا صعوبة."[61]

إن هذه "الطبيعة المزدوجة" بتعبير راسل أو التعدد والتنوع بتعبيرنا هو ما يجعل قراءة ومناقشة وفهم فلسفة ليبنتز أمرا ليس سهلا على الدوام. ويعبر ليبنتز عن هذه الحالة التعددية والمتنوعة قائلا:" لقد تأثرت بمذهب جديد ومنذ ذلك الحين أظنني أرى وجها جديدا، لباطن

---

(58) -voir Tahar Ben Guiza : « le rationalisant concordataire de la philosophie de Leibniz », université de tunis I .Faculté des sciences Humaines et sociales.2001

(59) -Ibid-page 56

(60)– محمد الصالح العياري: " ضد ..مدرسة فيينا، دفاع عن الميتافيزيقا ضد"مبدأ التحقق". على موقع الأنترنيت www.nizwa.com/volume29/P96

(61)– برتراند راسل "حكمة الغرب " ج II ، مرجع سابق ، ص 88

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الأشياء، هذا المـذهب يبـدو جامعـا أفلاطـون إ
ديكـارت، والمدرسـيين إلـى المحـدثين ، واللاهـوت والأخـلاق إلـى العقـل. ويلوح أنه يأخذ الأفضل مـن كـل صـوب، ثـم يمضـي إلـى أبعـد ممـا مضـوا للآن ، وإذا التفتنا إلـى آثـار الحقيقـة هـذه عنـد القـدماء، اسـتخرجنا التبـر مـن التراب، والمـاس مـن المـنجم، والنـور مـن الظلمـات، وأقمنـا فلسـفة دائمـة ." (62)

رغـم أن ليبنتـز ومعـه سـبينوزا قـد خرجـا مـن معطـف العقلانيـة الديكارتيـة ، إلا أن فيلسـوف "هـانفر" وجـه انتقـادات لاذعـة لفلسـفة ديكـارت الـذي "وعـدنا بالمـاس ، ولكنـه لـم يقـدم لنـا إلا فحمـا عاديـا."[1(63)]، حسـب تعبير ليبنتـز. وهـو بموقفـه ذلـك حـاول منـذ البدايـة أن يتميـز عـن ديكـارت الذي شك في جميع المعـارف وفـي كـل مـا اكتسـبه مـن معرفـة ، فـي حـين أن ليبنتز وعكس ذلك تمامـا " كـان يعتقـد أنـه يوجـد قسـطا مـن الحقيقـة فـي كـل مـا وصـل إلينـا مـن السـابقين."[(64)]، وهـو المعنـى نفسـه الـذي يؤكـده ليبنتـز فـي الفقـرة 22 مـن المونادولوجيـا عنـدما يقـر أن " الحاضـر متصـل بالماضي ومثقل بالمستقبل."[(65)]

ولكن ومـع ذلـك، ولأنـه خـرج – كمـا قلنـا – مـن معطـف العقلانيـة الديكارتيـة، فـإن ليبنتـز شـارك ديكـارت " فـي اهتمامـه بمـا سـماه الارتقـاء بالعلوم، ويقصـد بـذلك تقـدم المعرفـة بوجـه عـام والتزويـد بأسـاس للمعرفـة يجعلهـا آمنـة قـادرة علـى مواجهـة احتمـالات الشـك الخطيـر والوقـوع فـي

---

(62) – أورده يوسف كرم في "تاريخ الفلسفة الحديثة"، دار القلم، بيروت [د.ت] ، ص 126

(63) 1- ليبنيتز: "المونادولوجيا" ترجمة ألبير نصـري نـادر، اللجنـة الدوليـة لترجمـة الروائـع الإنسـانية (الأونيسـكو)، بيروت، 1956، ص11

(64) – أنظر مقدمة البير نصري نادر في المرجع نفسه، ص 9

(65) – أنظر جورج طعمة، "فلسفة لايبنتز، مع تعريـب المونادولوجيـا و نصـوص أخـرى"، مكتبـة أطلـس، ط2، دمشـق، 1965، ص 111

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الخطأ. وتماثل هـو وديكـارت أيضـا فـي الشـ
نسـميه بالمعرفـة بوجـه عـام ، لا تسـتند إلـى أسـاس صـحيح، وتفتقـر إلـى اليقـين والتحـرر مـن احتمـالات التعـرض للخطـأ الـذي يتعـين أن تتميـز بـه حتى تستأهل عن جدارة اسم المعرفة ."[66]

ثـم هنـاك لا شـك، مسـألة أخـرى يشـترك فيهـا ليبتنـز مـع ديكـارت وهـي اشـتغالهما معـا بالرياضـيات، واعتمادهمـا عليهـا كأسـلوب اسـتدلالي وعقلي بهدف الدقة واليقين فـي الفلسـفة والفكـر، لكـن ليبتنـز لـن يتوقـف عنـد هذا الحـد فـي توصـيف الحقيقـة، بـل سـيميز فـي منهجـه بـين نـوعين مـن الحقـائق، وهمـا "حقـائق العقـل " vérités de raison، و"حقـائق الواقـع " vérités de fait . وهـو يقـول عـن ذلـك مـا يلـي:" يوجـد نوعـان مـن الحقـائق، الحقـائق العقليـة (أو الاسـتدلالية) والحقـائق الواقعيـة. الحقـائق العقليـة ضـرورية، و ضـدها مسـتحيل. والحقـائق الواقعيـة حادثـة، و ضـدها ممكن." [67]

إلا أن ليبنتـز فـي تمييـزه هـذا بـين "حقـائق العقـل" و "حقـائق الواقـع" لا يغفـل عـن التـذكير بـأن حقـائق العقـل هـي "حقـائق مؤكـدة، وأبديـة وضرورية، وبهـا فقـط، تكـون فرضـياتنا العلميـة أكيـدة وثابتـة، ولـيس فقـط محتملة." [68]

وتجدر الإشارة هنا أنـه منـذ أواخـر القـرن السـابع عشـر وتحديـدا مـع ليبتنـز، وأمـام الانتقـادات الموجهـة مـن قبـل التجـريبيين لـدعاة "الأفكـار الفطرية"، بـدأ النظـر إلـى العقـل لا كخـزان مـن المعـارف الصـورية، ولكـن

---

[66]– ريتشارد شاخت: "رواد الفلسفة الحديثة "، مرجع سابق، ص 54

[67]– ليبنيتز "المونادولوجيا" ترجمة البير نصري نادر، مرجع سابق، ص 42

[68] - Maurice Dupuy : « La philosophie Allemande » , ed : PUF, 1980, P28 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



كمنظومة قواعد صـورية نخضـع لهـا عفويـا ق

ليبتنـز، حلـت نظريـة المبـادئ العقليـة، شـيئا فشـيئا، محـل نظريـة الأفكـار الفطرية. (69)

ورغـم أن ليبنتـز كـان عقليـا خالصـا، أسـوة بـديكارت وسـبينوزا، إلا أن تميـزه الحاسـم بـين "حقـائق العقـل" و "حقـائق الواقـع" أي بـين "القضـايا التـي يجـب أن تكـون صـحيحة والقضـايا التـي يصـادف أن تكـون صـحيحة قد أدى دورا أساسيا في الفلسفة الحديثة." (70)

ولا شـك فـي أن هـذا التميـز الحاسـم يحيـل لا محالـة علـى الموقـع المحوري الذي احتله المنطق في فكر وفلسفة ليبتنز.

وقـد اعتبـره الكثيـر مـن الدارسـين المعاصـرين "المؤسـس الحقيقـي للمنطق الرياضـي"(71). وبتعبيـر برتانـد رسـل، فـإن ليبنتـز " قـد عمـل فـي المنطق الرياضي عمـلا كـان يمكـن أن يكـون مهمـا أهميـة كبـرى لـو نشـره، وكان في تلـك الحالـة يعتبـر مؤسـس المنطـق الرياضـي الـذي كـان سـيعرف لقرن ونصف قبل الزمن الذي عرف فيه بالفعل." (72)

ورغم أن ليبنتـز لا يبتعـد كثيـرا عـن المنطـق الأرسـطي- إذ أنـه كمـا أرسـطو يعتقـد أن العمليـات المنطقيـة، مثـل القيـاس، هـي الأفعـال الحقيقيـة للفكر – إلا أن مهمة المنطـق لديـه تتمثـل قبـل كـل شـيء فـي معرفـة بنيـات الفكـر، قواعـده، و كيفيـة اشـتغاله. ممـا يسـمح لنـا بمعرفـة طبيعـة العقـل، وكـذا إمكانياتـه المتعـددة. وإذا كانـت عـودة العقـل حـول نفسـه، والتفكيـر

---

(69) - voir : Robert Blanché : « La science actuelle et le Rationalisme », ed , PUF , 1967 , P 02 .

(70)– جون كوتنغهام: «العقلانية»، مرجع سابق ، ص71 .

(71) – Jean-Baptiste Rauzy : « Un philosophe-logicien » in magasine litteraire, N°416 janvier 2003, Sepecial leibniz , P 58 .

(72)– برتراندرسل : «تاريخ الفلسفة الغربية" ج III ، مرجع سابق ، ص 152 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



حـــول مختلـــف أشـــكال الاســـتدلال (nement

معرفة وإنشاء علم مـــا. هـــو بالنســـبة لجـــون لـــوك مـــن صـــلاحيات ميـــدان علـــم النفس. فإن ليبنتز يربط هذه المهمة بالمنطق كمنهج عام للفكر. [73]

وإذا نحـــن عـــدنا إلـــى التـــذكير مـــرة أخـــرى، بـــ "الطبيعـــة المزدوجـــة" لفلســـفة ليبنتـــز واتكاءهـــا علـــى المنطـــق والميتافيزيقـــا فـــي آن واحـــد، فـــلأن ليبنتز كان "يعتقد اعتقـــادا راســـخا فـــي أهميـــة المنطـــق، لـــيس فقـــط فـــي دائرتـــه الخاصة به، بل كأساس للميتافيزيقا." [74]

إن "الطبيعـــة المزدوجـــة" هـــذه، هـــي التـــي تفســـر، مـــن جهـــة أخـــرى، قيـــام واعتمـــاد فلســـفة ليبنتـــز علـــى مقـــدمتين منطقيتـــين همـــا قـــانون التنـــاقض وقانون السبب الكـــافي، وهـــو يعبـــر عـــن ذلـــك قـــائلا، " إن تفكيرنـــا قـــائم علـــى مبدأين كبيـــرين، مبـــدأ التنـــاقض، الـــذي نحكـــم بمقتضـــاه أن مـــا يشـــمل التنـــاقض إنما هو خطأ وكل مـــا هـــو مضـــاد ومنـــاقض للخطـــأ إنمـــا هـــو صـــواب ومبـــدأ السبب الكـــافي الـــذي نعتبـــر بمقتضـــاه انـــه يســـتحيل أن يكـــون أي أمـــر صـــادقا، أو موجـــود أو أن يكـــون أي تعبيـــر ســـابقا دون أن يوجـــد ســـبب كـــافي لـــه، ليكون هذا الأمر ما هو عليه ولا على خلاف ما هو عليه..."[75]

وإذا كـــان مبـــدأ التنـــاقض ( أو مبـــدأ عـــدم التنـــاقض)، واضـــحا ومعروفـــا بمـــا فيـــه الكفايـــة إذ "لا يمكـــن لأيـــة عبـــارة أن يكـــون لهـــا معنـــى إلا إذا كانـــت صـــادقة أو كاذبـــة. ومـــن منـــا يقبـــل الجمـــع بينهمـــا دون الشـــعور بالســـقوط فـــي تنـــاقض؟ "[76]. إذا كـــان الأمـــر كـــذلك بالنســـبة للمبـــدأ الأول،

---

[73] – voir : Tahar Ben GUIZA : OPcit , P 97.

[74] – رسل :« تاريخ الفلسفة" ،جIII ، مرجع سابق، ص152.

[75] – ليبنتز: « المونادولوجيا» ، ترجمة ألبير نصري نارد ، مرجع سابق ، فقرة 31 و 32 ، ص41 و 42 .

[76] – د. عبدالسلام بن ميس: " قضايا في الابستمولوجيا والمنطق" ، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1 ، سنة 2000، ص146 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



فإن مبـدأ العلـة أو السـبب الكـافي، أعتبـر بحـ
طـرف ليبنتـز، وهـو "واحـد مـن أكثـر مبـادئ العقـل البشـري أهميـة(...) يعتبـر ليبنتـز هـذا المبـدأ ميتافيزيقيـا ومنطقيـا فـي نفـس الوقـت. فهـو ميتـافيزيقي باعتبـاره صـادرا عـن الحكمـة الإلهيـة؛ وهـو منطقـي لأنـه مسـتخلص مـن المعيـار القائـل بـأن "المحمـول متضـمن فـي فكـرة الموضوع.""[77]

وإذا نحن عـدنا إلـى التمييـز الـذي يضـعه ليبنتـز بـين الحقـائق العقليـة والحقـائق الواقعيـة، وربطنـا ذلـك بالمبـدأين أعـلاه، سنمسـك لا محالـة بالخيط الرفيع الـذي يختـرق فلسـفة ليبنتـز وهـو خـيط عقلانـي بامتيـاز، لكنـه لا يتنكـر للتجربـة، فليبنتـز يقبـل"رأي الفلاسـفة التجـريبيين وهـو أن هـذه المعرفة [حقائق الواقع] لا تأتي إلا من خلال الملاحظة." [78]

لا بـد مـن الاسـتنتاج إذن أن الـدور الـذي يلعبـه مبـدأ السـبب الكـافي "بالنسـبة للفيزيـاء[هـو] نفـس الـدور الـذي يلعبـه مبـدأ التنـاقض بالنسـبة للرياضـيات فهـذا الأخيـر لمفـرده كـافي للبرهنـة علـى كـل النسـق الحسـابي والهندسـي ، أي علـى كـل مبـادئ الرياضـيات. أمـا مبـدأ السـبب الكـافي فيسمح بمرور من الميتافيزيقا إلى الفيزياء." [79]

وإذا نحـن حاولنـا لملمـة مجمـوع الخيـوط الرفيعـة التـي تـربط بـين كل العناصر أعلاه، وجـدنا أن الحقيقـة العقليـة تتميـز"بكـون نفيهـا يـؤدي إلـى التنـاقض. وهـذا لا يقـال علـى الحقـائق الحادثيـة. فالحقـائق العقليـة مبنيـة

---

[77]– د. عبدالسلام بـن مـايس: "السـببية فـي الفيزيـاء الكلاسـيكية والنسـبانية ، دراسـة ابسـتيمولوجيا " دار توبقـال ، الـدار البيضاء، ط أولى، 1994، ص36 – يكوّن "المحمـول مشـمول فـي الموضـوع" قضـية "تحليليـة" ، مـثلا:" جميـع الرجـال البـيض رجال".

[78]– وليام كلي رايت :"تاريخ الفلسفة الحديثة"، مرجع سابق، ص142 .

[79]– د. عبدالسلام بن ميس: "السببية في الفيزياء...." ، مرجع سابق، ص 38 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



على مبدأ عـــدم التنـــاقض؛ أمـــا الحقـــائق التجريبـ
الكافي، أي أن التناقض ظاهرة عقلية وليس ظاهرة حادثية." [80]

واضح أننـــا لســـنا هنـــا بصـــدد عـــرض ومناقشـــة فلســـفة ليبنتـــز أو حتـــى ما قبلهـــا ومـــا بعـــدها، بـــل إن هـــدفنا كـــان منـــذ بدايـــة البحـــث ولا زال متابعـــة وتقصـــي أهـــم المحطـــات واشـــتغالها ضـــمن أفـــق العقلانيـــة فـــي كـــل دلالاتهـــا الفلســـفة والعلميـــة والعقليـــة، علـــى الأقـــل مـــن وجهـــة نظرنـــا. ومـــا فلســـفة ليبنتـــز، فـــي اعتقادنـــا، إلا محطـــة هامـــة جـــدا، مـــن بـــين محطـــات أخـــرى. لا يهـــم فـــي نظرنـــا إن كانـــت تأخـــذ منحـــى عقليـــا أو تجريبيـــا، رياضـــيا أو فيزيائيا، أو تأخذ بهمـــا معـــا. وإذا أردنـــا أن نأخـــذ مثـــالا علـــى مـــا نـــذهب إليـــه أعـــلاه لقلنـــا بـــدون تـــردد أن واحـــدا كإســـحاق نيـــوتن، وإن كـــان يختلـــف اختلافا بيّنا مـــع ليبنتـــز، إلا أنـــه فـــي تقـــديرنا، انخـــرط كليـــة فـــي أفـــق عقلانـــي بامتياز، لا يقـــل أبـــدا عـــن مســـتوى انخـــراط ليبنتـــز فيـــه، رغـــم أن الأول عبـــر عن عقلانيتـــه بـــأمور حســـية فيزيائيـــة، بينمـــا الثـــاني عبـــر عنهـــا بـــأمور عقليـــة ورياضـــية، كمـــا أن الرياضـــيات كانـــت بمثابـــة القاســـم المشـــترك، والمرجعيـــة الأولى لكليهمـــا، مـــع اخـــتلاف أكيـــد " بـــين الـــرجلين(...) علـــى صـــعيد الكتابـــة واللغـــة الرياضـــيتين. فقـــد اســـتعمل ليبنتـــز مـــثلا لغـــة نشـــتم منهـــا رائحـــة العقلانيـــة،(...) بينمـــا اســـتعمل نيـــوتن مصـــطلحات تعبـــر عـــن قربـــه مـــن الأمـــور الحســـية."[81] ومـــا يفســـر هـــذا الاخـــتلاف والتبـــاين هـــو أن" نســـيج نيوتن الرياضـــي هندســـي بالتأكيـــد، أمـــا معـــدن ليبنتـــز فهـــو حســـابي وجبـــري.

---

(80)– د. عبدالسلام بـــن مـــيس: "قضـــايا فـــي المنطقوالابســـتيمولوجيا"، مرجـــع ســـابق، ص 148 . تـــرد كلمـــة "حـــادثي" كترجمـــة لـــ(Contingent) أو (Factuel) والعبارة " الزهور تتفتح في الربيـــع" تمثـــل حقيقـــة حادثيـــة: وعـــن هـــذه المصـــطلحات وغيرهـــا، أنظر المرجع نفسه، ص145 وما يليها.

(81)– عبد القادر بشتة:" العقل العلمي في عصر التنوير"، دار الطليعة، بيروت ،سنة 1997 ، ص81 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



ومعـــروف أن الجبـــر أكثـــر عقلانيـــة مـــن الهنـ
إلى الاعتبارات الحسية."[82]

ورغـــم عقلانيـــة ليبنتـــز القائمـــة أساســـا علـــى الرياضـــيات فـــإن ذلـــك لـــم يمنعه من الاهتمـــام بالوقـــائع والتجربـــة. وهـــو فـــي ذلـــك لـــم يعمـــد علـــى اتخـــاذ أي موقـــف مســـبق اتجـــاه المنهجيـــة التجريبيـــة، بـــل كـــان يســـتدل بهـــا، بمـــا ينسجم مـــع مبـــادئ وقواعـــد فلســـفته، بمـــا فيهـــا مبـــدأ الســـبب الكـــافي، والـــذي كـــان يعتبـــره كمبـــدأ فيزيـــائي و " تجريبـــي". بمعنـــى آخـــر إن اهتمـــام ليبنتـــز بالتجربة لم يكـــن بالنســـبة لـــه شـــيئا ملحقـــا، بـــل مســـألة تنســـجم مـــع التوجهـــات العامة لفلسفته[83].

وبفضـــل مبـــدأ الســـبب الكـــافي يؤكـــد ليبنتـــز أنـــه " يمكـــن البرهنـــة فـــي نفـــس الوقـــت علـــى الأســـس الإلهيـــة والميتافيزيقيـــة لهـــذا العـــالم وعلـــى كـــل المبـــادئ الفيزيائيـــة المســـتقلة عـــن الرياضـــيات أي عـــن مبـــادئ الـــديناميكا والقوة."[84] والتي هي مبادئ فيزيائية بحتة.

وإذا نحـــن أردنـــا التســـاؤل بصـــيغة ابســـتمولوجية حـــول القيمـــة العلميـــة لمبـــدأ الســـبب الكـــافي اللايبنتيـــزي، أمكـــن ملاحظـــة " أن الضـــرورة العقلانيـــة التي يعبـــر عنهـــا مبـــدأ الســـبب الكـــافي أســـاس تطـــور العلـــم الحـــديث. فبفضـــل هذا المبدأ أصـــبح مـــن الممكـــن إقامـــة برهنـــة ذات أســـاس قبلـــي علـــى الحقـــائق العامة التي تمثل المسلمات الأولى للعلم."[85]

أمـــا إذا نحـــن أردنـــا التســـاؤل بصـــيغة فلســـفية خالصـــة. فـــإن أفضـــل إجابة علـــى ذلـــك هـــي التـــي تلـــك تأتينـــا علـــى لســـان مـــارتن هيـــدغر عنـــدما

---

(82)– المرجع والموضع نفسه.

(83) –voir : Tahar Ben GUIZA: OPcit , P301-302.

(84)– عبدالسلام بن ميس: "السببية..."، مرجع سابق، ص38.

(85)– المرجع نفسه، ص 39 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



يخلص قائلا: " إن العلـــة الكافيـــة[السـبب الكـــافي] تذهب إلى أبعـد مـدى وتستشـرف كـل شـيء. إن الفكـر الحـديث لـم يكتشـف الطريق إلى أعماق ذاته إلا عبر هذه الصيغة الدقيقة لمبدأ العلة".(86)

**ثالثـا: الثـورة التجريبيـة وصـياغة العقـل بعـديا...لـوك، بركلـي وهيـوم أو الفلسفة على المحك.**

مـع هـؤلاء الثلاثـة (لـوك ، بركلـي وهيـوم) شـقت الفلسـفة الغربيـة لنفسها طريقـا متميـزا، ظلـت تحـتفظ بملامحـه وخصوصـياته إلـى اليـوم. فمـا نسـميه الفلسـفة التجريبيـة، وتفريعاتهـا اللاحقـة مـن وضـعية منطقيـة، ومنطقيـة تجريبيـة، وفلسـفة تحليليـة، وفلسـفة أنجلوساكسـونية(فـي مقابـل الفلسـفة القاريـة!) وفلسـفة اللغـة... وغيرهـا تـدين بالشـيء الكثيـر، بـل بعضها يـدين كليـة لهـؤلاء الثلاثـة وخاصـة هيـوم ولـوك. يقـول وليـام كلـي رايـت فـي الموضـوع نفسـه: " لقـد أدرك النـاس الآن أنـه ولا حتـى ديكـارت بإشـارته المختصـرة إلـى الشـك العـام، قـد نفـذ بصـورة كافيـة إلـى مشـكلة "حـدود المعرفـة البشـرية ومـداها وقـوى الفهـم"، أعنـي إلـى مـا نسـميه الآن "الابسـتيمولوجيا". وقـد أصـبح ذلـك، بالتـالي، هـو الاهتمـام الرئيسـي لعصـر التنـوير، تلـك الفتـرة التـي يـؤرخ لهـا عـادة منـذ ظهـور "مقـال فـي الفهـم البشـري" للـوك، عـام 1690، وتنتهـي بنشـر كتـاب كـانط "نقـد العقـل الخالص" عـام 1781. ومـع أن مفكـري هـذه الفتـرة العظـام قـد تـأثروا وإلـى حـد مـا إلـى ديكـارت وفلاسـفة عصـر النهضـة العقليـين الآخـرين، فـإن اتجـاههم السـائد هـو المـذهب التجريبـي. فالمصـدر الأصـلي لمعلوماتنـا عـن العالم الخـارجي هـو الإحسـاس، علـى الـرغم مـن أن معطيـات الحـس يمكـن،

(86)– مارتن هيدغر:" مبدأ العلة"، ترجمة نظير جاهل ، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت ، ص 78 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



ويجـــب أن تحلـــل، وتفســـر، وتنقـــد، عـــن طر

هامة لبرتراند رسل جديرة بالذكر هنا وهي أنه رغم النزوع التجريبي الواضح في الفلسفة الانجليزية فإن " التجريبيين الإنكليز قد كشفوا في نظريتهم السياسية، عن نزعة عقلية واضحة في تفكيرهم ".[88]

وهذا ما يعبر عنه بشكل آخر جون لويس قائلا:" اتخذت النزعة العقلية لنفسها في انجلترا طابعا خاصا بلغ درجة من الاختلاف جعلت من الممكن اعتبار الحركة النقدية المعروفة باسم فلسفة التنوير كفلسفة تجريبية عند وصولها إلى هذه البلاد. ورغم ذلك، كانت هذه الحركة ذات طابع عقلي محدد تماما عند كل من لوك وهيوم، كما كان هدفها تطبيق العقل على عدد من الأفكار والأنظمة التي كانت تساند الامتيازات، وهذا ما حققته بنجاح فائق. وكان العنصر الثاني في هذه الحركة البريطانية هو هجوم قوي ضد النزعة العقلية التي تقيم مذهبا ميتافيزيقيا على أساس مبادئ قبلية يكتشفها العقل، أو مكتشفة فيه، بغض النظر عن المعرفة الحسية. ولكن هذا النقد كان يقوم بدوره على أساس استعمال دقيق للعقل، بحيث أمكن القول بأن التجريبية، من هذه الزاوية فلسفة عقلية."[89]

هكذا إذا، تبدو العقلانية الفلسفية مشروطة ليس فقط بما أسس له ديكارت وآخرون بل بدت مشروطة أكثر من أي وقت مضى بنمط فلسفي رئيسي هو بالذات الفلسفة التجريبية...إن " تطور الفيزياء التجريبية الحديثة في أواخر النهضة مع وجوه بارزة مثل غاليلي (...)

---

(87)– وليم كلي رايت: "تاريخ الفلسفة الحديثة"، مرجع سابق، ص153 .

(88)– برتراند رسل:" حكمة الغرب " ، ج II ، مرجع سابق ، ص 107.

(89)– جون لويس: "مدخل إلى الفلسفة" ، مرجع سابق ، ص 105

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



ونيوتن، سـيؤدي شـيئا فشـيئا إلـى مراجعـة م
التجربة." (90)

إننـا فعـلا أمـام "نمطـين رئيسـين للفلسـفة " بتعبيـر بارتراند رسـل" أحدهما يـدين للـوك بنظرياتـه ومنهجـه بينمـا الآخـر اسـتمد أولا مـن ديكـارت ثم من كانط. وكانط نفسه ظـن أنـه قـد أقـام تأليفـا بـين الفلسـفة المسـتمدة مـن ديكارت وتلك المستمدة مـن لـوك، و لكـن هـذا مـالا يمكـن التسـليم بـه، علـى الأقل من وجهـة النظـر التاريخيـة، ذلـك لأن أتبـاع كـانط كـانوا فـي العـرف الـديكارتي، ولـم يكونـوا فـي عـرف لـوك. وورثـة لـوك هـم أولا بـاركلي وهيوم". (91)

وإذا كـان الاخـتلاف بـين "النمطـين الفلسـفيين" مشـوب بالتـداخل تـارة والتنـافر تـارة أخـرى فـي مجـال الميتافيزيقـا و الأخـلاق وحتـى نظريـة المعرفة فـي بعـض الأحيـان. فـإن الاخـتلاف والتبـاين هـو بـيّن وجلـيّ فـي المـنهج " فالفلسـفة البريطانيـة أكثـر تفصـيلا وتـدرجا مـن فلسـفة القـارة [الفلسفة القارية]، فحين تجيز لنفسـها مبـدأ عامـا معينـا فإنهـا تعمـد إلـى إثباتـه اسـتقرائيا بفحـص تطبيقاتـه المتنوعـة. (...) والاخـتلاف فـي المـنهج هنـا يمكـن تحديـد طابعـه علـى النحـو التـالي: فعنـد لـوك أو هيـوم ثمـة نتيجـة متواضعة نسـبيا تسـاق مـن مسـح عـريض لوقـائع كثيـرة، بينمـا عنـد ليبنتـز بناء واسع مـن الاسـتنباط يـراكم علـى شـكل هـرم فـوق نقطـة دقيقـة لمبـدأ منطقـي. عنـد ليبنتـز إذا كـان المبـدأ صـحيحا تمامـا والاسـتنباطات سـليمة سلامة مطلقة، فكـل شـيء حسـن بيـدا أن البنـاء غيـر مسـتقر، وأبسـط خلـل في أي موضع يحيلـه خـراب. عنـد لـوك أو عنـد هيـوم علـى العكـس، قاعـدة

(90) –voir : « Rationalisme » in :http//fr.wikipedia.org

(91)– برتراندرسل:" تاريخ الفلسفة الغربية " ، ج III ، مرجع سابق ، ص 223.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الهـرم علـى أرض صـلبة مـن واقـع مـدروس إلى الأسـفل، وبالتـالي يحـتفظ بتوازنـه، وخلـل هنـا أو هنـاك يمكـن إصـلاحه دون كارثـة كليـة. هـذا الاخـتلاف فـي المـنهج يبقـى فـي محاولـة كـانط أن يدمج شئا من الفلسفة التجريبيـة: فمـن ديكـارت إلـى هيغـل مـن جانـب، ومـن لوك إلـى جـون اسـتوارت مـل مـن جانـب آخـر يظـل هـذا الاخـتلاف فـي المنهج قائما دون ما تغيير."[92]

ورغـم ذلـك فـإن الاخـتلاف بـين النمطـين الفلسـفيين رغـم تجـذره منهجيـا، وتنوعـه ميتافيزيقيـا و أخلاقيـا ... فهـو لا يعـدو أن يكـون تنويعـا لأدوار متعـددة ضـمن أفـق واسـتراتيجية معرفيـة تكـاد تكـون مشـتركة بـين النمطين. بـل هـي بالفعـل كـذلك، كيـف لا مـا دام "يكشـف الجانـب الايجـابي مـن اسـتيراتيجية لـوك أن كـل أصـناف المعرفـة التـي يعزوهـا العقلانيـون إلى الأفكار الفطرية: يمكن إظهار أنها مكتسبة من خلال التجربة."[93]

وإذا مـا نحـن حاولنـا وضـع مـا يشـبه المقارنـة بـين لـوك وليبنتـز ، مثلا، فـإن فلسـفة هـذا الأخيـر تعتبـر" امتـدادا تطوريـا للاتجـاه العقلـي عنـد ديكارت بقدر مـا هـي رد فعـل مباشـر للاتجـاه التجريبـي الـذي بـدأه بيكـون وطبقه لوك في بحثـه فـي نظريـة المعرفـة فـي القـرن السـابع عشـر، ولـذلك فقد كـان التعـارض بـين كـل مـن لـوك وليبنتـز واضـحا فـي الموضـوعات التي تبـدوا فيهـا تجريبيـة لـوك ظـاهرة وخاصـة فـي الكتـابين الأول والثـاني مـن "مقالتـه فـي العقـل البشـري" مثـل إنكـاره للأفكـار الفطريـة أو المعرفـة الأولية بمعنـى أسـبقيتها علـى الإحسـاس إلا أنـه بـالرغم مـن هـذا التعـارض الموجـود بينهمـا يمكننـا أن نلحـظ تشـابههما أو اتفاقهمـا بالنسـبة لـبعض

---

[92]- المرجع نفسه، ص226-227 .

[93]- جون كوتنغهام: "العقلانية" ، مرجع سابق، ص86 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



المشـــكلات الفلســـفية(...)، والمجـــال الـــذي يم
تقريبـــا نفـــس الموضـــوعات التـــي تمثـــل أغلـــب ميتافيزيقـــا لـــوك – فقـــد تنـــاول ليبنتـــز ذلـــك الجانـــب مـــن فلســـفة لـــوك و طـــوره ونمـــاه بمـــا يتفـــق ونزعتـــه العقلية».[2(94)]

إن تطـــور الفلســـفة مـــع التجـــربيين الثلاثـــة الكبـــار الـــذين نعـــرض لهـــم في هـــذا الحيـــز، واتخاذهـــا المنحنـــى التجريبـــي الحســـي الـــذي اتخذتـــه رغـــم أن ذلك المنحنـــى عـــرف فـــي مراحـــل ســـابقة فـــي تـــاريخ الفلســـفة عمومـــا مثّـــل في اعتقادنـــا مرحلـــة ومحطـــة فـــي غايـــة الأهميـــة والدقـــة فـــي تـــاريخ الفلســـفة والعقـــل. فنظريـــة المعرفـــة مـــع هـــؤلاء الثلاثـــة، وإن كانـــت أبـــدت بعـــض التنكـــر أو حتـــى كلـــه، للمعرفـــة الفطريـــة بـــالمعنى الـــديكارتي، أو نظريـــة المبادئ العقلية بالمعني اللابنتيـــزي، فهـــي فـــي نهايـــة الأمـــر هـــي التـــي أعطـــت للعقـــل فرصـــة التحـــول الحقيقـــي وانتقالـــه ذهابـــا وإيابـــا مـــن وإلـــى المنطـــق والرياضيات والتجربة ومـــا تقتضـــيه مـــن حدســـي وحســـي، "فقـــد كـــان ديكـــارت وخلفاؤه"عقليـــين" يطمحـــون إلـــى تطبيـــق مـــنهج الرياضـــيات علـــى الفلســـفة. أمـــا التجريبيـــون الانجليـــز فيجعلـــون علـــوم الطبيعـــة مـــثلهم الأعلـــى، ويطبقـــون المـــنهج الاســـتقرائي علـــى دراســـة الـــذهن الإنســـاني وقـــد اســـتطاعت المدرســـة الانجليزيـــة، بمنهجهـــا التجريبـــي الاختبـــاري، أن تمحـــص مختلـــف الفـــروض الميتافيزيقيـــة، وأن تفســـر أفكارنـــا تفســـيرا وضـــعيا جـــديا، وأن تفحـــص عـــن ملاكاتنا ومعارفنـــا فحصـــا دقيقـــا نقـــديا. ولكـــن هـــذا الفحـــص "النقـــدي" للمعرفـــة الإنسانية قد بلـــغ ذروتـــه عنـــد الفيلســـوف الاســـكتلندي "هيـــوم""[(95)]. وهـــو نفســـه الفيلســـوف الـــذي " أيقـــظ كـــانط مـــن ســـباته العميـــق ودفـــع بـــالفكر العلمـــي

(94) -عزمي إسلام: "جون لوك" ، دار الثقافة ، القاهرة [د.ت]، ص240 و 241.

(95)– عثمان أمين : "شخصيات ومذاهب فلسفية" ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، [د.ت] ، ص103 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الفلســـفي الحـــديث إلـــى أقصـــى حـــدوده و

الابستيمولوجية لا تزال قائمة حتى اليوم".[96]

وإذا كان التـــأليف بـــين العقـــل والتجربـــة قـــد اكتمـــل اكتمـــالا مـــع كـــانط ، حيث أدى تأثير هيـــوم فـــي كـــانط إلـــى "أنســـنة المعرفـــة[عبـــر الـــربط الكـــانطي] بـــين العقـــل والحـــس الإنســـانيين".[97] فـــإن التجـــريبيين المعاصـــرين يعترفـــون "أن الخبـــرة الحســـية هـــي عامـــل واحـــد فقـــط مـــن عوامـــل إنتـــاج المعرفـــة الجوهريـــة. ينظـــر إلـــى الخبـــرة الحســـية إذن بوصـــفها شـــرطا ضـــروريا، وليس شرطا كافيا لمثـــل هـــذه المعرفـــة. وأيضـــا تخلـــوا بشـــكل عـــام عـــن تشـــبيه اللـــوح الفـــارغ أو الصـــفحة البيضـــاء، واعترفـــوا بالعقـــل(الـــذهن/ الفكـــر) كشريك ايجابي في إنتاج المعرفة".[98]

ودون مـــا إطنـــاب أو تفصـــيل فـــي الحـــديث عـــن فكـــر وفلســـفة هـــؤلاء الثلاثـــة الممثلـــين الأوائـــل للفلســـفة الإنجليزيـــة والتجريبيـــة عمومـــا، فإنـــه يكفـــي أن نلاحظ في هذا الخيّـــز، مـــع جيـــل دولـــوز وهـــو يقـــول:"يطـــرح هيـــوم علـــى نفسه مهمة إنتـــاج علـــم للإنســـان. مـــا هـــو مشـــروعه الأساســـي؟ يتحـــدد اختيـــار علـــى الـــدوام تبعـــا لمـــا يســـتبعده، فالمشـــروع التـــاريخي هـــو اســـتبدال منطقـــي. يتعلـــق الأمـــر بالنســـبة لهيـــوم، باســـتبدال ســـيكولوجية للفكـــر (L'esprit) بســـيكولوجية تـــؤثرات الفكـــر. فســـيكولوجية الفكـــر مســـتحيلة، غيـــر قابلـــة للتشـــكل، إذا لا تـــتمكن مـــن أن تجـــد فـــي موضـــوعها لا الاســـتدامة ولا

---

(96)– عبدالسلام بن ميس: "قضايا في الإبستيمولوجيا..." ،مرجع سابق ، ص129 .

(97)– عبدالقادر بشتة :" الفلسفة و العلم من كـانط ونيـوتن إلـى الوضـعية وحـدود المعرفـة الإنسـانية"، دار الطليعـة بيـروت ،ط أولى، 2002 ،ص26 .

(98)– وليم جيمس ايرل : "مدخل إلى الفلسفة" ترجمة عادل مصـطفى ، مراجعـة يمنـى طريـف الخـولي، المجلـس الأعلـى للثقافـة، القاهرة، ط أولى، 2005، ص 87

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الشـــمول الضـــروريين؛ وحـــدها ســـيكولوجية لل
الحقيقي للإنسان".[99]

كمـــا وأنـــه يمكـــن الملاحظـــة أيضـــا "أن مبـــادرة هيـــوم والمتمثلـــة فـــي تطبيـــق مـــنهج العلـــوم الفيزيائيـــة علـــى موضـــوعات العلـــوم الإنســـانية مبـــادرة مهمة في حـــد ذاتهـــا، ولـــم يســـبق لهـــا مثيـــل فـــي تـــارخ الفلســـفة.(...) أضـــف إلى ذلـــك أن المنطـــق عنـــد هيـــوم، علـــى خـــلاف مـــا كـــان عليـــه الأمـــر عنـــد الـــديكارتيين ومناطقـــة بـــور روايـــال لـــيس علمـــا معياريـــا ولـــيس فنـــا يعصـــم الذهن مـــن الخطـــأ. وبالتـــالي فـــإن المنطـــق لا ينبغـــي أن يكـــون مبحثـــا وصـــفيا لعلم الإنسان، أي المبحث الذي يهتم بوصف عمليات الفهم".[100]

ولا شـــك أن أهميـــة هيـــوم وبركلـــي ولـــوك، بالنســـبة لنظريـــة المعرفـــة لاحقـــا والـــدرس الإبســـتيمولوجي المعاصـــر، حاســـمة ولا غبـــار عليهـــا، فهـــا هو زكي نجيب محمود يعبـــر عـــن ذلـــك بأســـلوبه قـــائلا:" يعـــد ديفـــد هيـــوم أبـــا لحركـــة فلســـفية تعاصـــرنا اليـــوم ونعاصـــرها،(...) والأســـاس الـــذي وضـــعه لنـــا هيـــوم فجئنـــا اليـــوم نبنـــي عليـــه، هـــو التفرقـــة الفاصـــلة الواضـــحة بـــين ضربين مـــن المعرفـــة : المعرفـــة التـــي تنحصـــر أطرافهـــا فـــي رأس صـــاحبها، إذ تكون تحديـــدا للعلاقـــات القائمـــة بـــين فكـــرة وفكـــرة، كـــأن يـــدرك أن إحـــدى الفكـــرتين نتيجـــة تلـــزم عـــن الأخـــرى؛ والمعرفـــة تنبؤنـــا عـــن أمـــور الواقـــع، فليس الأمـــر هاهنـــا مقتصـــرا علـــى تحليـــل الأفكـــار الذهنيـــة لتحديـــد مـــا بينهـــا

---

(99)– جيل دولوز :"التجريبية والذاتية بحث فـي الطبيعـة البشـرية وفقـا لهيـوم" ، ترجمـة أسـامة الحـاج ، المؤسسـة الجامعيـة للدراسات ، بيروت ، ط أولى ، 1999 ، ص5 .

(100)– عبد السلام بن ميس : " قضـايا فـي الإبسـتيمولوجيا..." ، مرجـع سـابق ،ص 132. " نلاحـظ عنـد هيـوم نـوعين مـن المنطـق: منطـق العقـل (Logique de la raison) ومنطـق الفهـم (Logique de l'Entendemenet). الأول منطـق برهـاني ، بينما الثاني منطق احتمالي، فالعقل يبرهن على منطقـه ومنطـق الحقـائق الضـرورية (الصـورية). والفهـم يـؤدي بنـا فقـط إلـى نتائج احتمالية"، أنظر المرجع والموضع نفسه.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



مـــن علاقـــات، بـــل إنـــه يجـــاوز حـــدود الـــ

الخارجي، فيغترف من حوادثه ووقائعه تقريرا عما يدور حولنا".[101]

إن هـــذه التفرقـــة وهـــذا التمييـــز الـــذي يضـــعه هيـــوم بـــين معرفـــة "رأس صاحبها" ومعرفـــة "أمـــور الواقـــع" ، هـــو مـــا يقابلـــه عنـــد ليبتنـــز ذلـــك التمييـــز بـــين "حقـــائق العقـــل" و "حقـــائق الواقـــع". وتقـــدم نظريـــة المعرفـــة لاحقـــا واتخاذها شـــكل الـــدرس الإبســـتيمولوجي المعاصـــر لـــم يكـــن "ممكنـــا لـــولا قيـــام ليبتنـــز ومـــن بعـــده هـــوم بـــالتمييز بـــين الحقـــائق العقليـــة والحقـــائق الحادثية".[102]

ويمكـــن أن نقـــول الشـــيء نفســـه عـــن أهميـــة بركلـــي بالنســـبة للـــدرس الإبســـتيمولوجي المعاصـــر، فعلـــى "الـــرغم مـــن أن أوكســـت كونـــت هـــو مؤســـس الفلســـفة الوضـــعية فـــإن الاتجاهـــات الوضـــعية الجديـــدة بمختلـــف نزعاتهـــا، لا تـــرتبط بأوكســـت كونـــت مباشـــرة، بـــل بظاهراتيـــة مـــاخ phénoménisme التـــي تـــرتبط هـــي الأخـــرى بـــلا ماديـــة بركلـــي».[103] إن بركلي، بتعبيـــر رســـل، "مهـــم فـــي الفلســـفة بســـبب إنكـــاره للمـــادة، وهـــو إنكـــار يدعمه بعدد مـــن الحجـــج البارعـــة. فهـــو يأخـــذ بـــأن الموضـــوعات توجـــد فقـــط لأنها مدركة».[104]

أما أهميـــة جـــون لـــوك للـــدرس الفلســـفي المعاصـــر وقبـــل ذلـــك الفلســـفة عموما، فتكمن فـــي "أنـــه كـــان أول مـــن وضـــع مشـــكلة المعرفـــة الإنســـانية فـــي تاريخ الفكر الفلســـفي موضـــع البحـــث المســـتقل المـــنظم فـــي كتابـــه "مقالـــة فـــي

---

(101)– زكي نجيب محمود : " ديفد هيوم" ، سلسلة نوابغ الفكر الغربي ، دار المعارف، القاهرة ، [د.ت] ، ص9 .

(102)– عبدالسلام بن ميس : " قضايا في الإبستيمولوجيا..." ، مرجع سابق ، ص 147 .

(103)– محمد عابد الجابري : " مدخل إلى فلســـفة العلـــوم ، دراســـات ونصـــوص فـــي الإبســـتيمولوجيا المعاصـــرة" ، الجـــزء الثـــاني "المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي" ، دار الطليعة بيروت ، ط الثانية ، 1982 ، ص69 .

(104)– برتراندرسل : "تاريخ الفلسفة الغربية" ، ج III ، مرجع سابق ، ص233 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



العقل البشري" الذي يعتبـــر بمثابـــة أول محاولـــة كان بمثابـــة مرحلـــة انتقـــال ضـــرورية فـــي تـــاريخ الفكـــر الفلســـفي فـــي القـــرن الســـابع عشـــر-تتـــرجم لـــروح العصـــر- وهـــي الـــروح العلميـــة، فـــي مختلـــف الميـــادين، سياســـية كانـــت أو فلســـفية. وذلـــك لاســـتيعابه للاتجاهـــات التجريبيـــة عند فرنسيس بيكـــون، ونتـــائج العلـــوم الطبيعيـــة عنـــد كـــل مـــن بويـــل، جـــاليلو ، نيـــوتن. وتقـــديمها فـــي فلســـفته التجريبيـــة النقديـــة تعبيـــرا تمهيـــديا تطوريـــا لفلسفة جديدة اتضحت معالمها عند هيوم، رسل ووليم جيمس"[105]

[105]- عزمي إسلام: "جون لوك" ، مرجع سابق ، ص05.

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

# الفصـــــــل الثالث

## تحولات العقلانية...

## من الفلسفة (الميتافيزيقا) والعلم إلى الدرس الابستيمولوجي المعاصر

أولا: كانط وتجديد العقل.

ثانيا: العقل المطلق، هيغل يشطب نمطية العلاقة بين الفلسفة والعلم.

ثالثا : الاتجاهات العلمية في الفلسفة المعاصرة.. العقل والعقلانية في القرن العشرين.

1- فلسفة التحليل.

2- التجريبية المنطقية.

3- العقلانية والدرس الابستيمولوجي المعاصر.

4- الفلسفة والفيزياء.

5- الأسلوب الفرنسي في الابستيمولوجيا.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



**أولا: كانط و تجديد العقل:**

مرة أخرى لسنا بصدد اقتفاء أثر هذه الفلسفة أو تلك ، كما و أننا لسنا على استعداد أن نزعم أو ندعي إقامة صرح نظري يتجاوز أو يقوم على أنقاض ما. بل هدفنا- كما أشرنا منذ البداية- هو تتبع الدرس الفلسفي في علاقته بالعلم ضمن أفق عقلاني، يعير الاعتبار للحقيقة والمعرفة في تجلياتها العقلية والتجريبية، و هو في ذلك يحاول أن يكون منسجما، ليس فقط، مع تطور الفلسفة والعلم، و لكن تطور العقل نفسه وتحولات العقلانية المتجددة، التي يفرضها التطور العلمي و الفلسفي بالتالي. وحتى انتهاء بالدرس الابستمولوجي المعاصر، أي الفلسفة في اتجاهاتها العلمية و العقلانية.

ولاشك أن محطة كانط الفلسفية شكلت تحولا "ثوريا" في تطور العقلانية ، ومسار العلاقة بين الفلسفة و العلم، و كان التأليف الكانطي بين المعرفة العقلية والمعرفة الحسية أكبر عنوان لذلك التحويل، الذي بدأ بالفعل مع نشر كتاب " نقد العقل الخالص" عام 1781، و " يعتقد كانط في هذا الكتاب أنه قام بثورة عظيمة في الفلسفة تشبه الثورة التي قام بها " كوبر نيقوس" في علم الفلك" [1]. وبتعبير حسن حنفي " إذا كانت البداية الأولى لم تترك اسما لمذهب فان البداية الثانية تركت مذهبا في " الفلسفة النقدية" أو " المثالية الترنسند نتالية". كان الكوجيتو الديكارتي هو البداية الأولى، و كان الكوجيتو الكانطي أو الثورة الكوبرنيقية" هي البداية الثانية. قام ديكارت بالبداية الأولى على الطريقة الفرنسية، سهولة ووضوح، و جمال أسلوب، و تجارب معاشة، و بداية بالمشاهدة الحسية. و قام كانط بالبداية الثانية على الطريقة الألمانية،

[1] - وليم كلي رايت: " تاريخ الفلسفة الحديثة"، مرجع سبق ذكره، ص 253.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



صعوبة فهـم، غمـوض معنـى، و عـورة أسـ بالتأمـل العقلـي الخـالص. إذا كانـت البدايـة الأولـى مجـرد تـأملات مذهبيـة فان البدايـة الثانيـة أول المـذاهب الشـامخة"[2] إن مـا يفسـر هـذا الشـموخ هـو بالذات التأليف الكـانطي بـين العقـل والتجربـة و مـا يقتضـيه مـن نحـت جديـد وأصيل للمفـاهيم، و توجيـه التفكيـر نحـو أسـس المعرفـة "ذلـك أن كـل تفكيـر فلسـفي أصـيل، هـو بالأسـاس تفكيـر، لـيس فقـط حـول مـا نعـرف، و لكـن تفكير حول الأسـاس الـذي يقـوم عليـه مـا نعـرف. وقبـل كـانط، كـان ربمـا ديكارت هو الذي لقننا هـذا الأسـلوب فـي طـرح السـؤال الفلسـفي، و بـيّن لنـا الوجهـة التـي يجـب توجيـه الفكـر صـوبها. و متبنيـا المسـألة ذاتهـا، جـذّرها كانط وذهب بها أبعد من ديكارت نفسه."[3]

و في هـذا المعنـى، يمكـن اعتبـار " نقـد العقـل الخـالص" بمثابـة دعـوة مسـتفزة بقـدر مـا هـي منهجيـة، علـى العقـل أن يتجـه نحـو نفسـه، بهـدف قيـاس قدراتـه الحقيقيـة، و تحديـد مـن الـداخل، حقوقـه المشـروعة، و حـدوده التـي لا يمكـن تخطيهـا.[4] و "إذا كـان لا محالـة للعقـل، لكـي يختبـر العـالم، مـن أن يكـون مسـلحا بـ" المفهومـات" فمـن أيـن تـأتي هـذه المفهومـات، والأهـم مـن ذلـك كيـف لنـا أن نثبـت أن لهـا نـوع الصـحة الموضـوعية الضرورية لإنشـاء المعرفـة؟ هـذه هـي المشـكلة المحوريـة فـي " نقـد العقـل الخـالص" و جـواب كـانط هـو إن كـل مفهومـات الفهـم مسـتمدة مـن بعـض "المقـولات" الأساسـية (...). و يؤكـد كـانط أن مقـولات الفهـم هـذه مـن نحـو مقولـة الجـوهر و مقولـة العليـة [السـببية]، إنمـا هـي أفكـار قبليـة، و بهـذا

---

(2) ـ حسن حنفي: " مقدمة في علم الاستغراب"، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط ثانية، سنة 2000، ص 206.

(3) -Hamadi BENJABALLAH : « le fondement du savoir dans le critique de la raison pure » faculté des sciences humaines et sociales , Tunis, ALIF, les éditions de la Méditérranée, Tunis 1997, P09.

(4) -Ibidem

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



المعنـــى تمكـــن رؤيـــة النظريـــة الكانتيـــة للمقـ التقليدي في الأفكـــار الفطريـــة. و لكـــن خلافـــا للرؤيـــة الديكارتيـــة التـــي مؤداهـــا أن هذه الأفكـــار مســـتقلة كـــل الاســـتقلال عـــن التجربـــة الحســـية، يحـــاجّ كـــانط – وفـــي حجاجـــه أهـــم إســـهام لـــه فـــي نظريـــة المعرفـــة و أكثـــره أصـــالة–أن التجربـــة تقتضـــيها مقـــدما. والمقـــولات التـــي هـــي كمقـــولتي الجـــوهر و العليـــة هـــي الشـــروط المســـبقة الضـــرورية لقـــدرتنا علـــى اختبـــار العـــالم بأيـــة حـــال. فإذا كـــان العـــالم ســـيظهر لنـــا بالطريقـــة التـــي يظهـــر بهـــا و إذا كنـــا سنحضـــى بأي فهم للعالم، فيجب أن يتطابق فهمنا مع هذه المقولات.[5]

إن التأليف الكـــانطي الـــذي تحـــدثنا عنـــه ســـابقا شـــكّل، لـــيس فقـــط تحـــولا و منعطفـــا حاســـما فـــي نظريـــة المعرفـــة و الفلســـفة عمومـــا، بـــل خلـــط أوراق قواعـــد التقليـــد العقلـــي والتقليـــد التجريبـــي علـــى حـــد ســـواء ف" بـــدلا مـــن أن يحـــاول أن يفســـر المفـــاهيم العقليـــة علـــى أســـاس التجربـــة، كمـــا فعـــل هيـــوم، شـــرع فـــي تفســـير التجربـــة علـــى أســـاس المفـــاهيم العقليـــة، و يمكـــن القـــول بمعنـــى معـــين ان فلســـفته كانـــت تقـــيم توازنـــا بـــين الموقـــف المتطـــرف للتجريبية الانجليزيـــة مـــن جهـــة، و المبـــادئ الفطريـــة التـــي قـــال بهـــا المـــذهب الـــديكارتي مـــن جهـــة أخـــرى (...) [ورغـــم ذلـــك] اتفـــق كـــانط مـــع هيـــوم والتجـــريبيين فـــي القـــول ان كـــل معرفـــة انمـــا تبـــدأ مـــن التجربـــة، و لكنـــه أضاف على خلافهم، ملاحظـــة هامـــة الـــى هـــذا الـــرأي ، هـــي أن مـــن الواجـــب التمييز بين مـــا ينـــتج المعرفـــة بالفعـــل، والصـــورة التـــي تتخـــذها تلـــك المعرفـــة، و على ذلـــك، فـــرغم أن المعرفـــة تنشـــأ عـــن طريـــق التجربـــة، فانهـــا لا تســـتمد منها وحـــدها ، ويمكننـــا التعبيـــر عـــن هـــذه الفكـــرة علـــى نحـــو مختلـــف بـــالقول

[5] - جون كوتنغهام: " العقلانية.." مرجع سابق، ص : 100-101.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



ان التجربـــة الحســـيبة شـــرط ضـــروري للمعرفـــ لها.[6]

وتجـــدر الإشـــارة هاهنـــا أن كـــانط صـــاغ وبلـــور نظريتـــه للمعرفـــة ضمن أفـــق تجـــاوز الميتافيزقـــا التقليديـــة و بنـــاء ميتافيزيقـــا نقديـــة، تســـتفيد مـــن النجاحـــات العلميـــة والرياضـــية و الفيزيائيـــة و خاصـــة عنـــد النمـــوذج النيوتـــوني. و " تبـــدأ ميتافيزيقـــا كـــانط بمهاجمـــة الميتافيزيقـــا القديمـــة التـــي أطلـــق عليهـــا اســـم الميتافيزيقـــا القطيعـــة أو والدجماطيقيـــة. و كـــان يســـتهدف من ذلك اقامـــة ميتافيزيقـــا جديـــدة هـــي التـــي أســـماها الميتافيزيقـــا النقديـــة. (...) ومن هنا كان كتـــاب " نقـــد العقـــل الخـــالص" بحثـــا فـــي الميتافيزيقـــا؛ لأنـــه بحـــث فـــي نظريـــة المعرفـــة، و فيـــه يحـــاول أن يبـــين فســـاد كـــلا التيـــارين: النزعـــة العقليـــة و النزعـــة التجريبيـــة، الأولـــى لتجاوزهـــا لحـــدودها، و الثانيـــة لقصورها".[7]

هكـــذا ، إذن " تقـــوم الكانطيـــة فـــي تـــاريخ الفلســـفة الغربيـــة كمحاولـــة فلســـفة جريئـــة لإعـــادة بنـــاء الإشـــكال الميتـــافيزيقي، و إقامـــة الأســـس النقديـــة للمجـــال الـــذي ينبغـــي أن يتخـــذ فيـــه الخطـــاب الميتـــافيزيقي وضـــعا "شـــرعيا" نهائيـــا. و معنـــى هـــذا أن الفلســـفة الكانطيـــة هـــي بالأســـاس " ميتافيزيقـــا"؛ أو بتعبيـــر أدق، مشـــروع إقامـــة الشـــروط النظريـــة و العقليـــة "القبليـــة" اللازمـــة لإمكانية بناء فعل ميتافيزيقي جديد ".[8]

إن المكانـــة التـــي يحتلهـــا العلـــم فـــي أعمـــال و فكـــر كـــانط، مكانـــة محوريـــة إلـــى درجـــة أن فلســـفته النقديـــة لـــم تكـــن شـــيئا آخـــر ســـوى عـــرض لمنـــاهج ومفـــاهيم العلـــم الطبيعـــي (الفيزيـــاء) ومحاولـــة شـــرعنة

(6) ـ برتراند رسل: " حكمة الغرب" ج II ، مرجع سابق، ص 158.
(7) ـ امام عبد الفتاح امام: " مدخل الى الميتافيزيقا"، مرجع سابق، ص 162.
(8) ـ محمد هشام:" في النظرية الفلسفية للمعرفة" مرجع سابق، ص 109.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



(légitimation) الفيزيـــــاء النيوتونيـــــة [9]. ولقد السائد فـــي الفلســـفة كـــي يبـــرهن علـــى إمكـــان بلـــوغ اليقـــين، و أراد أن يجعـــل مـــن نتـــائج العلـــم دعامـــة يرتكـــز عليهـــا فـــي تشـــييد فلســـفته، فهـــو رأى فـــي فيزيـــاء نيـــوتن المرحلـــة الأخيـــرة لمعرفـــة الطبيعـــة، و رفـــع هـــذه الفيزيـــاء فكريا إلـــى مرتبـــة المـــذهب الفلســـفي. لقـــد لعبـــت فيزيـــاء نيـــوتن دورا حاســـما في حياة كانط العقلية."[10]

لقـــد دفـــع الاهتمـــام البـــالغ الـــذي أولاه كـــانط للفيزيـــاء النيوتونيـــة و العلـــم بشكل عام، دفـــع بـــه إلـــى الإقـــرار صـــراحة فـــي مقدمتـــه للطبعـــة الثانيـــة مـــن "نقد العقـــل الخـــالص" أن هدفـــه الأســـاس هـــو جعـــل الميتافيزيقـــا تخضـــع لـــنفس الضـــوابط و القواعـــد العلميـــة والرياضـــية، و بالتـــالي تحقيـــق نفـــس النجاحـــات التـــي حققتهـــا الفيزيـــاء النيوتونيـــة. يقـــول كـــانط "عنـــدما نـــرى كيـــف أن الرياضـــيات و الفيزيـــاء أصـــبحت اليـــوم بفعـــل ثـــورة فجائيـــة. وجـــدت نفســـي ملزما أن أعتبر ما حـــدث فـــي هـــذين العلمـــين مثـــالا مهمـــا دفعنـــي إلـــى التفكيـــر في الخاصية الأساســـية للتغييـــر الـــذي طـــرأ علـــى مـــنهج هـــذه العلـــوم و الـــذي كان مفيدا لها. فعمدت إلى إدخال نفس التغيير في مجال الميتافيزيقا."[11]

إن المهمـــة الكانطيـــة هاهنـــا، يمكـــن اعتبارهـــا مهمـــة ابســـتيمولوجية بامتيـــاز، فهـــي فريـــدة – و إن لـــم تكـــن الأولـــى– فـــي ربـــط الفلســـفة بـــالعلم، و إضفاء الصـــبغة العلميـــة الضـــرورية و الكافيـــة علـــى القـــول الفلســـفي، كمـــا أن " مشـــروع إعـــادة بنـــاء القـــول الميتـــافيزيقي بالشـــكل الـــذي يضـــمن لـــه مشـــروعية وجـــوده و اســـتمراريته يتطلـــب تحلـــيلا عميقـــا لطبيعـــة اشـــتغال العقـــل فـــي تحصـــيله للمعرفـــة بـــالكون الطبيعـــي. إنـــه تحليـــل ارتـــدادي يرتقـــي

---

[9] -voir : « les philosophes et la science » OP.Cit., P349.

[10] ـ حسين علي حسن: " الأسس الميتافزيقية للعلم" ، دار قباء، القاهرة، 2003 ، ص 49.

[11] -EMMANUEL Kant : « critique de la raison pure », traduction de jules Barni, ed :Flammarion, 1976, P41.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



من الواقـــع الثابـــت و الأكيـــد لوجـــود العلـــم إلـــ ممكنا. على هـــذا الأســـاس تنـــتج النظريـــة المعرفيـــة عنـــد كـــانط أســـلوبا جديـــدا وأصيلا في التعامـــل مـــع العلـــوم (...) إنـــه الأســـلوب " المتعـــالي" الـــذي يبحـــث فـــي التحديـــد القبلـــي لإمكانيـــة تكـــون المعرفـــة و المجـــالات التـــي تعـــرف صلاحيتها. و إذا كـــان هـــذا الأســـلوب قـــد ارتـــبط أصـــلا بـــالموقف النقـــدي فـــي الفلسفة الكانطية إلـــى مـــا يمكـــن معـــه، بمعنـــى مـــا، اعتبـــار أن كـــانط قـــد دشـــن مـــا سايســـمى لاحقـــا بـــــ" الابســـتيمولوجيا" (...) فانـــه قـــد انتقـــل مـــن بعـــدها ليشـــكل الإطـــار النظـــري العـــام لابســـتيمولوجيات أخـــرى زعمـــت تحويـــل الفلسفة إلى علم دقيق".[12]

إن رائحـــة " الوضـــعية" التـــي قـــد تشـــتم مـــن الفلســـفة الكانطيـــة و بشـــكل خـــاص مـــن " نقـــد العقـــل الخـــالص" علـــى اعتبـــار أن مهمـــة القـــول الفلســـفي أضـــحت مهمـــة بحـــث وتســـاؤل عـــن شـــروط إمكانيـــة العلـــم و التـــزام الميتافيزيقـــا بقواعـــده و ضـــوابطه، هـــي فـــي اعتقادنـــا رائحـــة عـــابرة و زائلـــة (Ephémère) ، فـــإذا كـــان كـــانط يـــرى " أن الميتافيزيقـــا علـــم نظـــري محـــض، بمعنـــى أنهـــا مســـتقلة تمـــام الاســـتقلال عـــن كـــل تجربـــة. (...) فـــإن الميتافيزيقـــا تختلـــف اختلافـــا كبيـــرا عـــن كـــل مـــا عـــداها مـــن العلـــوم، نظـــرا لأنهـــا لا تكـــاد تعـــدو فـــي دراســـتها مبـــادئ العقـــل، و حـــدود اســـتعماله، علـــى نحو مـــا تحـــددها تلـــك المبـــادئ. وحـــين يعـــرف الميتـــافيزيقي أن مبـــادئ العقـــل هـــي مجـــرد مبـــادئ منظمـــة لا مبـــادئ مكونـــة، فإنـــه عندئـــذ لا يمكـــن أن يقـــع فـــي الأخطـــاء التـــي اقترفهـــا أصـــحاب الميتافيزيقـــا الإيقانيـــة."[13] بتعبيـــر آخـــر فـــإن الميتافيزيقـــا الكانطيـــة " علـــم ينطـــوي علـــى مبـــادئ لا علـــى أحكـــام،

---

(12) ـ محمد هشام: " في النظرية الفلسفية للمعرفة" مرجع سابق، ص 110-111.
(13) ـ زكريا ابراهيم: " كانت أو الفلسفة النقدية"، مكتبة مصر، القاهرة [د.ت]، ص 118.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



تركيبيـــة قبليـــة. و لكـــن بشـــرط ألا تكـــون تنظيمية".[14]

إن رائحـــة " الوضـــعية" قـــد تشـــتم مـــن قبـــل الـــبعض، كـــذلك لجهـــة رفـــض كـــانط للميتافيزيقيـــا القطعيـــة، وهـــو كمـــا نعلـــم رفـــض لا يطـــال الميتافيزيقـــا جملـــة و تفصـــيلا، فالميتافيزيقـــا بالنســـبة لكـــانط هـــي المـــدخل والأرضـــية لقيـــام علـــم يـــوازي فـــي دقتـــه وموضـــوعيته العلـــم الرياضـــي والفيزيـــائي، بـــل هـــي "مقدمـــة لكـــل ميتافيزيقـــا مقبلـــة يمكـــن أن تصـــير علما".[15]

وعليـــه حـــرص كـــانط "علـــى أن يميـــز بـــين ضـــربين مـــن الميتافيزيقـــا : الضـــرب الأول هـــو الميتافيزيقـــا " البائنـــة" أو " البرانيـــة" أو " المتعاليـــة" (transcendante) وهـــي الميتافيزيقـــا التقليديـــة " القطعيـــة" التـــي تقـــيم بناءهـــا كلـــه خـــارج التجربـــة و بمعـــزل عنهـــا. والثـــاني هـــو الميتافزيقـــا "الترنســـندتالية" أو " المتعاليـــــة" (transcendantale) أو " الجوانيـــــة" أو " الباطنـــــة" أو" الكامنـــة" (Immanente)، وهـــي الميتافيزيقـــا الكانطيـــة التـــي تحـــدد العناصـــر "الأوليـــة" التـــي هـــي عمـــاد التجربـــة و شـــرط ضـــروري لهـــا، والتـــي هـــي بالتـــالي" كامنـــة " أو " مباطنـــة" للتجربـــة، و لا يمكـــن أن تكـــون متعاليـــة عليهـــا ولا مجاوزة لها".[16]

و هكـــذا، إذن، تـــتلخص مهمـــة " نقـــد العقـــل الخـــالص" عنـــد كانـــت – و بتعبيـــر عثمـــان أمـــين و قاموســـه الفلســـفي – فـــي " إثبـــات اســـتحالة كـــل ميتافيزيقـــا " بائنـــة" أو " برانيـــة" أو " متعاليـــة" و بيـــان مشـــروعية بـــل

(14) ـ مراد وهبة: " المذهب عند كانط" ترجمه عن الفرنسية، نظمي لوقا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1974، ص 66.
(15) ـ عنوان كتاب كانط، تعريب نازلي اسماعيل حسين، مراجعة عبد الرحمان بدوي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967.
(16) ـ عثمان أمين: " محاولات فلسفية"، مرجع سابق، ص 38.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



ضـــــرورة الميتافيزيقـــــا " الترنســـــندنتالية" أ
الكامنة" أو " الجوانية""[17].

و إذا نحـــن اســـتعرنا تعبيـــرا جديـــدا فـــي الحـــديث عـــن هـــذه المســـألة يمكـــن القـــول مـــع أحـــد البـــاحثين المعاصـــرين " أن النظـــر بعمـــق فـــي النصـــوص المتعـــددة التـــي ضـــمنها كـــانط حرصـــه البـــالغ علـــى إدانـــة كـــل الميتافيزيقات الســـابقة عليـــه يـــوحي لنـــا بـــأن " نقـــد العقـــل الخـــالص" قـــد أقـــام فلســـفة " وضـــعية" حـــين حصـــر مهمـــة التفكيـــر الفلســـفي فـــي التســـاؤل عـــن شروط إمكانيـــة العلـــم. و تبعـــا لـــذلك، فـــإن المحـــور المركـــزي للفلســـفة النقديـــة إنمـــا يتحـــدد فـــي نظريـــة إمكانيـــة التجربـــة. غيـــر أن هـــذا التفســـير الابستيمولوجي لا يـــدرك الغايـــة البعيـــدة للنقـــد الكـــانطي، لأنـــه يقـــف عنـــد حـــد منطـــوق الـــنص الـــرافض للميتافيزيقـــا لأنـــه يتجـــزؤه و لا يتعـــداه إلـــى البنـــاء العام للمنظومة التـــي تعـــين لـــذلك الـــنص، فـــي شـــبكة العلاقـــات التـــي تؤسســـها، حقلـــه الـــدلالي الخـــاص، فـــلا يشـــكل هـــذا الـــرفض إلا جانبـــا واحـــدا مـــن المشروع النقدي ككـــل. لـــذلك فـــإن الـــدافع الأساســـي لمشـــروع النقـــد يكمـــن فـــي بحـــث إمكانيـــة ارتقـــاء الميتافيزيقـــا إلـــى مكانـــة العلـــم. لأنـــه بـــدون وجـــود إشـــكالي لهـــذا الشـــيء الـــذي يســـمي ميتافيزيقـــا، و بـــدون الاخـــتلاف الجـــوهري في الوضع بينه و بـــين العلـــوم القائمـــة، فـــلا معنـــى كليـــا لـــذلك البحـــث العميـــق و الدقيق حول قدرات العقـــل الإنســـاني الـــذي هـــو مركـــز الثقـــل فـــي الكانطيـــة، أي مركز نقد العقل النظري".[18]

إن التـــأليف الكـــانطي، بهـــذا المعنـــى، يصـــبح رافـــدا مهمـــا و ضـــروريا لقيام مثل هذه الميتافيزيقـــا التـــي يمكـــن أن تصـــبح علمـــا، تمامـــا كمـــا هـــو العلـــم

---

(17) ـ المرجع و الموضع نفسه.
(18) ـ محمد هشام: " في النظرية الفلسفية للمعرفة" مرجع سابق، ص 112.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الرياضـــي والفيزيـــائي، و يمكـــن القـــول مـــع من دراســة مؤلفــات كــانط أن الرجــل كــان متــردد بــين القطعيــة و التجريبيــة. والصـــحيح أن القطعيـــة والتجريبيـــة قـــد اصـــطدمتا بفكـــره. وأن مـــذهب الفيلســوف يمثــل جهــد الــذهن البشــري للتوفيــق بــين هــذين الاتجــاهين فــي الفلسفة. (...) فمذهبــه يبــدو لنــا نتيجــة لهــذه الــدراما الفلســفية الكبيــرة القائمــة بـــين العقليـــين و التجـــريبيين فـــي إبـــان القـــرنين الســـابع عشـــر و الثـــامن عشر".[19]

و مع ذلــك وجــب النظــر بحــذر شــديد إلــى العقلانيــة النقديــة الكانطيــة، فهي و إن كانــت تقــدم لنــا نموذجــا رائعــا فــي التــأليف المبهــر بــين المعرفــة العقليــة (القبليــة) والمعرفــة التجريبيــة (البعديــة) ، كمــا أنهــا و إن كانــت تمــدنا بـــأدوات و مفـــاهيم فـــي المعرفـــة والتحليـــل، أصـــبحت الفلســـفة لاحقـــا، لا تســـتطيع التـــنفس بغيرهـــا. رغـــم هـــذا وذاك فـــان الكانطيـــة تبقـــى مشـــروطة بشروط عــدة، تجعــل منهــا عقلانيــة مــع وقــف التنفيــذ، وتجريبيــة إلــى حــين آخر. و هذا التــأرجح هــو مــا يجعلهــا مشــوبة بشــوائب أخــرى، لا يمكــن فهــم الكانطيــة، فهمــا عميقــا بــدونها. و يمكــن أن نلاحــظ مثــل هــذا الموقــف، مــع مفكــرين معــروفين، الأول قــد يبــدو أكثــر تطرفــا، و الثــاني أقــل اعتــدالا، إلا أن كليهما يكشف بعمق عن الوجه الآخر لكانط.

يقول حسن حنفــي فــي هــذا الصــدد: "إن الــدين عنــد كــانط كــان دائمــا هو العامل الموجه لــه بــالرغم ممــا يبــدو ظــاهرا مــن اتصــاله بــالعلم الحــديث و تتبعــه لتطــوره وأخــذه نموذجــا لــه (نيــوتن) أو رفضــه للقطعيــة التــي نشــأ فيهــا و التــي كانــت ســائدة فــي عصــره (لبينتــز– فولــف) و دعوتــه لإقامــة الميتافيزيقــا علــى التجربــة. (...) و الحقيقــة أن كــانط هــو المتــدين القانــت

(19) - اميل بوترو: " فلسفة كانط" ترجمة عثمان أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، ص 17-18.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



(...) و من تدينه خرجت الفلسفة النقدية على طابع علمي رياضي ميتافيزيقي".[20]

و من جهته، و بأسلوب و صياغة مختلفة وحدة أقل، يقول عبد الرحمان بدوي:" لكن كانت لم يكن وضعيا تجريبيا خالصا، و لا ميتافيزيقيا خالصا، بل كان مزاجا من كليهما: لقد أراد أن يضع حدا للميتافيزيقا الدوجماتيقية (= التو كيدية) من ناحية، حتى تقوم الميتافيزيقا على أساس علمي من المعرفة الصحيحة البعيدة عن الفروض غير القابلة للتحقق العقلي أو التجريبي. لكنه، من ناحية أخرى، كان يشعر بنوع من الحنين إلى الإبقاء على بعض المعاني الأساسية في الميتافيزيقا. وسعى لذلك جهده، ولكن لم يستطيع الإبقاء عليها إلا عن طريق الأخلاق. و من هنا يمكن التحدث عن نوع من الازدواج في عقلية كانت: جانب عقلي صارم ملتزم بالبرهان العقلي (و التجريبي) الدقيق، و جانب أخلاقي يخلي مجالا للأماني الإنسانية في ميدان الأخلاق."[21]

إن التأليف الكانطي يحمل من الدلالات و المضامين المعرفية التي لاغبار عليها، و لكنه يظل ممزوجا بما يمكن أن نسميه شوائب العقل، التي تعلق به و لا تجد لها تفسيرا، شوائب قد يصنفها بعضنا في خانة اللاعقل. إلا أن اللاعقل "بالنسبة للعلم لا يعدو، أن يكون سوى اللامفسر (L'inexpliqué)."[22]

---

[20] ـ حسن حنفي: " قضايا معاصرة ـ في الفكر الغربي المعاصر"، دار التنوير ، بيروت، 1982، ص 120- 122.
[21] ـ مادة كانط في " موسوعة الفلسفة" لعبد الرحمان بدوي، ج II، مرجع سابق، ص 270.
[22] - Françoise Banardel : « l 'irrationnel », ed : PuF. 1996.P.121.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



**ثانيا: العقل المطلق.. هيغل يشطب نمطية العلاقة بي**

تـــأتي أهميـــة هيغـــل و فلســـفته، مـــن كونـــه شـــكل – إلـــى جانـــب فشـــته وشلنج– المعطف الـــذي خـــرج منـــه جـــل فلاســـفة أواخـــر القـــرن التاســـع عشـــر و أوائـــل القـــرن العشـــرين. و لا شـــك أن الفلســـفة الألمانيـــة مـــع هيغـــل بلغـــت ذروتها و حـــدودها القصـــوى، خاصـــة فـــي اتجاههـــا المثـــالي، ممـــا يجعـــل منهـــا فلسفة توجت فلســـفات ســـابقة لهـــا، و دخلـــت فـــي ســـجال و حـــوار معهـــا بغيـــة نقـــدها وتجاوزهـــا، و يجعـــل منهـــا أيضـــا فلســـفة مهـــدت – بشـــكل مباشـــر أو غيـــر مباشـــر– لفلســـفات لاحقـــة، حتـــى و إن بـــدت مختلفـــة معهـــا شـــكلا ومضمونا، فهي على أقل تقـــدير جـــاءت كـــرد فعـــل منـــاف ومنـــاقض لهـــا، كمـــا هو الأمر مع فلســـفة أرنســـت مـــاخ التـــي لـــم تكـــن لتمهـــد للوضـــعية المنطقيـــة، لـــولا جعلهـــا مـــن فلســـفة هيغـــل و المثاليـــة الألمانيـــة عقبـــة يجـــب تجاوزهـــا، وإقصائها كفلسفة هيمنت زهاء قرن كامل على أوربا.

و إذا كنـــا قـــد اعتبرنـــا فـــي الصـــفحات الســـابقة لحظتـــي ســـقراط وديكـــارت لحظتـــين مفصـــليتين فـــي تـــاريخ الفلســـفة، و إذا كـــان كـــانط قـــد اعتبر ثورة في الفلســـفة، تمامـــا كثـــورة كوبرنيـــك فـــي علـــم الفلـــك، فـــان لحظـــة هيغـــل مثلـــت، بحـــق، أعظـــم لحظـــة فلســـفية فـــي ألمانيـــا منـــد كـــانط. و مـــن الناحيـــة التاريخيـــة "يـــؤرخ للفكـــر المعاصـــر حقيقـــة بهيجـــل إذ أنـــه يفصـــل الفلسفة الأوربيـــة إلـــى مـــرحلتين: الفلســـفة الحديثـــة ابتـــداء مـــن ديكـــارت حتـــى كـــانط و الفلســـفة المعاصـــرة، ابتـــداء مـــن هيغـــل حتـــى عصـــرنا الحاضـــر (...). فهيغـــل هـــو فـــي نفـــس الوقـــت حـــديث و معاصـــر نجـــد لديـــه اكتمـــالا للفلسفة الحديثة".[23]

[23] ـ حسن حنفي: " في الفكر الغربي المعاصر"، مرجع سابق، ص 193.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



وبتعبيـــر آخـــر فإنـــه " علـــى يـــد هيـ
الألمانيـــة صـــورتها المنهجيـــة الأخيـــرة. وقـــد شـــاد هيغـــل، بنـــاء علـــى لمحـــات أخذها من فشـــته ومـــن شـــلنج فـــي عهـــده المبكـــر، بنـــاء فلســـفيا مـــا زالـــت لـــه أهميتـــه و فائدتـــه (...). و فضـــلا عـــن ذلـــك فقـــد كـــان للهيجليـــة تـــأثير بعيـــد المـــدى علـــى جيـــل كامـــل مـــن المفكـــرين ، لا فـــي ألمانيـــا وحـــدها، بـــل فـــي انجلترا بدورها فيما بعد".[24]

و رغم أن هيغـــل يبـــدو فريـــدا و أصـــيلا فـــي فلســـفته، و مـــا نحتـــه مـــن مفـــاهيم وتوليفـــات فلســـفية غايـــة فـــي الأصـــالة و التعقيـــد أيضـــا –"فكتابـــات هيغـــل مـــن أصـــعب المؤلفـــات فـــي النتـــاج الفلســـفي بأكملـــه"[25]– رغـــم ذلـــك "فإن مذهبه لم يكن من الممكن أن تقوم له قائمة لو لم يوجد كانط".[26]

إن أهمية الإشـــارة إلـــى فلســـفة هيغـــل بالنســـبة لبحثنـــا، تـــأتي أساســـا مـــن أن هـــذه الفلســـفة أعـــادت الاعتبـــار، فـــي نظرنـــا، للمفـــاهيم و المصـــطلحات الفلســـفية الكبيـــرة، إمـــا بإعـــادة صـــياغتها مـــن جديـــد (أفلاطـــون، أرســـطو، كانط)، و إمـــا إبـــداعها مـــن جديـــد بمـــا يـــتلاءم مـــع المنهجيـــة الهيغليـــة الجديـــدة (العقـــل، الـــروح، الفنومينولوجيـــا، الجـــدل... الـــخ). و تـــأتي أهميـــة هـــذا العمـــل بالنســـبة للعقـــل و الفلســـفة عمومـــا مـــن أنهـــا كانـــت إحـــدى المحـــاولات الجـــادة والأصـــيلة لإعـــادة ترتيـــب العلاقـــة بـــين العلـــم و الفلســـفة بـــل و حتـــى محاولـــة جعل الفلسفة علمـــا قائمـــا بذاتـــه، لتتحـــول بـــذلك إلـــى "معرفـــة مطلقـــة" أو "علـــم مطلـــق". بمعنـــى آخـــر كانـــت مهمـــة هيغـــل هـــي اســـتعادة الفلســـفة لعـــذريتها الأولـــى عبـــر التأمـــل الـــذاتي، و إعطـــاء العقـــل معنـــاه الأفلاطـــوني (المثـــالي)، لا المعنـــى الكـــانطي الـــذي اصـــطبغ بـــه مـــع العقلانيـــة النقديـــة، يقـــول يـــورغن

---

[24] - برتراند رسل: " حكمة الغرب" جII، مرجع سابق، ص 173- 174.
[25] - المرجع نفسه، ص 175.
[26] - برتراند رسل: " تاريخ الفلسفة الغربية" ج III، مرجع سابق، ص 351.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



هابرمـــاس فـــي هـــذا المعنـــى مـــايلي:" لقـــ الفينومولـــوجي للـــروح محـــل نظريـــة المعرفـــة. وفـــي مقدمـــة " فينومينولوجيـــا الـــروح" نعثـــر علـــى تلـــك الحجـــة التـــي تعـــود مـــرارا لتظهـــر فـــي ســـياقات أخـــرى. و مؤداهـــا أن الفلســـفة النقديـــة تتطلـــب مـــن الـــذات العارفـــة أن تتأكـــد من الشروط التي تتـــيح لهـــا مبـــدئيا معرفـــة ممكنـــة، قبـــل أن تثـــق فـــي الحقيقـــة بمعارفهـــا المكتســـبة. (...) [إن] هيغـــل يتجـــه ضـــد نظريـــة الأورغـــانون للمعرفـــة"[27] حـــالاّ محلهـــا " نظريـــة معرفـــة تأمليـــة"[28] . نظريـــة معرفـــة تمتح بالأساس مـــن المنطـــق الـــذي يـــرادف عنـــد هيغـــل الميتافيزيقـــا، و " العقـــل هو موضـــوع الميتافيزيقـــا عنـــد هيغـــل و هـــو يقصـــد بالعقـــل مـــن ناحيـــة نســـق المقولات الموضـــوعية، و هـــو مـــن ناحيـــة ثانيـــة نســـق تلـــك المقـــولات الذاتيـــة أو التصـــورات التـــي تمكـــن بواســـطتها، و بمـــا أن العقـــل الموضـــوعي والعقـــل الـــذاتي متحـــدان، أو همـــا شـــيء واحـــد، فـــإن المنطـــق أو الميتافيزيقـــا هـــو فـــي هذه الحالة علـــم العقـــل الموضـــوعي و علـــم العقـــل الـــذاتي معـــا: فهـــو بوصـــفه علمـــا للعقـــل الموضـــوعي أو المطلـــق أو الواقـــع الأســـمى-أنطولوجيـــا أو ميتافيزيقـــا أنطولوجيـــة، وهـــو بوصـــفه علمـــا للعقـــل الـــذاتي فهـــو ابســـتيمولوجية فحسب لأن قائمة المقولات التي قدمها ذاتية خالصة".[29]

و لكن كيـــف يـــتم التـــأليف عنـــد هيغـــل بـــين مصـــدري المعرفـــة: العقـــل و التجربـــة؟ "يؤكـــد هيغـــل أن الـــواقعي عقلـــي، و العقلـــي واقعـــي. ولكـــن عنـــدما يقول هذا فإنه لا يقصـــد بـــالواقعي مـــا يقصـــده بـــه التجريبـــي، و هـــو يســـلم، بـــل ويلـــح، علـــى مـــا أن مـــا يبـــدو للتجريبـــي وقـــائع، هـــو لا عقلـــي و يجـــب أن

---

(27) - ورغن هابرماس: " المعرفة و المصلحة"، ترجمة حسن صقر، مراجعة: إبراهيم الحيدري، منشورات الجمل، ألمانيا، 2001، ص 13 و 17.
(28) - المرجع نفسه، ص 17.
(29) - امام عبد الفتاح امام: " مدخل إلى الميتافيزيقا"، مرجع سبق ذكره، ص 168-169.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



يكـــون كـــذلك. و هـــذه الوقـــائع تـــروى كوقـــ
طابعها الظاهر بالنظر إليها على أنها وجوه للكل".[30]

إن دلالات هـــذا التـــأليف، فـــي نظرنـــا، تجـــد مبرراتهـــا فـــي طبيعـــة الميتافيزيقـــا التـــي هـــي مرادفـــة للمنطـــق عنـــد هيغـــل." لقـــد كانـــت الميتافيزيقـــا عنـــد أرســـطو و أتباعـــه دراســـة للوجـــود بمـــا هـــو موجـــود، ثـــم انتقلـــت فـــي الفلســـفة الحديثـــة، لا ســـيما عنـــد ديكـــارت و كـــانط إلـــى دراســـة قـــدراتنا المعرفيـــة؛ انتقلـــت مـــن الانطولوجيـــا إلـــى الابســـتيمولوجيا أو مـــن الموضـــوع إلى الـــذات. أمـــا عنـــد هيغـــل فهـــي دراســـة للاثنـــين معـــا:" الموضـــوع والـــذات في آن واحد أو الأنطولوجيا و الابستمولوجيا معا"[31] .

ومادامـــت الميتافيزيقـــا هـــي المنطـــق ذاتـــه، فـــان هـــذا الأخيـــر يســـتوجب بالضـــرورة الكشـــف عـــن طابعـــه الابســـتيمولوجي، و هـــو عنـــد هيغـــل الوجـــه المعرفـــي و الآخـــر للميتافيزيقـــا. "فالأقســـام الثلاثـــة الكبـــرى التـــي ينقســـم إليهـــا المنطـــق الهيغلـــي و هـــي : الوجـــود- والماهيـــة- و الفكـــرة الشـــاملة، تمثـــل ضـــروب مـــن المعرفـــة: فالقســـم الأول – الوجـــود – يعـــرض علينـــا التصورات التـــي يســـتخدمها الحـــس المشـــترك فـــي معرفتـــه للعـــالم. أمـــا القســـم الثاني – الماهية فهـــو يقـــدم لنـــا المقـــولات التـــي يســـتخدمها العلـــم. أمـــا مقـــولات الفكرة الشاملة فهي التي تستخدمها الفلسفة بصفة خاصة".[32]

و تجدر الإشـــارة هـــا هنـــا إلـــى أن المنطـــق الهيغلـــي لـــيس هـــو المنطـــق الأرســـطي أو المنطـــق التقليـــدي عمومـــا. و كمـــا نعلـــم فـــإن المنطـــق ســـواء أكان علما أم فنا، "فإنـــه يبحـــث فـــي الطـــرق و القواعـــد التـــي بمقتضـــاها يتـــأذى العقل إلى الصواب فـــي التفكيـــر. و مـــن هنـــا أمكـــن أن يطلـــق عليـــه اســـم:" فـــن

(30) ـ برتراند رسل:" تاريخ الفلسفة الغربية" جIII، مرجع سبق ذكره، ص 353.
(31) ـ امام عبد الفتاح امام: " مدخل إلى الميتافيزيقا" مرجع سبق ذكره، ص 168.
(32) ـ المرجع نفسه، ص 171.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



التفكيـــر"(...). إن موضـــوعه لـــيس الكشـــف عـ
المؤدية إلى الكشـــف عـــن الحقـــائق. أمـــا عنـــد هيغـــل فقـــد صـــار المنطـــق هـــو علم الوجـــود (أنطولوجيـــا)، و لـــذا ربطـــه ربطـــا وثيقـــا بعلـــم مـــا بعـــد الطبيعـــة حتى صـــار جـــزءا مـــن هـــذا الأخيـــر، و صـــار يتحـــدد أساســـا وفقـــا لارتباطـــه بما بعد الطبيعة".[33]

إن طبيعـــة العقـــل، بهـــذا المعنـــى، تتحـــدد بشـــكل مغـــاير عنـــد هيغـــل، ووفق مـــا يقتضـــيه المـــذهب و النســـق الهيغلـــي فـــي كليتـــه، " لقـــد جعـــل هيغـــل العقل بتجلياته موضـــوعا مركزيـــا لفلســـفته، فدرســـه بوصـــفه شـــيئا مجـــردا، ثـــم بحث فيـــه علـــى أنـــه تحقـــق مـــادي، ثـــم انتهـــى إلـــى دراســـته و هـــو متحقـــق بوصـــفه فكـــرا خالصـــا مـــن خـــلال النشـــاط البشـــري، و هـــو بـــذلك قـــد جعـــل العالم كله من خلـــق العقـــل، أو أنـــه مـــن تجليـــات العقـــل، و حـــدد وظيفـــة العقـــل على أنها تأليف القـــوانين العليـــا التـــي تخضـــع لهـــا الحقيقـــة الطبيعيـــة والحقيقيـــة العمليـــة، و بهـــذا دمـــج الواقـــع بـــالفكر، أي تعقيـــل الواقـــع، فـــإذا عقـــل الواقـــع أصبح كل شيء معقولا ســـواء كـــان فكـــرا أم واقعـــا، وبهـــذا المعنـــى فـــإن غايـــة هيغـــل هـــي أن يجعـــل كـــل مـــا هـــو واقعـــي معقـــولا و كـــل مـــا هـــو معقـــول واقعيـــا، و عمليـــة الـــدمج هـــذه، ستفضـــي إلـــى أن كـــل شـــيء سيصـــبح معقولا".[34]

و بتعبيـــر حســـن حنفـــي فـــان فلســـفة هيغـــل هـــي" أروع نمـــوذج علـــى تعقيل الواقـــع وعلـــى تنظيـــر الأحـــداث، فكـــل واقعـــة لديـــه تقـــوم علـــى أســـاس فكري بـــل هـــي نفســـها فكـــرة طبقـــا لمـــا هـــو معـــروف و مشـــهور عنـــه فـــي توحيده بين الواقع و الفكر".[35]

---

[33] ـ عبد الرحمان بدوي: " ملحق موسوعة الفلسفة" المؤسسة العربية للدراسات و النشر"، بيروت، 1996، ص 280.
[34] ـ عبد الله ابراهيم: " المركزية الغربية"، مرجع سبق ذكره، ص 110.
[35] ـ حسن حنفي: " في الفكر الغربي المعاصر" ،مرجع سبق ذكره، ص 216.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و الحـــق يقـــال أن مثـــل هـــذا الوصـــف و تعسفا أو إسقاطا علـــى فلســـفة هيغـــل و فكـــره، فهـــا هـــو هربـــرت مـــاركوز يقـــر بشـــكل متـــواطئ مـــع مـــا قيـــل أعـــلاه " أن أشـــد مفـــاهيم هيغـــل تجريـــدا وميتافيزيقيـــة، هـــي ذاتهـــا مشـــبعة بـــروح التجربـــة – تجربـــة عـــالم يغـــدو فيـــه غير المعقول معقولا."[36].

و إذا نحن عـــدنا مـــرة أخـــرى، إلـــى طـــرح مســـألة نظريـــة المعرفـــة فـــي فلسفة هيغل، و طبيعة العلاقـــة بـــين الفلســـفة و العلـــم مـــن منظـــور هيغلـــي فإنـــه يمكـــن أن نلاحـــظ مـــرة أخـــرى مـــع هـــابر نـــاس أنـــه إذا كـــان " يســـمح نقـــد المعرفة لـــدى كانـــت بإعطـــاء مفهـــوم تجريبـــي عـــن العلـــم فـــي هيئـــة الفيزيـــاء المعاصـــرة و يكتســـب بـــذلك المعـــايير الممكنـــة للعلـــم إجمـــالا.[ فـــإن] هيغـــل يشـــير بـــأن نقـــد المعرفـــة الـــذي يتبـــع دونمـــا تحفـــظ واحـــدا مـــن مقاصـــده الخاصة، يجـــب عليـــه أن يتنـــازل عـــن شـــروط مـــن هـــذا النـــوع و أكثـــر مـــن ذلك يجب عليـــه أن يســـمح بـــانطلاق مقـــاييس النقـــد مـــن تجربـــة التأمـــل، هيغـــل يتوصـــل إلـــى مفهـــوم العلـــم التـــأملي، لأنـــه لا يتصـــرف منطقيـــا، و إنمـــا يبنـــي نســـبية نقـــد المعرفـــة ضـــمن الشـــروط الخاصـــة بفلســـفة الهويـــة. أمـــام هـــذا المعيـــار لا تســـتطيع العلـــوم التـــي تســـتخدم المنـــاهج، ســـواء أكانـــت علـــوم الطبيعـــة أم علـــوم الـــروح أن تكـــون عقبـــات فـــي وجـــه المعرفـــة المطلقـــة. والنتيجـــة المفارقـــة الراديكاليـــة مزدوجـــة المعنـــى لنقـــد المعرفـــة ليســـت موقعـــا مكشوفا للفلسفة مقابل العلم؛ ففـــي الوقـــت الـــذي تؤكـــد فيـــه الفلســـفة ذاتهـــا علـــى أنها فعليا علم، تختفي إجمالا علاقة الفلسفة و العلم من الحديث."[37]

---

[36] ـ هربرت ماكيوز:" العقل و الثورة، هيغل و نشأة النظرية الاجتماعية"، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1979، ص 17.

[37] ـ يورغن هابرماس:" المعرفة و المصلحة" ، مرجع سبق ذكره، ص 31-32.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و اعتقادنـــا هـــو أنـــه لا يمكـــن، رغـــم الفلســـفة و العلـــم، وإقصـــاء هيغـــل للصـــورة النمطيـــة لتلـــك العلاقـــة إلا مـــن خـــلال العـــودة إلـــى النســـق الهيغلـــي نفســـه، وربـــط أجزائـــه بعضـــها بـــبعض، ليس من أجل دراســـته و تحليلـــه، فـــذلك لـــيس هـــو غرضـــنا، ضـــف إلـــى ذلـــك أن "المذهب الهيغلـــي محكـــم للغايـــة حتـــى إننـــا لا نســـتطيع أن نتعقبـــه فـــي كـــل تفصـــيلاته"[38]، كمـــا يلاحـــظ بحـــق أحـــد المـــؤرخين المعاصـــرين للفلســـفة الحديثة. الهدف هو العـــودة إلـــى المـــذهب الهيغلـــي مـــن أجـــل فهـــم تلـــك العلاقـــة بصـــورة أفضـــل، و اســـتكناه ذلـــك النمـــوذج الفريـــد للعقـــل و المعنـــى الـــذي يعطيه له هيغل.

إن المذهب أو النسق الهيغلي يضم ثلاثة أقسام رئيسية:

المنطـــق، و فلســـفة الطبيعـــة، و فلســـفة الـــروح. و هـــذا النســـق معروض أساســـا فـــي كتـــاب هيغـــل "علـــم المنطـــق" و كتـــاب "موســـوعة العلـــوم الفلســـفية". ويـــأتي كتـــاب " فينومولوجيـــا الـــروح" ليمثـــل تتويجـــا للنســـق الفلســـفي الهيغلـــي، "إذ أن فـــي الـــروح تكمـــل الفكـــرة الشـــاملة تناميهـــا، و تتعـــين تعينـــا أقصـــى و تبلـــغ واقعهـــا الفعلـــي بلوغـــا حقيقيـــا، إن الفكـــرة المنطقيـــة والطبيعة هما الشرطان لتحقق الروح، و هو بذلك حقيقتهما ".[39]

و الحـــق أن اعتبـــار " فينومولوجيـــا الـــروح" (1807) تتويجـــا لأعمـــال كتبـــت لاحقـــا:" المنطـــق" (1812) ، و " الموســـوعة" (1817) لـــه مـــا يبـــرره، رغم أن هيغـــل اعتبـــره مـــدخلا و تمهيـــدا للمشـــروع الفلســـفي برمتـــه، لقـــد كـــان الكتـــاب " أول محاولـــة قـــام بهـــا فيلســـوفنا مـــن أجـــل تطبيـــق المـــنهج الجـــدلي على الـــوعي أو الشـــعور. و لـــم يكـــن غـــرض هيغـــل مـــن وضـــع هـــذا الكتـــاب

(38) ـ وليم كلي رايت:" تاريخ الفلسفة الحديثة" مرجع سبق ذكره، ص 311.
(39) ـ رينيه سيرو: " هيغل و الهيغلية" ترجمة أدونيس العكرة ، دار الطليعة، بيروت، 1993، ص 35.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



رفـــع الفلســـفة إلـــى مســـتوى العلـــم و اصـــط الصـــرامة و الدقـــة فـــي التفكيـــر التصـــوري فحســـب، و إنمـــا كـــان غرضـــه أيضا دراســـة الطبيعـــة البشـــرية علـــى نحـــو مـــا تعبـــر عـــن ذاتهـــا مـــن خـــلال النمـــاذج الفرديـــة و الاجتماعيـــة. (...) إن قيمـــة "فينومولوجيـــا الـــروح" لا تنحصر فـــي الدراســـة النقديـــة التـــي قـــام بهـــا هيغـــل لنظريـــة المعرفـــة خـــلال تعرضـــه لمســـائل اليقـــين الحســـي و الإدراك الحســـي و الشـــعور بالـــذات و مـــا إلى ذلك ، بل هي تتجلـــى فـــي المحاولـــة الديالكتيكيـــة التـــي قـــام بهـــا مـــن أجـــل وصـــف تـــاريخ الحضـــارة البشـــرية الشـــاملة، ابتـــداء مـــن المعرفـــة الحســـية البســـيطة حتـــى أعلـــى درجـــة مـــن درجـــات المعرفـــة الفلســـفية، ألا و هـــي معرفة المطلق".[40]

و إذا نحـــن اســـتعرنا تعـــابير مـــارتن هايـــدجر، و هـــو يتحـــدث عـــن هيغل، نسارع فنقـــول أن الفلســـفة هـــي الـــوعي المطلـــق، كمـــا أنهـــا هـــي العلـــم لأنهـــا ترغـــب فـــي إرادة المطلـــق، بمعنـــى آخـــر المطلـــق فـــي مطلقيتـــه (Absoluité). مـــن هنـــا فـــإن الفلســـفة ترغـــب فـــي اســـتعادة طبيعتهـــا الخاصة. الفلسفة هي العلم.

إنهـــا المعرفـــة المطلقـــة. و هـــي لا تكـــون كـــذلك إلا بانتمائهـــا إلـــى مطلقيـــة المطلـــق[41]. " إن وصـــف هيغـــل الجـــدلي لظهـــور الـــوعي الـــذاتي فـــي " فينومينولوجيا الروح" هو معلم مهم في تطور الفكر العقلاني".[42]

إن مهمـــة هيغـــل الكبـــرى تجســـدت بالأســـاس فـــي المعنـــى الجـــدلي والتـــاريخي الـــذي أعطـــاه للعقـــل، و إذا كـــان " فينومينولوجيـــا الـــروح" قـــد استوعب تلـــك المهمـــة بجـــدارة، فـــإن النســـق الهيغلـــي فـــي كليتـــه، هـــو الأفـــق

---

(40) - زكريا ابراهيم: " هيجل أو المثالية المطلقة" مكتبة مصر، القاهرة، 1970، ص 175- 176.

(41) -voir : Martin Heidegger : « Hegel et son Concept de l'expérience » in « chemins qui ne mènent nulle part », Ed / Gallimard.Paris. 1962.PP164,165.

(42) جون كوتنغهام: " العقلانية.." مرجع سبق ذكره، ص 114.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الأرحـــب لشـــمولية العقـــل و مطلقيتـــه. " إن ا
الطـــابع التـــاريخي للعقـــل ومســـاره الإبـــداعي المســـتمر. فلـــيس رصـــد الـــذهن البشري في لحظة معينة مـــن الـــزمن، هـــو الـــذي يقـــدم لنـــا صـــورة العقـــل، بـــل تاريخ العالم ذاته".[43]

**ثالثـــا: الاتجاهـــات العلميـــة فـــي الفلســـفة المعاصـــرة.. العقـــل و العقلانيـــة فـــي القرن العشرين.**

مـــع بدايـــة أفـــول المثاليـــة الألمانيـــة و هيمنـــة الفلســـفة الهيغليـــة، و تطـــور العلـــوم خاصـــة الرياضـــيات و الفيزيـــاء، بـــدأت الفلســـفة الغربيـــة تـــدخل مرحلـــة جديـــدة، بـــدت أشـــبه بالأزمـــة بفعـــل ثقـــل الإكراهـــات و الضـــغوطات التاريخيـــة و الاجتماعيـــة و حتـــى السياســـية؛ و الأهـــم مـــن كـــل ذلـــك تحـــولات العلـــم والتكنولوجيـــا، و انفصـــامات الفكـــر والفلســـفة معـــا، و دخـــول هـــذه الأخيـــرة مرحلـــة الإشـــباع و التخمـــة عقليـــا (تـــراث كـــانط وقبلـــه لبينتـــز و ديكـــارت..)، و تجريبيـــا( تـــراث هيـــوم و معـــه لـــوك و بـــاركلي..)، وميتافيزيقيـــا حينمـــا بلغـــت الفلســـفة ذروة النســـقية و تجســـد العقـــل فـــي التـــاريخ، " فمـــع هيغـــل ارتفعـــت الميتافيزيقـــا إلـــى مســـتوى التـــاريخ، بمعـــان متعـــددة مـــن أهمهـــا أن هيغل هو الـــذي وحـــد الشـــتات الفلســـفي فـــي تـــاريخ يجـــد نهايتـــه فـــي المعرفـــة المطلقـــة. فـــنحن لا نســـتطيع أن نتحـــدث عـــن تـــاريخ للفلســـفة قبـــل هيغـــل. صـــحيح أن " آراء الفلاســـفة ومـــذاهبهم" قـــد جمعـــت ، و أن "مقـــالاتهم" قيـــدت غير ما مرة، و هـــذا منـــذ مـــيلاد الفلســـفة ذاتهـــا. إلا أن أمـــرا جديـــدا لـــم يعـــرف الظهـــور قبـــل هيغـــل ولـــم يتحقـــق إلا معـــه، و هـــو مطابقـــة الفلســـفة لتاريخها".[44]

---

(43) ـ جيل جاستون جارانجي: " العقل"، مرجع سبق ذكره، ص 24-25.
(44) ـ عبد السلام بنعبد العالي: "أسس الفكر الفلسفي المعاصر -مجاوزة الميتافيزيقا"، دار توبقال، المغرب ، 2000، ص 23.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و الـــذي فـــاقم الأزمـــة أكثـــر هـــو أن وجدت نفســها أمــام ثقــل الحمولــة الهيغليــة، و كــان لا بــد علــى الفلســفة فــي اتجاهاتهــا العلميــة، خاصــة، أن تحســم الكثيــر مــن الأمــور و القضــايا، محاولة منها للإفلات مــن وطــأة الحمولــة تلــك. و هــو مــا حــدا بميشــيل فوكــو للتعبيــر عــن ذلــك قــائلا:" أعــرف جيــدا أن عصــرنا هــذا كلــه، ســواء مــن خــلال المنطــق أو مــن خــلال الابســتيمولوجيا، و ســواء مــن خــلال مــاركس أو مــن خــلال نيتشــه، عصــر يحــاول أن يفلــت مــن هيغــل"[45]، و إذن لا عجــب " أن تكــون محــاولات مجــاوزة الميتافيزيقــا أساســا تقويضــا للتــاريخ الذي تقدم به الميتافيزيقا نفســها فــي الشــكل الــذي أعطــاه إياهــا هيغــل، وهــدما للتــاريخ الهيغلــي وتقويضــا لمفهــوم الزمــان التــاريخي كمــا أرســته المثاليــة المطلقــة. لــذا ســنجدنا، مــع الفكــر المعاصــر ، فــي ســعيه لإرســاء تــاريخ مضاد للتــاريخ الميتــافيزيقي، فــي حــوار دائــن مــع هيغــل ســواء أكــان ذلــك الحوار مباشر أو اتخذ طريقا ملتويا ".[46]

إن مجــاوزة الميتافيزيقــا تــارة ودحضــها تــارات أخــرى مــن قبــل الفلســفة المعاصــرة و اتجاهاتهــا العلميــة خصوصــا، جعــل مــن تلــك الفلســفة تتسم بســمة "التحليــل" – رغــم أن ســمة التحليــل طبعــت فلســفة ديكــارت قبــل ذلــك بإعمالهــا للنمــوذج الرياضــي وقواعــد المــنهج– " لقــد كانــت الســمة الأساســية التــي تميــز القــرن العشــرين عــن كــل مــا عــداه مــن العصــور الفلسفية السابقة، هــي أنــه " عصــر التحليــل". فلــم نعــد نجــد فــي أيامنــا هــذه تركيبــات فكريــة هائلــة، أو مــذاهب فلســفية ضــخمة، بــل أصــبحنا نلتقــي بنزعــات تحليليــة يهــتم دعاتهــا بــالمنهج، و يحرصــون علــى الدقــة، ويتوخــون

(45) ـ ميشل فوكو:" نظام الخطاب" ، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير، بيروت، 1984، ص 46.
(46) ـ عبد السلام بنعبد العالي: " أسس الفكر الفلسفي المعاصر"، مرجع سابق، ص 24.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



النصـــــاعة الذهنيـــــة. وســـــواء اهـــــتم الفيلســـــ والرمـــوز، أم اهـــتم بتحليـــل وقـــائع الشـــعور و مواقـــف الحيـــاة الإنســـانية، فإننـــا نجـــده فـــي كلتـــا الحـــالتين يعـــزف عـــن التعميمـــات الواســـعة و يتـــوجس مـــن الأنظمة الفكرية الجامدة، و يتحرج من إقامة مذاهب مثالية مطلقة ".[47]

ولـــم نجانـــب الصـــواب عنـــدما قلنـــا فـــي الصـــفحات الســـابقة أن الفلســـفة المعاصرة بدت فـــي إحـــدى مظاهرهـــا البـــارزة و كأنهـــا خارجـــة مـــن المعطـــف الهيغلي، فهـــي بالفعـــل كـــذلك، و هـــي أيضـــا ارتبطـــت ارتباطـــا قويـــا بإنجـــازات العلـــم الفيزيـــائي منـــه علـــى الخصـــوص، و لأنهـــا كانـــت خارجـــة و مرتبطـــة في آن معا، فهـــي كانـــت، فـــي أحـــد معانيهـــا القويـــة ، رد فعـــل و خـــروج عـــن الهيغليـــة. " و مـــن هنـــا فقـــد اقترنـــت الغالبيـــة العظمـــى مـــن التيـــارات الفلســـفية المعاصـــرة بحمـــلات شـــديدة وجهـــت إلـــى نزعـــة هيغـــل المثاليـــة التـــي وحـــدت بـــين الفكـــر و الواقـــع و كـــان أهمهـــا مـــا وجهـــه الماركســـيون والوضـــعيون المنطقيـــون و فلاســـفة التحليـــل و دعـــاة النزعـــة العمليـــة و أنصـــار الفلســـفة الوجودية إلـــى هـــذه المثاليـــة الهيجليـــة مـــن مآخـــذ جديـــة تمـــس صـــميم المـــنهج نفســـه. و قـــد لا نكـــون مبـــالغين إذا قلنـــا إن كـــل أو جـــل الحركـــات الفكريـــة المعاصرة قـــد اشـــتركت فـــي الثـــورة علـــى " المطلـــق" و الحملـــة علـــى " الجـــدل الروحـــي" و نبـــذ مبـــدأ التوحيـــد بـــين الفكـــر والواقـــع، حتـــى لقـــد قـــال بعـــض مـــؤرخي الفلســـفة فـــي القـــرن العشـــرين إن الفكـــر المعاصـــر هـــو فـــي جـــوهره مجـــرد" ثـــورة علـــى هيغـــل" . حقـــا لقـــد كـــان كـــل مـــن كـــارل مـــاركس وكيركجـــارد و جـــون ديـــوي و برترانـــد رســـل و جـــورج مـــور (و غيـــرهم)

[47] - زكريا إبراهيم: " دراسات في الفلسفة المعاصرة" مكتبة مصر، د ت ، ص 14.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



في وقت من الأوقـات مجـرد تلاميـذ لهيجـل و أن انفصلوا عن أستاذهم فكان تفكيرهم بمثابة رد فعل ضد الهيغلية".[48]

سـمة أخـرى اتسـمت بهـا الفلسـفة المعاصـرة فـي القـرن العشـرين، وهـي انقسـامها و انشـطارها إلـى أسـلوبين و نـوعين مـن الفلسـفة:" الفلسـفة التحليليـة" ، و" الفلسـفة القاريـة" , و التنـافر و التباعـد " بـين فكـر يسـيطر على معظـم أرجـاء القـارة مـن الـداخل ، و تسـوده فلسـفات تـرتبط ، بشـكل أو بـآخر ، بـالتراث المثـالي أو الوجـودي أو غيرهمـا مـن الاتجاهـات المستمرة فـي تـاريخ الفلسـفة ، و فكـر يسـود فـي الـبلاد الانجلـو سكسـونية ، ويرتكـز أساسـا علـى التحليـل اللغـوي، و يمتنـع عـن إصـدار الأحكـام الفلسـفية العامـة مـا دامـت لا تصـمد أمـام هـذا التحليـل. (...) هـذا بالفعـل وضع جديـد لـم تعرفـه الفلسـفة ، طـوال تاريخهـا، إلا فـي القـرن العشـرين. فلم تعـد المسـألة خلافـا بـين مـدارس فلسـفية فحسـب – إذ أن هـذا الاخـتلاف كان " رحمة" على الفكـر طـوال تاريخـه. بـل إن الظـاهرة الجديـدة هـي عـدم الاعتـراف المتبـادل بـين الطـرفين، (...) إن فيلسـوف القـارة الأوربيـة يصـف الفلسـفة التحليليـة بأنهـا – علـى حـد تعبيـر " جـان فـال" – " ثرثـرة تهـدف إلـى الـتخلص مـن الثرثـرة"، علـى حـين أن الفيلسـوف الإنجليـزي أو الأمريكـي لا يـرى فـي الميتافيزيقـا أو فلسـفة الوجـود الأوربيـة إلا مجموعـة مـن القضـايا الشـديدة العموميـة، الشـديدة التسـاهل، التـي تنهـار أمـام أي تحليـل لغـوي أو منطقـي دقيـق، أي أنهـا – باختصـار– ليسـت " فلسـفة".[49]و عـن هـذا الوضـع الـذي تتسـم بـه الفلسـفة المعاصـرة يعبـر برتراند رسـل، بـدوره قـائلا: " إن الفجـوة بـين الفلسـفة داخـل القـارة

---

(48) ـ المرجع و الموضع نفسه.

(49) ـ برتراند رسل: " حكمة الغرب" ج2، مرجع سابق، من مقدمة المترجم، ص 13- 14 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



والفلسفة الإنجليزية لـم تصـبح فـي أي وقـت [illegible] أصبحت عليـه الآن. بـل إن كـل طـرف لـم يعـد يعتـرف بـأن مـا يقـوم بـه الطرف الآخر يستحق بالفعل اسم الفلسفة."[50].

و انسـجاما منـا مـع خطـوات البحـث و أهدافـه، لـن نتعـرض لحيثيـات مثـل هـذا التعـارض و التنـافر بـين الفلسـفتين " التحليليـة" و " القاريـة"، كمـا أن الأخيـرة لـن تكـون موضـوعا لصـفحاتنا، التزامـا منـا بإشـكالية وموضـوع البحـث الـذي يقتصـر علـى دراسـة الـدرس الابسـتيمولوجي فـي الفلسـفة الغربيـة، أي الفلسـفة فـي ارتباطاتهـا بـالعلم، و العقلانيـة فـي بعـديها التجريبي و العقلي.

نقـول ذلـك رغـم أن الكثيـر مـن الأوربيـين يمارسـون الفلسـفة التحليليـة، و فـي المقابـل هنـاك الكثيـر مـن غيـر الأوربيـين يمارسـون مـا يسمى بالفلسفة القاريـة. و فـي فرنسـا، بشـكل خـاص، هنـاك نقـاش حـاد بـين مناصـري الفلسـفة القاريـة مـن جهـة، والفلسـفة التحليليـة مـن جهـة أخـرى، وهـذه الأخيـرة يمثلهـا فـي فرنسـا اسـمان بـارزان همـا : " جـاك بـوفيريس" (Jacques Bouveresse) و " باسـكال انجـل" (Pascal Engel) . و هنـاك عرف سـائد للتمييـز بـين الفلسـفتين أو المدرسـتين، يعتمـد المعيـار الجغرافـي أولا و اللغـوي ثانيـا، و هـو تمييـز – و إن كـان فيـه الكثيـر مـن الخطـأ والمغالطـة– مفـاده أن الفلسـفة التحليليـة ناطقـة باللغـة الانجليزيـة ، فـي حـين أن الفلسفة القارية فهـي ألمانيـة ، أمـا الفرنسـيون – كمـا يقـول هيـدغر– فهـم عنـدما يتفلسـفون فـإنهم يتكلمـون الألمانيـة. و مـع ذلـك فـان نعـت الفلسـفة التحليليـة بالانجلوساكسـونية، هـو نعـت خـاطئ: أولا لأن الفلاسـفة الأوائـل لهـذا التقليـد هـم إمـا ألمـان أو نمسـاويون (جوتلـوب فريجـه و لـودفيج

(50) - المرجع نفسه، ص 295.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



فتنشـــتاين) و ثانيـــا لأن الفلســـفة المنطقيـــة، بـــر فإن الحصر الجغرافي للفلسفة التحليلية فيه الكثير من المغالطة.[51]

**1- الفلسفة و التحليل:**

عمـــدنا إلـــى عنونـــة هـــذا الحيـــز بـــــ" الفلســـفة و التحليـــل"، فـــي الوقـــت الذي نهدف فيـــه الـــى الحـــديث عـــن " الفلســـفة التحليليـــة" فـــي القـــرن العشـــرين، كاتجـــــاه فلســـــفي علمـــــي، شـــــكل احـــــدى المكونـــــات الرئيســـــية للـــــدرس الابســـتيمولوجي المعاصـــر فـــي تعدديتـــه و تنوعـــه. والحـــق أن لـــيس فـــي ذلـــك تناقضا أو ســـوء تعبيـــر، فارتبـــاط الفلســـفة بالتحليـــل لـــيس أمـــرا جديـــدا أو وقفـــا علـــى الفلســـفة المعاصـــرة، فهنـــاك " فلاســـفة كبـــار مارســـوا التحليـــل بكفـــاءة ومهـــــارة واضـــــحتين، ابتـــــداء مـــــن السوفســـــطائيين و ســـــقراط و أفلاطـــــون وأرســـطو، وصـــولا إلـــى ديكـــارت و فرنســـيس بيكـــون و بـــاركلي ، و ديفيـــد هيوم، و كانط".[52]

و يبقـــى الفـــرق بـــين التحليـــل عنـــد هـــؤلاء و التحليـــل عنـــد أولئـــك هـــو أن" التحليـــل إمـــا أن يكـــون تحلـــيلا للمفـــاهيم و التصـــورات كمـــا عنـــد ســـقراط وأفلاطـــون فـــي محاوراتـــه و أرســـطو فـــي تحليلاتـــه الأخلاقيـــة أو المعرفـــة الإنســـانية و ردهـــا إلـــى عناصـــرها الأوليـــة أو تحلـــيلا للوجـــود لبيـــان مكوناتـــه كمـــا عنـــد ديكـــارت و لـــوك و هيـــوم، أو تحلـــيلا للإطـــارات التـــي تصـــب فيهـــا المعرفة و هـــي اللغـــة كمـــا عنـــد مـــور ورســـل وفتنشـــتاين و كارنـــاب و رايـــل و ستراوسون و أوستن ووزدم ".[53]

مـــن هنـــا فـــإن " الفلســـفة التحليليـــة " هـــي الوجـــه المعاصـــر لارتبـــاط الفلســـفة بالتحليـــل، أو لنقـــل ارتبـــاط الفلســـفة بـــالعلم، " و الواقـــع أن العلاقـــة

---

(51) -voir : http://Wikipedia.org-Article « Philosophie analytique »

(52) - محمد مدين: " الحركة التحليلية في الفكر الفلسفي المعاصر، بحث في مشكلة المعنى" دار الثقافة ، القاهرة، د ت ، ص 15.

(53) - المرجع نفسه: ص 17- 18.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



وثيقة بين كل من الفلسفة و العلم في ا
نكاد نجد واحدا من الفلاسفة المعاصرين إلا و له اهتمام بالغ بالتفكير العلمي. فنحن لو اخترنا أي فيلسوف معاصر ، اختيارا جزافيا، فسوف نجده واحدا من إثنين: إما أنه أصلا عالم من العلماء ثم اتجه إلى الفلسفة، أو أنه فيلسوف ذو اهتمامات موسعة جدا بالعلم. فعلى سبيل المثال: كل من رسل و هوايتهد وفينتجنشتين و هانزهان كان عالما في الرياضيات كما كان وليم جيمس عالما في الفسيولوجيا، و كان تشارلزبيرس عالما في الكيمياء و غيرهم ".[54]

أما تعبير " الفلسفة التحليلية" ، فيعبر عن الاتجاه الفلسفي الذي يوظف المنطق المعاصر الذي استحدثه جوتلوب فريجه و برتراند رسل في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لإيضاح المسائل الفلسفية الكبرى من خلال التحليل المنطقي للغة. و هكذا كان المنطق وفلسفة اللغة الميدانين الأساسين الأولين للفلسفة التحليلية.

و تجدر الإشارة إلى أن تعبير " الفلسفة التحليلية يكتنفه شيء من اللبس، مما يستدعي توضيحه بتقسيمه إلى ثلاثة معاني: المذهب (Doctrine) المنهج (Méthode) ، و الاتجاه أو التقليد (Tradition) . أما المذاهب التي تدخل عادة في هذا المعنى فهي الوضعية المنطقية والذرية المنطقية، كما أن التعبير قد يعني أيضا فلسفة اللغة العادية، فلسفة المعنى ، أو قد يعني كذلك هذه المذاهب كلها مجتمعة. أما منهج الفلسفة التحليلية فهو عبارة عن مقاربة عامة للفلسفة، إنه أسلوب في التحليل يستجيب لعدد من المتطلبات و المقتضيات المنطقية (exigences rationnelles). ارتبط المنهج في البداية، و بشكل أساسي،

(54) - عزمي اسلام:" اتجاهات في الفلسفة المعاصرة"، وكالة المطبوعات ، الكويت، ط أولى، د ت، ص 24.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



بمشاريع التحليل المنطقـــي للقضـــايا الفلســـفية. أمـ

الفلسفة التحليلية يمثـــل أي مشـــروع ، بقـــدر مـــا أصـــبح يعنـــى و ينشـــغل بالدقـــة و الوضـــوح، كمـــا أصـــبح يعطـــي مكانـــة هامـــة للأســـلوب الحجـــاجي و الحجـــاج عامـــة(l'argumentation). أمـــا الفلســـفة التحليليـــة كتقليـــد و اتجـــاه فقـــد بـــدأت مـــع جوتلـــوب فريجـــه، و برترانـــد رســـل ، و جـــورج ادوارد مـــور، و لودفيـــغ فتنشتاين في بدايات القرن العشرين.

و قـــد بـــدأت الفلســـفة التحليليـــة اشـــكالياتها الأولـــى مـــع هـــؤلاء بطـــرح أسئلة من قبيل:

- هل بالإمكان التفلسف باتباع منهج علمي ؟
- هل بالإمكـــان إدخـــال صـــرامة أكثـــر فـــي الفلســـفة باســـتعمال و اتبـــاع المنطق الرياضي؟
- هل يمكن أن تختصر الفلسفة في المنطق وحده؟[55]

و لكـــن إذا نحـــن بحثنـــا عـــن أهـــم ســـمات فلســـفة التحليـــل المعاصـــرة، فإنـــه بالإضافة إلى ما ســـجلناه أعـــلاه هنـــاك ســـمات أخـــرى يمكـــن حصـــرها فـــي مـــا يلـــي:" انتقلـــت الفلســـفة علـــى أيـــدي التحليليـــين مـــن البحـــث فـــي مجـــال الموضوعات و الأشياء إلـــى مجـــال آخـــر يبحـــث فـــي الألفـــاظ والعبـــارات التـــي يقول بها رجـــال العلـــم و الفلســـفة. و بمعنـــى آخـــر أصـــبح عمـــل الفلاســـفة هـــو أن يكونـــوا " فلاســـفة للفلاســـفة" ، (...) و لـــذا فقـــد تطـــورت الدراســـات الخاصـــة بمنطـــق الرياضـــيات و المنطـــق الرمـــزي، و كـــذا الدراســـات المتعلقـــة بفكـــرة المعنـــى- علـــى أيـــديهم- لارتباطهـــا جميعـــا بعمليـــة التوضـــيح. (...) إن فلاســـفة التحليـــل بصـــفة عامـــة، كـــانوا مـــن دعـــاة الدقـــة و الوضـــوح، (...) وكانوا يهدفون جميعا إلـــى إعطـــاء لغـــة الفلســـفة نوعـــا مـــن الوضـــوح و الدقـــة،

[55] -Article « Philosophie analytique » op.cité

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



مثـــل الوضـــوح و الدقـــة الموجـــودين فـــي الم
جميعا كـــانوا يجمعـــون علـــى أهميـــة اللغـــة و تحليلهـــا و توضـــيحها ، و هـــذا مـــا عبر عنه فيتجنشـــتين حـــين ذهـــب إلـــى أن أغلـــب مشـــكلات الفلســـفة، إنمـــا ينشـــأ عن سوء فهم منطق اللغة ".[56]

هكـــذا، إذن، اتجهـــت الفلســـفة التحليليـــة منـــذ نشـــأتها نحـــو التحليـــل المنطقي للغة، هادفة فـــي البدايـــة إلـــى بنـــاء لغـــة اصـــطناعية علـــى غـــرار لغـــة العلم و الرياضيات تحديـــدا، مبعـــدة عـــن طريقهـــا جميـــع الكلمـــات الفارغـــة مـــن المعنـــى كتلـــك التـــي تســـتعملها الفلســـفة فـــي اتجاهاتهـــا المثاليـــة و الميتافيزيقيـــة. و حتـــى عنـــدما تحولـــت عـــن أهـــدافها الأولـــى، و عـــدو لهـــا عـــن بنـــاء لغـــة اصطناعية ، فهي بقت وفيـــة للتحليـــل و لكـــن هـــذه المـــرة تحليـــل اللغـــة العاديـــة التي نستعلمها يوميا .

" وهكذا أصبح تحليل اللغـــة هـــو العمـــل الأساســـي للفلســـفة- لا مـــن حيـــث هـــي مجرد ألفاظ- بـــل مـــن حيـــث مـــا تشـــير إليـــه مـــن أفكـــار و معرفـــة و خاصـــة تلك المتعلقة منهـــا بـــالعلوم، و ذلـــك دون أن تتـــدخل فـــي وظيفـــة العلمـــاء وإنمـــا فقـــط تقـــوم بتحليـــل قضـــاياهم تحلـــيلا منطقيـــا، و هـــي تتـــولى ذلـــك نيابـــة عـــن العلمـــاء أو " بالوكالـــة " عـــنهم. (...) وعلـــى الـــرغم مـــن اتفـــاق الفلاســـفة التحليليـــين علـــى ضـــرورة التحليـــل اللغـــوي، إلا أنهـــم يختلفـــون فيمـــا بيـــنهم حول اللغـــة التـــي يمكـــن أن تكـــون موضـــوع التحليـــل. (...) فقـــد تمســـك بعـــض التحليليـــين مثـــل برترانـــد رســـل و فتجنشـــتين فـــي بعـــض مواقفهمـــا المبكـــرة بفكـــرة أن التحليـــل ينبغـــي أن تكـــون مهمتـــه تأســـيس أنســـاق لغويـــة جديـــدة اصـــطناعية. (...) و لكـــن هنـــاك مـــن التحليليـــين مـــن رأى أن هـــذه اللغـــة الاصـــطناعية غالبـــا مـــا تكـــون قليلـــة العـــون فـــي معالجـــة المشـــاكل الفلســـفية،

[56] - عزمي اسلام: " اتجاهات في الفلسفة المعاصرة" مرجع سابق، ص 234-235.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



ورأوا أن أفضـــل ســـبيل لمعالجـــة هـــذه المشـــ
الطبيعية العادية ".[57]

إن اتجـــاه الفلســـفة التحليليـــة نحـــو تحليـــل اللغـــة ، واختصـــار مهمـــة الفلسفة في ذلـك، مـرده فـي الأسـاس إلـى الإنجـازات الكبـرى التـي أحرزهـا المنطق على يـد غوتلـوب فريجـه. فالتحليـل فـي عـرف هـذه الفلسـفة يكـون فـي الأسـاس للغـة و يقـوم علـى أسـس منطقيـة (المنطـق الرياضـي) بهـدف تنقية العلم و الفلسفة معـا مـن شـوائب اللغـة والكلمـات التـي لا تحمـل معنـى، فنـتمكن بالتـالي مـن ولـوج الوضـوح و إبعـاد الغمـوض إبعـاد الميتافيزيقـا. يقـول لـودفيج فتنجنشـتين: " إن موضـوع الفلسـفة هـو التوضـيح المنطقـي للأفكـار. فالفلسـفة ليسـت نظريـة مـن النظريـات، بـل هـي فاعليـة. ولـذا يتكـون العمـل الفلسـفي أساسـا مـن توضـيحات، ولا تكـون نتيجـة الفلسـفة عددا مـن القضـايا الفلسـفية ، إنمـا هـي توضـيح للقضـايا. فالفلسـفة يجـب أن تعمـل علـى توضـيح و تحديـد الأفكـار بكـل دقـة، و إلا ظلـت تلـك الأفكـار معتمة و مبهمة ".[58]

و لودفيج فتنجشـتين لا يحـدد فقـط مهمـة الفلسـفة فـي دورهـا التحليلـي المنطقـي، فهـو كـذلك يحـدد " منهجهـا الصـحيح" ، يقـول أيضـا فـي قضـية أخـرى: " إن المـنهج الصـحيح للفلسـفة يمكـن أن يكـون هـو هـذا: ألا تقـول شيئا إلا ممـا يمكـن قولـه، أي قضـايا العلـم الطبيعـي، أي شـيئا لا علاقـة لـه بالفلسـفة. فتبـرهن دائمـا، حينمـا يرغـب شـخص آخـر فـي أن يقـول شـيئا

(57) ـ محمد مدين: " الحركة التحليلية"، مرجع سابق، ص 25- 26.
(58) ـ لودفيج فتجنشتين: " رسالة منطقية فلسفية"، ترجمة عزمي إسلام ، مراجعة زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968، القضية رقم 4,112.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



ميتافيزيقيـــا، تبـــرهن لـــه أنـــه لـــم يعـــط أي قضاياه".[59]

و الأمـــر لا يكـــاد يختلـــف كثيـــرا بالنســـبة لبرتراند رســـل فـــي تحديـــده لمهمـــة الفلســـفة ودورهـــا التحليلـــي المنطقـــي. ولا حاجـــة للتـــذكير بـــأن رســـل وفتجنشـــتين كلاهمـــا مـــدينان للثـــورة المنطقيـــة الرياضـــية التـــي أحـــدثها جوتلـــوب فريجـــه فـــي بدايـــة القـــرن العشـــرين، ولجهـــة علاقـــة الرياضـــيات بـــالمنطق، و" يمثـــل المنطـــق فـــي فلســـفة رســـل الأســـاس الـــذي تقـــوم عليـــه تحليلاتـــه للرياضـــيات و المشـــكلات الفلســـفية، و لا نقصـــد هنـــا بـــالمنطق مـــا هو متعارف عليـــه عنـــد الفلاســـفة، بـــل ذلـــك العلـــم المتطـــور الـــذي لـــه علاقـــة بالرياضـــيات. و إذا كـــان المنطـــق جـــزءا هامـــا فـــي الفلســـفة، فـــإن صـــلة الفلســـفة بالرياضـــيات تصـــبح وطيـــدة ، و يكـــون للتعبيـــر " فلســـفة رياضـــية" دلالـــة علميـــة تتحـــدد بنـــوع العلاقـــة بـــين الفلســـفة و الرياضـــيات."[60] و عـــن هذه المسألة بالذات يقـــول فـــي أحـــد أهـــم كتبـــه و أشـــهرها مـــا يلـــي:" ارتبطـــت الرياضـــة بـــالعلم، و المنطـــق باللغـــة اليونانيـــة. ولكـــن كليهمـــا تطـــور فـــي الأزمنة الحديثـــة، فأصـــبح المنطـــق أكثـــر رياضـــيا، و الرياضـــة أكثـــر منطقيـــة، ممـــا ترتـــب عليـــه اســـتحالة وضـــع خـــط فاصـــل بينهمـــا، إذ الواقـــع أن الاثنـــين شـــيء واحـــد. و الخـــلاف بينهمـــا كـــالخلاف بـــين الصـــبي و الرجـــل، فـــالمنطق شـــباب الرياضـــيات، و الرياضـــيات تمثـــل طـــور الرجولـــة للمنطـــق. (...) لقـــد أصـــبح مـــن الواضـــح أن كثيـــرا مـــن البحـــث الرياضـــي الحـــديث يقـــع علـــى

---

(59) ـ المرجع نفسه، القضية رقم 3,53

(60) ـ ياسين خليل: " مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دراسة تحليلية و نقدية للاتجاهات العلمية في فلسفة القرن العشرين" ، منشورات الجامعة الليبية كلية الآداب، سنة 1970، ص 76.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



محـــيط المنطـــق، كمـــا أن كثيـــرا مـــن البحـــث

محيط المنطق."[61].

هكـــذا، إذن، تتحـــدد مهمـــة الفلســـفة عنـــد رســـل ، بـــل الفلســـفة كلهـــا تتضـــح معالمهـــا الدقيقـــة وتفصـــيلاتها الجزئيـــة المخبـــأة فـــي ثنايـــا العلـــوم والمعـــارف ، و التـــي يخضـــعها رســـل، بـــل يخضـــع لغتهـــا، للتحليـــل المنطقـــي. و" فلســـفة المنطـــق" هـــذه هـــي مـــا يطلـــق عليهـــا رســـل فلســـفة " الذريـــة المنطقية". و قد سميت " ذريـــة" لأنهـــا تنظـــر إلـــى العـــالم علـــى أنـــه مؤلـــف مـــن كثـــرة مـــن الأشـــياء منفصـــلة، ولا تعـــد الكثـــرة الظـــاهرة فـــي العـــالم مظـــاهر و تقســـيمات غيـــر حقيقيـــة لحقيقـــة واحـــدة لا تقبـــل الانقســـام. و هـــي " منطقيـــة" لأن " الـــذرات التـــي أريـــد التوصـــل إليهـــا هـــي فـــي التحليـــل النهـــائي ذرات منطقية. وليست ذرات فيزيقية..."[62].

تصـــبح مهمـــة الفلســـفة عنـــد رســـل هـــي التحليـــل ثـــم التحليـــل، و هكـــذا دواليـــك، حتـــى الغـــوص فـــي أدق التفاصـــيل مبتعـــدة عـــن العموميـــات والكليـــات ، فتلـــك ســـمات غيـــر علميـــة ، أو لنقـــل هـــي ســـمات ميتافيزيقيـــة و مثاليـــة، بعكـــس الفلســـفة التحليليـــة التـــي " تفـــتح علـــى الـــدوام تفاصـــيل فرعيـــة، و هـــذه الفروع تـــؤدي إلـــى فـــروع أخـــرى للفـــروع، وهكـــذا .. و يظـــل التحليـــل يتســـع و ينتشر حتى يمتد إلى أكثر الألفاظ و القضايا شيوعا"[63].

هكـــذا، إذن، تبـــدو الفلســـفة عنـــد رســـل مهمـــة علميـــة بالأســـاس، فهـــي إذ تعتمـــد التحليـــل منهجـــا و روحـــا ، تـــرتبط ارتباطـــا وثيقـــا فـــي مهمتهـــا تلـــك بـــالعلم الرياضـــي، ويجـــب التوضـــيح إلـــى أن رســـل، شـــأنه شـــأن فتجشـــنتين أو جورج مـــور، عنـــدما " يتحـــدث عـــن العلـــم فإنـــه لا يعنـــي بهـــذه الكلمـــة علـــوم

---

(61) ـ برتراند رسل: " مقدمة الفلسفة الرياضية"، ترجمة: محمد مرسي أحمد، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1980، ص 208.
(62) ـ محمد مهران: " فلسفة برتراند رسل"، دار المعارف، القاهرة، 1986، ص 224.
(63) ـ فؤاد زكريا:" نظرية المعرفة" مرجع سبق ذكره، ص 13.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الطبيعـــة أو غيرهـــا مـــن العلـــوم التجريبيـــة ، بـ كالرياضـــة و المنطـــق. و هـــذا الســـبب فـــي أن رســـل يقـــارن القضـــايا الفلســـفية التـــي هـــي قضـــايا عامـــة، و أوليـــة ، بالقضـــايا الرياضـــية أو المنطقيـــة التـــي لا تخـــرج هـــي الأخـــرى عـــن كونهـــا قضـــايا عامـــة لا ســـبيل إلـــى إثباتهـــا أو دحضها عـــن طريـــق البينـــات التجريبيـــة و مـــن هنـــا فـــإن رســـل حـــين يتحـــدث عن الفلسفة بوصفها علما إنمـــا يعنـــي بـــذلك أنهـــا لا تكـــاد تتميـــز عـــن المنطـــق، على شرط أن نفهم المنطق هنا بمعناه الرمزي أو الرياضي".[64]

إن رســـل ، و ضـــمن أفـــق فلســـفي تحليلـــي، يـــربط بـــين الفلســـفة و العلـــم ربطا عقلانيا، دون أن يعنـــي ذلـــك تشـــييدا منـــه لفلســـفة نســـقية أو حتـــى نظريـــة بـــالمعنى الفلســـفي التقليـــدي، " إن الفلســـفة العلميـــة التـــي يريـــدها رســـل ليســـت مجرد نظرة عقليـــة تصـــطنع المـــنهج الرياضـــي فحســـب، بـــل هـــي أيضـــا جهـــد عقلي متواضع يرفض كل محاولة لبناء أي "نسق" فلسفي موحد.

فـــنحن هنـــا بـــإزاء فلســـفة تحليليـــة تـــأبى التـــورط فـــي إقامـــة أي مـــذهب ميتـــافيزيقي، علـــى طريقـــة الفلاســـفة العقلانيـــين الكلاســـيكيين، لأنهـــا تـــؤمن بضـــرورة معالجـــة المشـــكلات الفلســـفية واحـــدة بعـــد الأخـــرى، عـــن طريـــق اصطناع مناهج التحليل المنطقي".[65]

إن أيـــة مقاربـــة للفلســـفة التحليليـــة و الوضـــعية المنطقيـــة و الفلســـفة الانجلوساكســـونية عمومـــا، التـــي تمـــتح مـــن التيـــار التجريبـــي، الـــذي تـــدين لـــه مـــع اختلافـــات و تفريعـــات هاهنـــا و هنـــاك، تغفـــل الســـياقات العلميـــة والمنطقية فـــي بعـــدها التـــاريخي كمـــا تبلـــور مـــع أواخـــر القـــرن التاســـع عشـــر وبـــدايات القـــرن العشـــرين، تكـــون فـــي اعتقادنـــا مجانبـــة للصـــواب، و فلســـفة

(64) ـ زكريا ابراهيم: " دراسات في الفلسفة المعاصرة" ، مرجع سابق، ص 211.
(65) ـ المرجع نفسه، ص 211- 212 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



برتراند رسل لا تشذ عن ذلك، فهي أ

نصاعة و صفاء، سواء لجانب التحليل المنطقي للقضايا الفلسفية والعلمية، أو لجانب تحليل اللغة و الموقف من الميتافيزيقا، و هي في كل ذلك تعتمد أساسا على مفهوم التحقق (vérification) ، أي القضايا القابلة للتحقق، و الابتعاد عن القضايا غير القابلة للتحقق واقعيا و تجريبيا، و هي القضايا الميتافيزيقية. و هكذا " ففي ثنايا التحليل المنطقي كما طوره راسل يبرز إذن توجها ابستيمولوجيا يؤدي إلى انحلال المشاكل الفلسفية، ما دام أن هذه الأخيرة إما تختزل في أشباه مشاكل وإما أنها تأخذ شكلا جديدا ، كذلك الذي تأخذه المشاكل الامبريقية، التي بواسطتها تغدو قابلة للحل، بطريقة علمية " حقا". والمعيار المساند لهذا التمييز هو معيار الدلالة، الذي يتوقف عليه تمييز الملفوظات ذات معنى عن تلك التي لا تملكها. في الحالة الأولى يتعلق الأمر إما بملفوظات تحليلية أو ملفوظات يمكنها أن تختبر بالتجربة بواسطة التحليل المنطقي، خاصة إذا رجعنا نحو الملفوظات الأكثر بساطة و التي تجد إحالتها في معطيات التجربة. في الحالة الثانية يتعلق الأمر بملفوظات لا إحالة لها على التجربة (...) و التي لا يمكن التحقق منها. فمجالها مثلا هو مجال الموسيقى أو الشعر ، تعبر عن الانفعالات و المشاعر."[66].

و إذا كان التحليل المنطقي يمتح أساسا و يستفيد جملة و تفصيلا من التطور الذي عرفه المنطق ، فان" اكتشاف النقائض المنطقية والمفارقات الدلالية، في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين

(66) ـ مانويل ماريا كاريلو:" خطابات الحداثة" ، ترجمة إدريس كثير و عزالدين الخطابي، منشورات دار ما بعد الحداثة، فاس-المغرب، 2001، ص 34-35.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



قـــد أدى إلـــى حـــدوث أزمـــة فـــي المنطـــق. (...) بعـــد ذلـــك إلـــى محاولـــة تحليـــل منبـــع الخطـــأ فـــي هـــذه النقـــائض والمفارقـــات منتهيا إلى أن النقائض تنتج عن الاستعمال غير المشروع للغة."[67]

مـــن هنـــا أمكـــن القـــول بحـــق أن " المنعطـــف الحـــاد الـــذي جعـــل فلســـفة القـــرن العشـــرين تصـــطبغ بصـــبغة منطقيـــة إنمـــا يتبـــوأر فـــي حجـــر زاويـــة أساسي هو اللغـــة. أجـــل المنطـــق هـــو علـــم قـــوانين الفكـــر منـــذ أرســـطو (...). و لكـــن القـــرن العشـــرين أدرك أن المنطـــق لا يـــدرس قـــوانين الفكـــر كســـديم ســـابح فـــي الأجـــواء الميتافيزيقيـــة، (...) بـــل يـــدرس المنطـــق قـــوانين الفكـــر كما تتمثل في الانتقال من قضايا لغوية إلى أخرى".[68]

و بهـــذا المعنـــى ، و بـــنفس التأكيـــد الـــذي تحـــرص عليـــه الفلســـفة المعاصرة فـــي اتجاهاتهـــا العلميـــة، فـــإن الفلســـفة و البحـــث الفلســـفي هـــي مهمـــة تقتصـــر علـــى تحليـــل اللغـــة، التـــي هـــي المســـؤول الأول و الأخيـــر عـــن كـــل ذلـــك الغمـــوض و اللامعنـــى الـــذي يميـــز تفكيرنـــا و يســـيجه بســـياج مـــن المفـــاهيم الميتافيزيقيـــة، التـــي وإن كانـــت تقـــدم لـــذة وغوايـــة، فهـــي لا تقـــدم معنى، أو هي منه خلاء.

الفلســـفة بهـــذا المعنـــى ، يقـــول فتجنشـــتين: "هـــي مقاومـــة فتنـــة تفكيرنـــا بواسطة لغتنا ".[69]

## 2- التجريبية المنطقية:

عنـــدما نتحـــدث عـــن التجريبيـــة المنطقيـــة، فـــنحن لا نبتعـــد فـــي واقـــع الأمـــر عـــن مربـــع الفلســـفة التحليليـــة، فـــنحن دائمـــا مرتبطـــون بالتحليـــل

---

(67) ـ محمد سبيلا: " مدارات الحداثة، مقالات في الفكر المعاصر"، منشورات عكاظ ، المغرب، 1988، ص 28-29.

(68) ـ يمنى طريف الخولي:" فلسفة العلم في القرن العشرين" ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 264، ديسمبر 2000، ص 262.

(69) ـ لودفيك فتغنشتاين: " تحقيقات فلسفية" ترجمة عبد الرزاق، بدور، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007، الفقرة رقم 109،ص 195.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



المنطقي للغـــة، ســـواء أكانـــت اللغـــة العاديـــة، التحليـــل اللغـــوي؛ أو كانـــت اللغـــة الاصـــطناعية و لغـــة العلـــم، كمـــا جـــرى العمـــل بـــه عنـــد فلاســـفة حلقـــة ڤيينـــا و مدرســـة الوضـــعية المنطقيـــة أو التجريبية المنطقيـــة. و " تـــدعى هـــذه المدرســـة أحيانـــا بـــــ" الوضـــعية الجديـــدة" و أحيانا أخـــرى بـــــ" التجريبيـــة العلميـــة" ، كمـــا اشـــتهر بعـــض فروعهـــا باســـم " الوضـــعية المنطقيـــة". أمـــا الاســـم الغالـــب عليهـــا، و الـــذي يضـــم مختلـــف فروعها، فهو " التجريبية المنطقية".[70]

و الوضـــعية الجديـــدة كتيـــار فلســـفي تحليلـــي جديـــد، و المرادفـــة، كمـــا هـــو واضـــح أعـــلاه، للتجريبيـــة المنطقيـــة" هـــي تجريبيـــة لأنهـــا- كبـــاقي النزعات التجريبيـــة- تـــرى أن التجربـــة هـــي المصـــدر الوحيـــد لكـــل مـــا يمكـــن أن نحصل عليه مـــن معـــارف عـــن الواقـــع. فليســـت هنـــاك ، فـــي نظرهـــا، أيـــة أفكار قبلية، ولا أيـــة بداهـــة عقليـــة، و بالتـــالي فـــان القضـــايا التـــي تتحـــدث عـــن أشياء لا يمكن التحقـــق منهـــا بالتجربـــة هـــي قضـــايا فارغـــة مـــن المعنـــى، مثـــل القضـــايا الميتافيزيقيـــة عامـــة. و هـــي منطقيـــة لأنهـــا لا توافـــق هيـــون وجماعـــة التجـــريبيين الانجليـــز فـــي رأيهـــم القائـــل باســـتحالة بلـــوغ اليقـــين ســـواء فـــي الميـــدان الفلســـفي أو العلمـــي لكـــون جميـــع معارفنـــا مســـتمدة مـــن المعطيـــات التجريبيـــة الحســـية المتغيـــرة باســـتمرار.إن التجريبيـــة المنطقيـــة تـــرى، علـــى العكس مـــن ذلـــك، أنـــه بالإمكـــان الحصـــول علـــى معـــارف يقينيـــة فـــي ميـــدان العلـــم شـــريطة التقيـــد الصـــارم بـــالمنطق الـــذي هـــو علـــم اســـتدلالي صـــوري بحـــت، مثلـــه مثـــل الرياضـــيات، ولـــذلك يميـــز المناطقـــة الوضـــعيون بـــين القضـــايا التـــي تنطـــوي علـــى معنـــى، و القضـــايا الفارغـــة مـــن كـــل معنـــى.

---

(70) ـ محمد عابد الجابري:" مدخل إلى فلسفة العلوم- تطور الفكر الرياضي و العقلانية المعاصرة" ج I، دار الطليعة، بيروت، 1982، ص 21.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الأولـــى هـــي القضـــايا التركيبيـــة (قضـــايا ال
التحليليـــة (قضـــايا الرياضـــيات التـــي عبـــارة عـــن تحصـــيل حاصـــل (tautologie)) أمـــا القضـــايا الأخـــرى، الفارغـــة مـــن المعنـــى ، فهـــي كـــل القضـــايا التـــي لا تنتمـــي إلـــى عـــالم الرياضـــيات و العلـــوم الطبيعيـــة، كالقضـــايا الميتافيزيقية المعروفة ".[71]

و من أجـل التمييـز و التفرقـة بـين تلـك العبـارات التـي تحمـل معنـى، و بـين تلـك العبـارات التـي تخلـو مـن المعنـى، سـواء العبـارات الفلسـفية أو العلمية " فانـه مـن الضـروري – عنـد الوضـعيين – أن يـتم تحليـل العبـارات التي تساق فيهـا قضـايا الفلسـفة و العلـم، تحلـيلا منطقيـا و خاصـة مـن ناحيـة بنية اللغة، و هذا ما قام به الوضعيون المنطقيون، و خاصة كارنب".[72]

لا شـك أن الاتجـاه التجريبـي الـذي طبـع الوضـعية الجديـدة ممثلـة، في بـداياتها الأولـى، فـي مدرسـة ڤيينـا، لـم يكـن شـيئا جديـدا فـي الفلسـفة. فالمدرسـة، و مـن خـلال بيانهـا " الفهـم العلمـي للعـالم "[73] تؤكـد انتماءاتهـا للتقليـد التجريبـي فـي المعرفـة مـن خـلال فلاسـفة التجربـة أمثـال لـوك وبركلـي و هيـوم و خاصـة أرنسـت مـاخ الـذي تـدين لـه المدرسـة بالشـيء الكثير.

يقول ألفـرد أيـر أحـد الفلاسـفة الـذين ارتـبط اسـمهم لاحقـا بالوضـعية المنطقيـة: " كـان مـاخ صـاحب رؤيـة فـي العلـم – تبناهـا شـلك – مفادهـا وجـوب أن يعنـي العلـم فـي نهايـة المطـاف بالإحساسـات البشـرية. و علـى اعتبـار أن معرفتنـا بالحقـائق العلميـة إنمـا تـأتي إلينـا عـن طريـق الحـواس، فانه يتعين أن يكـون العلـم وصـفا للإحساسـات. لقـد تبنـت الحلقـة [ڤيينـا] هـذه

(71) ـ المرجع نفسه، ص 21-22.
(72) ـ عزمي اسلام: " اتجاهات في الفلسفة المعاصرة" ، مرجع سابق، ص 124.
(73) ـ أنظر ترجمة ص البيان في: وداد الحاج حسان: " رود ولف كارناب، نهاية الوضعية المنطقية"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2001، ص 261.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الرؤية و بذا كان أعضـــاؤها يقتفـــون أثـــر تـــرا
لم يكونـــوا علـــى درايـــة أو اهتمـــام بتـــاريخ الفلســـفة، فـــان مـــذهبهم كـــان شـــبيها بمذهب الفيلســـوف الاســـكتلندي ديفـــد هيـــون الـــذي عـــاش فـــي القـــرن 18. لهـــذا لم تكن رؤيتهم فـــي هـــذا الخصـــوص جديـــدة و لا ثوريـــة. لقـــد كمنـــت ثـــوريتهم في الحمـــاس الـــذي أبـــدوه، فـــي اعتقـــادهم فـــي أن هـــذه الرؤيـــة تضـــع الفلســـفة على أعتـــاب طريـــق جديـــد. لقـــد ظنـــوا أنهـــم اكتشـــفوا المســـتقبل الـــذي ســـوف تكون عليـــه الفلســـفة: ســـوف تكـــون خادمـــة للعلـــم. إنهـــم لـــم يقومـــوا باســـتعمال العلم فـــي فلســـفتهم بـــل اعتقـــدوا أن العلـــم ســـوف يضـــطلع بـــأمر المعرفـــة فـــي مجملهـــا، إن العلـــم يصـــف العـــالم، العـــالم الوحيـــد الموجـــود، عـــالم الأشـــياء المحيطـــة بنـــا، و لـــيس ثمـــة عـــالم آخـــر بمقـــدور الفلســـفة أن تشـــغل بـــه ممارســـيها. مـــا الـــذي تســـتطيع القيـــام بـــه إذن؟ إنهـــا لا تســـتطيع ســـوى تحليـــل ونقد نظريات العلـــم و مفاهيمـــه. علـــى هـــذا النحـــو قـــام العلـــم باقتحـــام الفلســـفة، و كان على المنطق أن يقدم لهما يد العون".[74]

و يمكـــن أن نلاحـــظ وفـــق هـــذا المعنـــى أن "عقيـــدة" و تعـــاليم الوضـــعية المنطقية ارتكـــزت علـــى ثلاثـــة تعـــاليم أو ثـــلاث نقـــاط أساســـية: النقطـــة الأولـــى هي مبـــدأ التحقـــق الـــذي أوجـــزه شـــلك بقولـــه: " إن معنـــى القضـــية هـــو نهـــج التحقق منها ". و يترتـــب عـــن هـــذا المبـــدأ مســـألتان اثنتـــان، مفـــاد الأولـــى هـــو أن كل مـــا لا يقبـــل التحقـــق الملاحظـــي يعـــوزه المعنـــى، و مفـــاد الثانيـــة هـــو أن ما تعنيـــه القضـــية قابـــل للوصـــف عبـــر تحديـــد مـــا يمكـــن مـــن التحقـــق منهـــا. وهكذا يتم رد كل القضايا إلى قضايا الملاحظة المباشرة.

---

(74) - أنظر: " ألفرد أير:" الوضعية المنطقية و تركتها" حوار مع كتاب من:" رجال الفكر، مقدمة للفلسفة الغربية المعاصرة" تحرير براين ماجي. ترجمة نجيب الحصادي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي. 1998، ص 246-247.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



أمـــا النقطـــة الثانيـــة التـــي تقـــوم عليهـ والرياضـــيات و كـــل القضـــايا الصـــادقة بشـــكل ضـــروري 01+1= 2)، عبارة عن قضايات تكرارية أو تحليلية .

و أمـــا النقطـــة الثالثـــة و الأساســـية فتتعلـــق بالفلســـفة نفســـها، يتعـــين أن ينحصـــر عمـــل الفلســـفة فـــي الأنشـــطة التوضـــيحية، إن الفلســـفة لا تنـــتج قضـــايا صادقة أو باطلة، فهـــذا الشـــأن يعنـــى بـــه العلـــم، بـــل تمـــارس نشـــاطا توضـــيحيا و في بعض الأحيان تعمل على فضح الهراء.[75]

و يقـــول برترانـــد رســـل عـــن الوضـــعية الجديـــدة، و حلقـــة ڤيينـــا التـــي استفادت أيمـــا اســـتفادة مـــن أعمالـــه، خاصـــة فـــي المنطـــق، وكـــذا مـــن أعمـــال فريجـــه و وايتهايـــد، وفتجنشـــتين ، الـــذي اعتبـــرت " رســـالته" أســـاس كثيـــر مـــن الطروحـــات التـــي قامـــت عليهـــا أفكـــار و أعمـــال الحلقـــة، يقـــول رســـل:" كـــان هذا المذهب، كما يـــدل اســـمه، وضـــعيا فـــي المقـــام الأول. فهـــو يـــرى أن العلـــم هـــو الـــذي يزودنـــا بمجمـــوع معارفنـــا، و أن الميتافيزيقـــا بنمطهـــا التقليـــدي، هي ثرثرة لفظيـــة فارغـــة. فلـــيس ثمـــة مـــا يمكـــن معرفتـــه وراء التجربـــة، وفـــي هـــذا نجـــد بعـــض التشـــابه بيـــنهم و بـــين أفكـــار كانـــت. (...) ويقتـــرن تأكيـــدهم للملاحظة التجريبيـــة بالأخـــذ بمعيـــار للمعنـــى يـــرتبط إلـــى حـــد مـــا بالبرجماتيـــة التي يطلقها العـــالم فـــي مختبـــره خـــلال عملـــه اليـــومي، و يتمثـــل هـــذا المعيـــار فـــي مبـــدأ مشـــهور هـــو مبـــدأ قابليـــة التحقيـــق، الـــذي يـــذهب إلـــى أن معنـــى القضية هـــو طريقـــة تحقيقهـــا. و هـــذا المعنـــى مســـتمد مـــن مـــاخ، الـــذي طبـــق هـــذه الطريقـــة ذاتهـــا فـــي تعريـــف الألفـــاظ المســـتخدمة فـــي الميكانيكـــا. (...) وقـــد أدى مبـــدأ قابليـــة التحقيـــق، بوجـــه خـــاص، إلـــى ظهـــور عـــدد مـــن

[75] - أنظر المرجع نفسه، ص 249- 250.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



التفسـيرات المتباينـة، و الواقـع أن تـاريخ المناقشة التي جرت بشان أهمية هذا المبدأ أو مكانته".[76]

هنـاك قضـيتان يجـب الـوعي بهمـا عنـد التعـرض أو الحـديث عـن الوضـعية الجديـدة، القضـية الأولـى تتعلـق بـرفض الميتافيزيقـا، و القضـية الثانيـة تـرتبط بالمبـدأ الـذي أشـرنا إليـه أعـلاه. و الحـق أن كـلا القضـيتين مـرتبطتين، و تشـكلان فـي نظرنـا صـلب و حقيقـة هـذا الاتجـاه الفلسـفي الذي طبع الفلسفة فـي القـرن العشـرين. فأمـا مبـدأ التحقـق فهـو يحيـل علـى تـراث عريـق مـن التجريبيـة، و يـرتبط بتطـورات هائلـة عرفهـا العلـم الفيزيـائي و كـذا الرياضـيات و المنطـق خـلال العقـود الأولـى مـن القـرن 20، وهي أمور كلهـا جعلـت مـن الاتجـاه الفلسـفي الوضـعي الجديـد لا يعيـر أي اهتمـام لأي خطـاب لا يمـتح ممـا هـو تجريبـي أو منطقـي. أمـا مسـألة رفض الميتافيزيقا، فهـي فـي اعتقادنـا تنسـجم كليـة مـع المسـألة الأولـى، بـل هـي وجههـا الآخـر فـي نظرنـا. فـرفض الميتافيزيقـا، مـن وجهـة نظـر الوضعية المنطقية، يمكن إيجازه بدقة في " القياس الآتي:

كـل العبـارات الميتافيزيقيـة لا يمكـن التحقـق مـن صـدقها تجريبيـا، (مقدمة صـغرى) كـل العبـارات التـي لا يمكـن التحقـق مـن صـدقها تجريبيـا عبـارات لا معنـى لهـا (مقدمـة كبـرى) إذن كـل العبـارات الميتافيزيقيـة لا معنى لها (نتيجة).

و المقدمـة الكبـرى فـي هـذا القيـاس تلخـص نظريـة التحقـق مـن صـدق المعنـى فـي صـورة سـلبية، و هـي فـي صـورتها الإيجابيـة تقـول: جميع العبارات ذات المعنى يمكن التحقق من صدقها تجريبيا".[77]

---

[76] ـ برتراند رسل:" حكمة الغرب"، ج II، مرجع سابق، ص 305- 306.
[77]ـ إمام عبد الفتاح: " مدخل إلى الميتافيزيقا..." مرجع سابق، ص 183.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و هكـــذا إذن، "لـــو اســـتبعدت جميـــع لغـــوا أو بـــلا معنـــى، لبقيـــت القضـــايا ذات المعنـــى وحـــدها، بوصـــفها لا موضـــوع الوحيـــد الجـــدير بالبحـــث الفلســـفي."[78] و إذا مـــا عـــدنا مـــرة أخـــرى إلـــى أطروحـــة فتجنشـــتين التـــي تعتبـــر الفلســـفة الحقـــة فاعليـــة و نشـــاط، فـــان الفلســـفة بهـــذا المعنـــى، " تتعلـــق بالطريقـــة التـــي نتحـــدث بهـــا عـــن الأشـــياء، وظيفتهـــا هـــي " اســـتخلاص نتـــائج اســـتعمالاتنا اللغويـــة". و هـــذه الوظيفـــة تؤدى عن طريـــق وســـيط هـــو التحليـــل المنطقـــي، و هـــذا بـــدوره يـــتم بصـــياغة التعريفـــات، و هكـــذا نصـــل إلـــى الـــرأي القائـــل إن جميـــع القضـــايا الفلســـفية قضـــايا لغويـــة، و إن للاصـــطلاح هنـــا أهميـــة حاســـمة. فالمبـــادئ المنطقيـــة اصطلاحات لغوية."[79]

[78] ـ رودولف مـتس: الفلسـفة الإنجليزيـة فـي مائـة عـام" ، ترجمـة فـؤاد زكريـا، مراجعـة زكـي نجيـب محمـود، ج II، مؤسسـة سـجل العرب، القاهرة، 1967، ص 389.
[79] ـ المرجع و الموضع نفسه .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



### 3- العقلانية و الدرس الابستيمولوجي المعاصر:

إن متابعة تطور الدرس الايستيمولوجي المعاصر في أهم اتجاهاته لا يقتضي منا تتبع المسارات التي آلت إليها الفلسفة التحليلية، و النهايات التي انتهت إليها الوضعية الجديدة، فذلك، في اعتقادنا، موضوع له مقامات أخرى. إلا أن ذلك لا يمنع من تفحص طبيعة تحولات الدرس الابستيمولوجي في صياغات أخرى مغايرة، ليست هي، بالضرورة، تلك الاتجاهات التحليلية و الوضعية. فبالنسبة للأخيرة مثلا "أدى إخفاق الوضعيين في صياغة مبدأ تحقق مرض إلى إجماع عام بين الفلاسفة أن ما تصوره الوضعيون من نوع متطرف و صارم من التجريبية كان غير قابل للدفاع عنه. فاللغة بما فيها اللغة العلمية، لا تقبل التحقق أمام الملاحظة بأسلوب التوافق المباشر الواحد للواحد؛ إنه من غير المعقول أن تخصص لكل عبارة ملاحظة محكمة و دقيقة، أو مجموعة من الملاحظات من شأنها أن تثبت حقيقتها أو بطلانها اثباتا حاسما ".[80]

طوال عقود من الزمن امتد برنامج الوضعية الجديدة دون توقف لإزالة الميتافيزيقا و تقويضها، و كان موضوع الدراسة و البحث والتنضيد هو مبدأ التحقق نفسه، الذي يعترف الفرد آير بغموضه و عدم دقته قائلا:" هذا مبدأ غامض بعض الشيء، وقد كافحنا طويلا لجعله دقيقا، لكننا لم ننجح تماما".[81]

كان هذا الموقف الذي وصلت إليه الوضعية الجديدة متزامنا أو حتى مسبوقا بنقد شديد لها و للفلسفة التحليلية. و قد جاء ذلك النقد حتى

---

(80) ـ جون كوتنغهام: " العقلانية" ، مرجع سابق، ص 126.
(81) ـ ألفرد أير: " الوضعية المنطقية و تركتها" ، مرجع سابق، ص 249.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



من ذوي القربـــي، إذا مـــا اعتبرنـــا فيلســـوفا ككـ

الفلسفة، رغم أنـــه كـــان شـــديد الانتقـــاد للكثيـــر مـــن تعاليمهـــا و هـــو يقـــول عـــن ذلك ما يلـــي: " جادلـــت ضـــد كـــل صـــور الوضـــعية فـــي ڤيينـــا خـــلال الأعـــوام مـــن 1930 حتـــى 1937 ، وفـــي انجلتـــرا عـــامي 1935-1936 ، وفـــي عـــام 1934 نشـــرت كتـــابي منطـــق الكشـــف العلمـــي، كـــان هـــذا الكتـــاب نقـــدا للوضعية. و لقد كـــان شـــليك و فرانـــك، قائـــدا حلقـــة ڤيينـــا، مـــن التســـامح حتـــى ليقبلا الكتاب في سلســـلة كـــان يحررانهـــا. مـــن بـــين نتـــائج هـــذا التســـامح أن قـــد ظن كل من ألقى نظـــرة ســـريعة علـــى الكتـــاب أننـــي وضـــعي ، ولقـــد نـــتج عـــن ذلـــك تلـــك الأســـطورة الذائعـــة بـــأن بـــوبر و ضـــعي. (...) و رغـــم ذلـــك فأنـــا أبعـــد مـــا يكـــون عـــن الوضـــعية. (...) إننـــي علـــى وجـــه التخصـــيص: مضـــاد لمـــذهب الاســـتقراء ؛ مضـــاد للمـــذهب الحســـي؛ نصـــير لأولويـــة النظـــري و الفرضـــي؛ واقعـــي. إن ابســـتمولوجيتي تعنـــي أن العلـــوم الطبيعيـــة لا تبـــدأ "بقياســـات" و إنمـــا بأفكـــار كبيـــرة، و أن التقـــدم العلمـــي لا يكمـــن فـــي تجميـــع وقـــائع و توضـــيحها، و إنمـــا فـــي أفكـــار ثوريـــة جســـورة ، تنقـــد بعدئـــذ بحـــدة وتُخْتَبَر ".[82]

تجـــدر الإشـــارة، منـــذ الوهلـــة الأولـــى أن فلســـفة كـــارل بـــوبر كانـــت، ربمـــا، الفلســـفة الوحيـــدة التـــي قامـــت بجديـــة وفعاليـــة لمواجهـــة و مناقضـــة الاتجاه التحليلـــي و الوضـــعي الجـــدي. وبـــدت فلســـفة بـــوبر كفلســـفة علـــم تقطـــع مـــع النزعـــة التجريبيـــة فـــي تلـــك الاتجاهـــات، و تحـــاول أن تمـــتح مـــن العقـــل والتجربـــة معـــا، رغـــم أن رفضـــه للاســـتقراء و مبـــدأ " التحقـــق"، قـــد يعطـــي انطباعا قويا أننـــا أمـــام اتجـــاه عقلانـــي خـــالص إلا أن الأمـــر غيـــر ذلـــك تمامـــا،

[82] - كارل بوبر:" بحثا عن عالم أفضل"، ترجمة أحمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996، ص 116-117.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



فكـــارل بـــوبر " لا يمكـــن أن يوضـــع بارتيـــ
الانقسام العقلاني/التجريبي".[83]

والحـــق أنـــه لا يوجـــد مـــذهب رســـمي بســـيط يعـــرف بالعقلانيـــة؛ بـــل هناك عدد مـــن الاتجاهـــات المتداخلـــة التـــي يقـــوي بعضـــها بعضـــا و تؤلـــف مـــا يســـمى عمومـــا التـــراث العقلانـــي، وينتمـــي بـــوبر إلـــى ذلـــك التـــراث بمقـــدار مـــايؤمن بالقـــدرة الإبداعيـــة للـــذهن بمعنـــى مـــا علـــى تجـــاوز الملاحظـــة المباشـــرة فـــي محاولاتهـــا لبلـــوغ الحقيقـــة. و لكنـــه تجريبـــي بمقـــدار مـــايؤمن أن " و ثبـــات الحـــدس الإبـــداعي" هـــذه لا يمكـــن أن توصـــف بأنهـــا إســـهامات حقيقيـــة فـــي العلـــم إلا إذا أمكـــن جعلهـــا تســـبب نتـــائج يمكـــن تقـــديمها إلـــى محكمة الملاحظة التجريبية و اختبارها على التجربة .[84]

إننـــا إزاء موقـــف عقلانـــي جديـــد يـــرفض أي تصـــنيف فـــي هـــذه الخانـــة أو تلـــك، إلا أنـــه موقـــف فلســـفي علمـــي ينحـــو منحـــى عقلانيـــا نقـــديا يختبـــر المعرفـــة العلميـــة بشـــكل مســـتمر كاشـــفا عـــن قابليتهـــا للـــدحض و التكـــذيب، و ليس قابليتها للتحقق.

يقـــول كـــارل بـــوبر فـــي مقدمـــة الطبعـــة الإنجليزيـــة الأولـــى مـــن كتـــاب "منطـــق الكشـــف العلمـــي" ، أي خمســـة و عشـــرون ســـنة بعـــد صـــدور الطبعـــة الأولـــى باللغـــة الألمانيـــة، وهـــي المقدمـــة التـــي يحـــاول فيهـــا مناقشـــة آراء وأفكـــار مدرســـتي التحليـــل اللغـــوي (كمبـــردج و أكســـفورد) علـــى ضـــوء آراءه و أفكـــاره التـــي عرضـــها فـــي كتابـــه " منطـــق الكشـــف العلمـــي" ســـنوات قبـــل ذلـــك. يقـــول: " إن المشـــكل المركـــزي فـــي نظريـــة المعرفـــة (الابســـتيمولوجيا) كان ولا يـــزال نمـــو المعرفـــة. و لكـــي نســـتطيع دراســـة هـــذا النمـــو لا بـــد مـــن

(83) ـ جون كوتنغهام:" العقلانية" ، مرجع سابق، ص 160.
(84) ـ المرجع و الموضع نفسه.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



دراســـة نمـــو العلـــم. ولا أعتقـــد أن مـــن الممكـ بدراســـة الاســـتعمال اللغـــوي أو النظمـــات اللغويـــة، كمـــا أننـــي مســـتعد للاعتـــراف بوجـــود طريقـــة يمكـــن وصـــفها بالطريقـــة الفلســـفية. إلا أن هـــذه الطريقة لا تطبـــع الفلســـفة وحـــدها؛ إنهـــا بـــالأحرى طريقـــة كـــل نقـــاش عقلانـــي و هـــي بالتـــالي طريقـــة العلـــوم الطبيعيـــة بقـــدر مـــا هـــي طريقـــة الفلســـفة. و أعنـــي بهـــا الطريقـــة القائمـــة علـــى صـــياغة المشـــكل بوضـــوح وبـــتفحص مختلـــف الحلـــول المقترحـــة تفحصـــا نقـــادا. لقـــد كتبـــت الكلمـــات " نقـــاش عقلانـــي" و " نقـــاد" بـــالحظ المائـــل لأنـــي أريـــد التأكيـــد علـــى التســـاوي عنـــدي بين الموقف العقلاني و الموقف النقاد"[85].

وهـــو إن كـــان يعتـــرف بـــبعض الفضـــل لمدرســـتي التحليـــل اللغـــوي، فإنـــه بالمقابـــل ينســـف الكثيـــر مـــن أطروحاتهـــا، بـــل أهمهـــا علـــى الإطـــلاق. يقـــول بـــوبر:" كنـــت و لا أزال أؤمـــن بأهميـــة المحللـــين اللغـــويين لا كمعارضـــين فحســـب و إنمـــا كحلفـــاء كـــذلك لأنهـــم، علـــى مـــا يبـــدو، الفلاســـفة الوحيدون تقريبـــا الـــذي يحـــافظون علـــى بعـــض التقاليـــد العقلانيـــة فـــي الفلســـفة. لا يعتقـــد المحللـــون اللغويـــون بوجـــود مشـــاكل فلســـفية حقيقيـــة ويـــرون أن مشـــاكل الفلســـفة ، إن وجـــدت ، هـــي مشـــاكل اســـتعمال الألفـــاظ أو مســـائل معنى الكلمات. أما أنـــا فأعتقـــد بوجـــود مشـــكلة فلســـفية واحـــدة علـــى الأقـــل تهـــم كل ذي فكر وهـــي مشـــكلة الكوســـمولوجيا: مشـــكلة فهـــم العـــالم- بمـــا فـــي ذلـــك فهـــم أنفســـنا و فهـــم معرفتنـــا. (...) و إذا مـــا تخلـــت الفلســـفة و العلـــوم الطبيعيـــة عـــن هـــذه المهمـــة فقـــد فقـــدت قـــدرتها علـــى اجتـــذاب النـــاس إليهـــا، بالنسبة لي علـــى الأقـــل. و أنـــا إن كنـــت أقـــرأن فهـــم اللغـــة ووظائفهـــا جـــزء لا

[85] - كارل بوبر:" منطق البحث العلمي"، ترجمة محمد البغدادي، المنظمة العربية للترجمة : بيروت ، 2006، ص 36.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



يســـتهان بـــه مـــن هـــذه المهمـــة إلا أن مشـــاكلنا اللغوي و لا تقتصر مهمتنا على إزالته".[86]

إن موقـــف كـــارل بـــوبر مـــن اللغـــة و التحليـــل اللغـــوي، يبـــرز بحـــق، و يلخـــص بصـــدق الموقـــف النقـــدي الـــذي يؤســـس لـــه و يعرضـــه فـــي كتـــاب منطـــق الكشـــف (أو البحـــث) العلمـــي. فهـــدف هـــذا الكتـــاب أصـــلا هـــو " نقـــد الوضـــعية المنطقيـــة، و طـــرح البنيـــة المنطقيـــة و الاختباريـــة للنظريـــة العلميـــة بأسلوب يكشف عن حيودات و أخطاء الطرح الوضعي.".[87]

ثـــم إن الموقـــف النقـــدي هـــذا نجـــد لـــه وقعـــا أكبـــر فـــي " رفـــض بـــوبر العقيـــدة التجريبيـــة الســـائدة فـــي " التحققيـــة" Vérification و اقتـــرح أن يحـــل محلهـــا مبـــدأ" إمكانيـــة الـــدحض" Falsifiability– مـــع أنـــه لـــم يعـــده معيـــارا للامـــتلاء بـــالمعنى بـــل مبـــدأ للتمييـــز يفصـــل النظريـــات العلميـــة عـــن العلـــم الزائف و تميز منطق الدحض بلغة التفكير الاستنباطي الصارم".[88]

ويشـــرح بـــوبر مبـــدأ القابليـــة للتكـــذيب La falsifiabilité قـــائلا: " إن اختبار نظرية مـــا، هـــو محاولـــة دائمـــة لأن نعثـــر فيهـــا علـــى نقطـــة الضـــعف. أي النقطة التـــي يمكـــن أن تجعلنـــا نفكـــر بأنهـــا، هنـــا، يمكـــن أن تكـــون خاطئـــة. وهذا ما يسمح بإبعـــاد الكثيـــر مـــن النظريـــات. لكـــن تكـــون نظريـــة مـــا علميـــة يتعـــين أن تكـــون قابلـــة للاختبـــار ، أي أن تعـــرض نفســـها علـــى النقـــد و التكذيب".[89]

---

(86) - المرجع نفسه، ص 35.

(87) - يمنى طريف الخولي:" فلسفة العلم في القرن العشرين.." مرجعه سابق ، ص 337.

(88) - جون كوتنغهام:" العقلانية" ، مرجع سابق، ص 159.

(89) - كارل بوبر في حوار مع مجلة الأكسبريس، فبراير 1982، ترجم الحوار محمد سبيلا ضمن كتاب: "في الفكر المعاصر (حوارات)" ، منشورات ما بعد الحداثة، فاس المغرب 2006، ص 99، و كمثال على ذلك هناك فرضان علميان يمكن تصورهما على أنهما حقائق تجريبية: أ- سرعة الضوء في الفراغ لها القيمة نفسها دائما عند قياسها، بغض النظر عن سرعة المصدر الضوئي نفسه، أو حركة الملاحظ ، ب- لا يمكن قياس السرعات المطلقة، و إنما تتحدد السرعات فقط بالنسبة إلى جسم آخر، هذان الفرضان الأساسيان لنظرية النسبية لأنشتاين يستحيل اثباتهما مباشرة ، لكنهما موجودان بعدد كبير من المحاولات الفاشلة لدحضهما أي أنهما يصمدان أمام كل محاولات التكذيب التي يراها الفيلسوف كارل بوبر مقياسا للنجاح الموقات، هذا فضلا عن أنهما يؤديان إلى استنتاجات هامة يجرى التحقق منها بالتجربة. ...أنظر: سام تريمان: " من الذرة إلى الكوارك نحو ثقافة علمية متقدمة لمواكبة علوم العصر و فلسفاتها، " ترجمة أحمد فؤاد باشا" سلسلة عالم المعرفة، الكويت عدد 327 ماي 2006، ص 13.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



وفـــي مكـــان آخـــر يلخـــص كـــارل بـــ العلميـــة والنقديـــة ومنهاجهـــا قـــائلا:" المعرفـــة العلميـــة بأســـرها فرضـــية أو حدسية افتراضـــية. يتوقـــف نمـــو المعرفـــة ، خصوصـــا المعرفـــة العلميـــة، علـــى التعلم مـــن أخطائنـــا. و مـــا يمكـــن أن نســـميه مـــنهج العلـــم يتوقـــف علـــى الـــتعلم المنتظم من أخطائنـــا. الحجـــج المســـتقاة مـــن الاختبـــارات التجريبيـــة هـــي أقـــوى الحجـــج المســـتخدمة فـــي هـــذ المناقشـــة النقديـــة. التجـــارب تسترشـــد دائمـــا بالنظريـــة. (...) لا نظريـــة قابلـــة للاختبـــار ســـوى النظريـــة التـــي تقـــرأ أو تتضـــمن أن أحـــداثا معينـــة يمكـــن تصـــورها أن تحـــدث فـــي الواقـــع. (...) لا يمكـــن أن تحمـــل أي نظريـــة خبـــرا عـــن العـــالم التجريبـــي مـــا لـــم تـــدخل مـــن حيث المبدأ في صدام مـــع العـــالم التجريبـــي. و هـــذا يعنـــي علـــى وجـــه الدقـــة ، أنهـــا يجـــب أن تكـــون قابلـــة للتفنيـــد. القابليـــة للاختبـــار لهـــا درجـــات: النظريـــة التـــي تقـــرر أكثـــر، و بالتـــالي تضـــطلع بمخـــاطرة أعظـــم، تكـــون أفضـــل فـــي القابلية للاختبار من النظرية التي تقرر النزر اليسير".[90]

و دونمـــا تفصـــيل و إطنـــاب فـــي الحـــديث عـــن عقلانيـــة بـــوبر التـــي نعتهـــا هـــو نفســـه بالنقديـــة ، يمكـــن القـــول أن فلســـفة العلـــم عنـــد كـــارل بـــوبر كانت بمثابـــة ثـــورة حقيقيـــة فـــي مســـار الـــدرس الابســـتيمولوجي المعاصـــر فقـــد فتح ذلـــك التحـــول البـــوبري البـــاب واســـعا أمـــام يابســـة أكثـــر شســـاعة و أكثـــر تنوعا لدراسة تقـــدم و نمـــو العلـــم و تحولاتـــه مـــن منظـــور ، لـــيس فقـــط فلســـفة العلـــم، و لكـــن أيضـــا مـــن منظـــورات أخـــرى مختلفـــة كتـــاريخ العلـــم و منـــاهج العلم، و أخلاق العلم.... الخ.

---

(90) - كارل بوبر :" أسطورة الإطار، في دفاع عن العلم و العقلانية"، تحرير: مارك نوترو، ترجمة : يمنى طريف الخولي ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 292، أبريل/ مايو 2003، ص 121-122-123.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و إذا علمنـــا أن البنـــى الاســـتنباطية فـــي هي التـــي تعطـــي العلـــم معقوليتـــه، فـــي حـــين أن القـــدرة علـــى إحـــداث نتـــائج تتعارض مـــع التجربـــة الفعليـــة هـــي التـــي تعطـــي العلـــم منزلتـــه الموضـــوعية. فإنه في المقابل حـــدث فـــي العقـــدين الأخيـــرين مـــن القـــرن العشـــرين ثـــورة فـــي فلســـفة العلـــم ألقـــت شـــكا كبيـــرا علـــى معقوليـــة المشـــروع العلمـــي، و علـــى مزاعمه الموضـــوعية علـــى حـــد ســـواء.[91] و رغـــم أن مثـــل تلـــك الثـــورة هـــي في شـــكلها و إحـــدى مضـــامينها خارجـــة مـــن معطـــف كـــارل بـــوبر وعقلانيتـــه العلمية و النقدية ، إلا أنهـــا لـــم تكـــن دائمـــا تواصـــلا و اســـتمرارا لهـــا، بـــل هـــي فـــي إحـــدى تحولاتهـــا المتطرفـــة أخـــذت شـــكلا " عقلانيـــا فوضـــويا" بـــل حتـــى أنها نزعـــت نحـــو اللامعقـــول ولعـــل أبـــرز أســـماء هـــذا التحـــول هـــو تومـــاس كوهن و بول فايربنـــد، بـــل وحتـــى إمـــري لاكـــاتوس، و هـــم جميعـــا كـــانوا مـــن تلامـــذة كـــارل بـــوبر. و يجـــب القـــول أن هنـــاك مجموعـــة مـــن " العلاقـــات المتشـــابكة تســـاهم فـــي إبـــراز هـــذا الربـــاعي الابســـتيمولوجي العظـــيم: كـــارل بـــوبر و تومـــاس كـــون و إمـــري لاكـــاتوس و بـــاول فييرآبنـــد، كفريـــق عمـــل متكامل ، علـــى الـــرغم مـــن خلافـــات جمـــة فـــي تفاصـــيل فلســـفاتهم (...). إنهـــم الأربعـــة الكبـــار، ممثلـــو الصـــف الأول للابســـتيمولوجيا، للنظـــرة إلـــى العلـــم مـــن الـــداخل لعقلانيـــة تواصـــل تقـــدمها. و قـــد شـــكلوا بصـــفة أساســـية معـــالم فلســـفة العلـــم فـــي المرحلـــة التاليـــة لســـيادة الوضـــعية المنطقيـــة، لا ســـيما فـــي الثلـــث الأخيـــر مـــن القـــرن العشـــرين، تحـــررت فيهـــا فلســـفة العلـــم مـــن القصـــورات و الحيـــودات الوضـــعية، وأصـــبحت أكثـــر تكـــاملا ، فأصـــبح العلـــم ذاتـــه ظـــاهرة إنســـانية حـــين انفتحـــت البوابـــة أمـــام الـــوعي التـــاريخي ليحتـــل موقعه بعد طـــول غيـــاب. و الـــوعي التـــاريخي بـــدوره يعنـــي الـــوعي بالظـــاهرة

[91] - جون كوتنغهام: " العقلانية"، مرجع سابق، ص 161.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



العلميـــة لـــيس كمحـــض نســـق منجـــز و منتـ
منطقية محددة، بـــل أيضـــا الـــوعي بـــالعلم كفاعليـــة متغيـــرة و متناميـــة ومتقدمـــة عبـــر الزمـــان، ممـــا يعنـــي أن المتغيـــرات الزمانيـــة السوسيوســـيكولوجية، أي العوامـــل الخارجيـــة للنســـق العلمـــي، هـــي قـــوة فاعلـــة و نـــاجزة لا بـــد مـــن أن تؤخذ في الاعتبار".[92]

و إذا أخـــذنا تومـــاس كـــوهن و بـــول فايربنـــد، فقـــد اتبـــع كلاهمـــا كـــارل بـــوبر فـــي رفضـــه الأنمـــوذج التجريبـــي للعـــالم بوصـــفه جمعـــا للوقـــائع أو تكديســـا تـــدريجيا للمعرفـــة مـــن خـــلال الملاحظـــة و التجربـــة. و لكنهمـــا رفضـــا المفهـــوم البـــوبري القائـــل بـــأن النظريـــات يمكـــن دحضـــها بتعريضـــها لخطـــر التجربـــة. و راح كـــوهن يحـــاج أنـــه مـــا إن يصـــبح لنظريـــة تعليليـــة معينـــة أو أنموذج تفسـيري معـين السـيطرة عنـد جماعـة علميـة حتـى يـرفض العلمـاء السـماح بـأن تدحضـها النتـائج الشـاذة. فالنمـاذج السـائدة أو " البارادايمـات" التـي تسـيطر علـى فكـر الجماعـة العلميـة تتمتـع بنـوع مـن الحمايـة الخاصة.[93]

أما بـــول فايربنـــد فهـــو يهـــاجم هجومـــا عنيفـــا العقـــل و العلـــم و العقلانيـــة الغربية و يعبر عـن ذلـك بوضـوح قـوي و مفـرط قـائلا: " وداعـا يـا عقـل" [94] و العبارة هي عنـوان لواحـد مـن كتبـه. و هـو يهـاجم مفهـوم العقـل كمـا متـداول فـي الفلسـفة العقلانيـة وفـي العلـوم التجريبيـة . و مـن خـلال مهاجمته للعقل يهـاجم فـي نفـس الوقـت فكـرة الموضـوعية التـي تقـوم عليهـا كل العلـوم الحقـة، و فكـرة الشـمولية التـي تضـمن لقـوانين العلـم شـرعيتها، و فكـرة الاطـراد التـي تعتبـر أسـاس المعرفـة العلميـة. و فـي مقابـل هـذا

(92) - يمنى طريف الخولي: " فلسفة العلم في القرن العشرين" ، مرجع سابق، ص 442.
(93) - جون كوتنغهام: " العقلانية" ، مرجع سابق، ص 161.
(94) - Paul Feyerabend : « A Dieu la raison » traduit de l'Anglais par : Baudouin Jurdant, Ed. du seuil . Paris 1989.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



يحـــاول فايربنـــد الـــدفاع عـــن النزعـــة النســـ وذلك بدفاعه عـــن نســـبية المعرفـــة و عـــن تعدديـــة الثقافـــات. انـــه ينتقـــد مفهـــوم العقـــل باعتبـــاره أساســـا لحضـــارة همشـــت القـــيم الإنســـانية، هـــي الحضـــارة الغربيـــة القائمـــة علـــى أســـاس تقنـــي- علمـــي يقـــوم هـــو بـــدوره علـــى أســـس عقلانية.

و هو يرجـــع تـــاريخ نشـــأة العقلانيـــة إلـــى العهـــد اليونـــاني و خاصـــة مـــع أفلاطـــون وأرســـطو. أي فـــي الوقـــت الـــذي تـــم فيـــه إبـــدال الحقيقـــة بمنـــاهج للكشـــف عـــن الحقيقـــة. ومـــن ثمـــة نشـــأت فكـــرة الموضـــوعية. إن الشـــخص يصـــير عقلانيـــا متـــى اســـتعمل هـــذه المنـــاهج و قبـــل نتائجهـــا. و فايربنـــد لا ينتقـــد فقـــط الصـــور الكلاســـيكية للعقلانيـــة، بـــل أيضـــا العقلانيـــة النقديـــة التـــي طورها أستاذه كارل بوبر.[95]

و رغم ما يقال عـــن فلســـفة بـــول فايربنـــد مـــن أنـــه "عقلانيـــة فوضـــوية"، أو هـــي فلســـفة مليئـــة بالتنـــاقض ... الـــخ. إلا أن فايربنـــد يمثـــل ظـــاهرة فريـــدة حقـــا فـــي فلســـفة العلـــم و الفلســـفة بأســـرها و الحضـــارة الغربيـــة ... و مهمـــا أثـــارت جنوحاتـــه الشـــاذة مـــن دهشـــة، و مهمـــا تكشـــف كتاباتـــه المندفعـــة عـــن تفاصـــيل يصـــعب قبولهـــا – بـــل يصـــعب التوفيـــق بينهـــا- و تثيـــر جـــدلا لا ينتهي، فإنه يظل من أهم شخوص فلسفة العلم في مرحلته الراهنة.

و يكفـــي أنـــه وضـــع المســـمار الأخيـــر فـــي النظـــرة اللاتاريخيـــة للعلـــم، وبلغ الوعي التاريخي بالعلم معه انطلاقة لا تحدها حدود.[96]

و بعيـــد عـــن النظـــرة الوضـــعية للعلـــم، و حتـــى النظـــرة العقلانيـــة النقدية كما كرس لهـــا كـــارل بـــوبر، فـــإن النظـــرة التاريخيـــة للعلـــم كمـــا كـــرس

---

(95) - عبد السلام بن ميس: " قضايا في الابستيمولوجيا و المنطق"، مرجع سابق، ص 121- 123.
(96) - يمنى طريف الخولي:" فلسفة العلم في القرن العشرين" ، مرجع سابق، ص 436.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



لهـــا تومـــاس كـــوهن ، كانـــت بمثابـــة الاســـتح
العلمـــي و الفلســـفي و لا يـــزال كـــذلك مـــن خـــلال كتـــاب " بنيـــة الثـــورات العلمية" .[97]

" و يمكـــن إيجـــاز تصـــور تـــومس كـــون لتـــاريخ العلـــم و لتقـــدم الأفكـــار العلميـــة فـــي الترســـيمة التاليـــة : فـــي الممارســـة العلميـــة لا يتعامـــل البـــاحثون مع الظواهر و هـــو متحللـــون مـــن كـــل قيـــد ، بـــل إنهـــم يرزحـــون تحـــت نيـــر رؤى يفرضـــها العلـــم الســـوي القـــائم ، فتغـــدو بمثابـــة مظلـــة نظريـــة يســـتظلون بهـــا و يســـتلهمون منهـــا نمـــاذجهم التفســـيرية . و تتشـــكل هـــذه المظلـــة، أي البـــارادايم مـــن مجمـــوع المكتشـــفات العلميـــة والمكتســـبات التـــي يلتـــئم حولهـــا كافـــة العلمـــاء و تحظـــى بإجمـــاعهم فتحـــدد للجماعـــة العلميـــة أي لجماعـــة الباحثين نوعية الحلول و المشاكل لفترة من الفترات.

فيتكـــرس تقليـــد علمـــي هـــو تقليـــد العلـــم الســـوي الـــذي تتعاقـــب عليـــه أجيال من المختصـــين إلـــى أن تظهـــر نقائصـــه فتـــتم الإطاحـــة بـــه ليظهـــر تقليـــد جديد مكانه تكرسه مظلة نظرية جديدة أو بارادايم جديد".[98]

و يعتبـــر صـــدور كتـــاب بنيـــة الثـــورات العلميـــة حـــدثا بـــارزا ، بـــالنظر إلـــى وقعـــه علـــى الفكـــر الابســـتيمولوجي ذي الماضـــي التجريبـــي و الوضـــعي بالخصـــوص. إذ ركـــز المنتمـــون إلـــى هـــذين التيـــارين، المتـــداخلين، علـــى دور الملاحظة و التجربـــة و المنطـــق الصـــوري فـــي نمـــو المعـــارف العلميـــة وتقـــدم الفهـــم؛ بينمـــا أتـــى تومـــاس كـــون بتحليـــل ينظـــر إلـــى العلـــم كفاعليـــة لأفـــراد منضـــوين فـــي جماعـــة علميـــة و مـــؤطرين فـــي مؤسســـة ذات قـــوانين أو أعـــراف تنظيميـــة و تشـــتغل الجماعـــة تحـــت مظلـــة مجموعـــة مـــن الانتمـــاءات

---

[97] ـ توماس كون:" بنية الثورات العلمية"، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، ديسمبر 1992.
[98] ـ سالم يفوت:" سلطة المعرفة" دار الأمان ، الرباط، 2005، ص 43.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



المذهبيـــة و المؤسســـية؛ و ألـــح علـــى أن لا د
فـــي الممارســـة العلميـــة، كمـــا أكـــد علـــى أن التجريـــب بالـــذات يخضـــع لتلـــك المذهبية السائدة، و ينطبع بمقوماتها الإدراكية.(99)

و يلخـــص آلان شـــالمرز (ALAN.Chalmers) نظريـــة تـــومس كون، موضـــحا الطـــابع التـــاريخي لتقـــدم العلـــم ضـــمن صـــيرورة لا نهايـــة لهـــا، قـــائلا: " بإمكاننـــا أن نختصـــر تصـــور كـــوهن أو نظرتـــه إلـــى الكيفيـــة التـــي يتقدم بها علم من العلـــوم، فـــي عمليـــة لا نهايـــة لهـــا و هـــي: مـــا قبـــل- العلـــم- علـــم ســـوي- أزمـــة- ثـــورة- علـــم ســـوي جديـــد- أزمـــة جديـــدة. ينتهـــي مـــا يسبق علم ما مـــن نشـــاط غيـــر مـــنظم و متعـــدد الأشـــكال ، إلـــى اكتســـاب بنيـــة و اتخـــاذ وجهـــة محـــددة، عنـــدما يـــتم تبنـــي نمـــوذج علمـــي مـــا مـــن طـــرف جماعة علميـــة مـــا. والنمـــوذج العلمـــي يكـــون مصـــنوعا مـــن فرضـــيات نظريـــة عامـــة، و مـــن قـــوانين وتقنيـــات ضـــرورية لتطبيـــق هـــذا النمـــوذج، يتبناهـــا أعضاء جماعة علمية معينة".(100)

إن الدراســـة التاريخيـــة للعلـــم، أو لنقـــل تـــاريخ العلـــم كموضـــوع جديـــد، أعطـــى للـــدرس الابســـتمولوجي المعاصـــر رونقـــا جديـــدا جعلـــه يتميـــز ، بـــل يختلف شـــيئا فشـــيئا عـــن الطـــابع و المظهـــر الوضـــعي الـــذي طبعـــه لســـنوات. و لعـــل الإنجـــاز الأكبـــر الـــذي يمكـــن أن يعـــزى لتومـــاس كـــوهن خاصـــة ، و بدرجة أقـــل فايربنـــد و لاكـــاتوس، هـــو هـــذا بالـــذات، فقـــد " تبـــين للمهتمـــين بالابســـتيمولوجيا أن هـــذه الأخيـــرة تظـــل خطابـــا بعيـــدا عـــن حقيقـــة الممارســـة الفعلية للعلم، ما لم تستند إلى الدراسة التاريخية و الميدانية".(101)

---

(99) - أنظر: بناصر البعزاتي:" مفهوم الإبدال (الباراديم)" ضمن موقف جماعي" المفاهيم تكونها و سيرورتها"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سنة 2000، ص 47.

(100) - آلان شالمرز: " نظريات العلم" ترجمة :الحسين سحبان و فؤاد الصفا، دار توبقال، المغرب، 1991، ص 95.

(101) - بناصر البعزاتي:" الاستدلال و البناء، بحث في خصائص العقلية العلمية" ، دار الأمان- المركز الثقافي العربي، الرباط، الدار البيضاء، 1999، ص 16.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



إن هـــذه النظـــرة التاريخيـــة للعلـــم الابستيمولوجي ينحـو منحـى جديـدا تمامـا و يقطـع مـع الكثيـر مـن النظـرات الدوغمائيـة وهـو الأمـر الـذي جعـل فايربانـد يؤكـد علـى أن العلـم لـيس "نظامـا معرفيـا مقدسـا يسـتلزم الكفـر بكـل مـا عـداه أو خالفـه. إنـه نظـام عقلاني وجب أن ينمو و يزدهر وسط الأنظمة المعرفية الأخرى".[102]

إن إضـفاء طـابع التقـدم و النمـو، أي الطـابع التـاريخي، هـو نفـس الموقـف الـذي نلمسـه عنـد إمـري لاكـاتوس، فـالعلم عنـده " يتقـدم بفضـل السباق بـين بـرامج البحـث العلمـي، و يكـون برنـامج علمـي مـا أفضـل مـن آخر منافس له، إذا كان يكتسي طابعا تقدميا أكثر".[103]

هكـذا، إذن، سـيبدو جليـا و واضـحا أن الـدرس الابسـتيمولوجي سيسـتوعب تمامـا الـدرس التـاريخي ، و سـيبني عليـه ، و هـذا مـا سيتجسـد بوضوح في تحـول العلمـاء وفلاسـفة العلـم عـن النزعـة المطلقيـة والوضـعية تحديـدا. نحـو النزعـة النسـبية فـي العلـم وفلسـفة العلـم، و هكـذا "واصـلوا المسـار البـوبري – الكـوني الضـد وضـعي– ليـدعموا المرحلـة التاليـة مـن فلسـفة العلـم، المتحـررة مـن قصـورات الوضـعية المنطقيـة وتطرفاتهـا وحيوداتهـا التـي ترتـد إلـى حـد كبيـر لنزعـة الوضـعية اللاتاريخيـة ، ومؤكـدين لمنطـق الكشـف و النمـاء و التغيـر و التقـدم و الثـورة، لا مكرسـين لمنطـق تبريـر المعرفـة و إثبـات الصـحة، و قـد تـأدى هـذا إلـى رفـع لـواء النسـبية، أو بـالأحرى النسـباوية التاريخيـة للمعرفـة العلميـة ، لا مطلقيتهـا المنطقيـة، و النظـرة التكامليـة لفلسـفتها لا المحـض ابسـتيمولوجية، تأكيدا لأنسنة الظاهرة العلمية".[104]

---

(102) - يمنى الخولي:" فلسفة العلم..." ،مرجع سابق، ص 439.
(103) - آلان شالمرز:" نظريات العلم" ،مرجع سابق، ص 108.
(104) - يمنى الخولي: " فلسفة العلم..." مرجع سابق، ص 436.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



## 4- الفلسفة و الفيزياء:

شـكلت الثـورة العلميـة فـي النصـف الثـاني مـن القـرن التاسـع عشـر وبـدايات القـرن العشـرين، خاصـة فـي مجـال الفيزيـاء تحـولا رهيبـا فـي مسارات العلم و الفلسـفة معـا، و مثـل ذلـك بلغـة العلـم تحـولا مـن "الفيزيـاء الكلاسيكية" إلـى " الفيزيـاء الحديثـة"، فـالأولى هـي " الفيزيـاء التـي لا تنطبـق قوانينهـا و مفاهيمهـا إلـى علـى المسـتوى الماكروسـكوبي مسـتوى الحيـاة العاديـة التـي ألفناهـا نحـن البشـر. أمـا علـى المسـتويين الآخـرين مسـتوى العـالم الأكبـر، عـالم الفضـاء و السـرعات الكبيـرة المقاربـة لسـرعة الضـوء، ومسـتوى العـالم الأصـغر، مسـتوى الجسـيمات الأوليـة كالالكترونـات وغيرهـا، فـإن هنـاك قـوانين خاصـة، و تصـورات جديـدة تشـكل فـي مجموعهـا مـا يسـمى بالفيزيـاء الحديثـة التـي تحتـل فيهـا نظريـة النسـبية ونظرية الكوانتا موقعا أساسيا ".[105]

لقـد ارتكـزت الفيزيـاء الكلاسـيكية، منـذ أول نشـأتها مـع غـاليلو ونيوتن ، علـى جملـة مـن المفـاهيم التـي اسـتوحيت فـي غالـب الأحيـان مـن الحـدس الحسـي و القيـاس البشـري العـادي، و التـي و إن صـلحت فـي ميـدان العـالم الماكروسـكوبي فإنهـا لا تصـلح فيمـا يتجاوزهـا كبـرا وصـغرا... و هكـذا فـان الفـرق بـين نتـائج التصـورات الجديـدة للفيزيـاء الحديثـة و التصـورات القديمـة للفيزيـاء الكلاسـيكية هـو مـن الضـالة إلـى درجة أنـه لا يـؤثر فـي الظـواهر التـي هـي مـن المسـتوى العـادي، و لكنـه يصبح ذا مفعول كبير عنـدما يتعلـق الأمـر بـالظواهر التـي تنتمـي إلـى العـالم

(105) ـ محمد عابد الجابري: " مدخل إلى فلسفة العلوم. المنهاج التجريبي و تطور الفكر العلمي" ج II، دار الطليعة، بيروت، 1982، ص 115.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



المتنـــاهي فـــي الصـــغر، ( الـــذرة و الجســـيمات الكبر، عالم الفضاء وسرعة الضوء .[106]

و تجـــدر الإشـــارة هاهنـــا، و نحـــن بصـــدد الحـــديث عـــن التطـــور الـــذي طرأ على العلم الطبيعـــي (الفيزيـــاء) ، فـــإن الغـــرض لـــيس هـــو رصـــد حيثيـــات ذلـــك التطـــور وتحولاتـــه بـــالمعنى التقنـــي للكلمـــة، فـــلا المهمـــة تســـتدعي ذلـــك ولا التخصـــص يســـمح بـــه. بـــل الغـــرض مـــن وراء الحـــديث عـــن العلـــم الفيزيـــائي هـــو بالضـــبط فـــي علاقتـــه بـــالموقف الفلســـفي الابســـتيمولوجي ، و تـــداعيات الإنجـــاز العلمـــي و مـــا يطرحـــه و يفرضـــه مـــن إكراهـــات نظريـــة و غيرها علـــى الموقـــف الفلســـفي، هـــو مـــا يهمنـــا بالدرجـــة الأولـــى، كدارســـي فلســـفة. و لا يجانـــب برتراند رســـل الصـــواب عنـــدما يقـــول: إن" متابعـــة البحـــث العلمـــي فـــي ميـــدان بعينـــه لـــيس هـــو و الفلســـفة شـــيئا واحـــدا. و لكـــن العلم أحـــد مصـــادر التفكيـــر الفلســـفي، و حـــين نبحـــث بوجـــه عـــام فـــي معنـــى "العلمية" نخوض مشـــكلة فلســـفية. فدراســـة قواعـــد المـــنهج العلمـــي هـــي دراســـة فلســـفية، كمـــا أن مـــن المشـــكلات التـــي شـــغلت انتبـــاه الفلاســـفة علـــى الـــدوام، محاولـــة تقـــديم عـــرض للعـــالم فـــي ســـماته العامـــة. ولكـــن ينبغـــي علينـــا أن نحرص هنا علـــى التمييـــز بـــين أمـــرين: فلـــيس مـــن أهـــداف الدراســـة الفلســـفية أن تقدم وصـــفا للوقـــائع علـــى طريقـــة العلـــم. (...) أمـــا الشـــيء الـــذي تســـتطيع الفلسفة تقديمه فهـــو طريقـــة فـــي النظـــر إلـــى نتـــائج البحـــث التجريبـــي، وإطـــار لجمع الكشوف العلمية وفقا لنظام من نوع معين. ".[107]

و حتى إن بـــدا فـــي كـــلام رســـل نزعـــة تجريبيـــة و حتـــى وضـــعية، فـــإن الفحـــوى يـــوجز بحـــق قصـــة الـــدرس الابســـتيمولوجي و متطلباتـــه، لا بـــل

---

(106) - المرجع و الموضع نفسه.

(107) - برتراند رسل: " حكمة الغرب" ج II، مرجع سابق، ص 316- 317.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



يجعلنا نعطي للفلسفة مـــا للفلســـفة و للعلـــم مـــا لـ
العلاقـــة الجدليـــة و ذلـــك الخـــيط الرفيـــع الـــذي يخترقهمـــا معـــا أي الفلســـفة والعلـــم. و هـــاهو ألبـــرت أنشـــتين يخبرنـــا عـــن تلـــك العلاقـــة قـــائلا : " تـــؤدي نتائج البحث العلمي فـــي كثيـــر مـــن الأحيـــان إلـــى تغييـــر فـــي النظـــرة الفلســـفية لمسائل تمتد إلى أبعد من مجال العلـــم الضـــيق . مـــا هـــو هـــدف العلـــم؟ مـــا هـــو المطلوب مـــن نظريـــة تحـــاول وصـــف الكـــون؟ رغـــم أن هـــذه الأســـئلة تتعـــدى حدود علـــم الطبيعـــة [الفيزيـــاء] ، فـــإن لهـــا علاقـــة قويـــة بـــه و ذلـــك لأن العلـــم هـــو الســـبب فـــي نشـــأتها. يجـــب أن تعمـــم النتـــائج العلميـــة فلســـفيا. (...) و تؤدي الثـــورات الناجحـــة علـــى المبـــادئ المســـلم بهـــا إلـــى تطـــورات مختلفـــة تمامـــا و غيـــر منتظـــرة . و تصـــبح هـــذه التطـــورات الجديـــدة منبعـــا لوجهـــات نظر فلسفية جديدة ."[108]

هـــذا هـــو مـــا ينطبـــق بالضـــبط علـــى العلاقـــة بـــين الفلســـفة و الفيزيـــاء، فمـــثلا " لـــم يكـــن مـــن نتـــائج تقـــدم العلـــم المعاصـــر، لاســـيما الفيزيـــاء، تطـــور معرفتنـــا بالمـــادة و تقـــدمها، بـــل وأيضـــا إعـــادة النظـــر فـــي " المطلقـــات"، أي في كل ما كـــان ينظـــر إليـــه علـــى أنـــه أولـــي وضـــروري ، أو مســـلمة لا حاجـــة إلـــى التســـاؤل حـــول صـــلاحيتها. إنهـــا إعـــادة نظـــر شـــملت الأســـس النظريـــة للفيزيـــاء الكلاســـيكية و طرحـــت ضـــرورة و راهنيـــة اعتبـــارات نظريـــة جديـــدة قادرة على أن تستوعب الفكر العلمي الجديد".[109]

هكـــذا ، إذن، ومـــع نهايـــة النصـــف الثـــاني مـــن القـــرن التاســـع عشـــر، أصـــبحت الفيزيـــاء أمـــام مشـــهد مثيـــر ومأســـاوي فـــي آن واحـــد، إنـــه مشـــهد "إنهيار المطلقـــات" الواحـــدة تلـــو الأخـــرى. و هـــو مظهـــر للتغيـــر العميـــق الـــذي

---

(108) - ألبرت أينشتين- ليوبولد إنفلد: " تطور علم الطبيعة.." ترجمة محمد المادي و عظيمة عاشور، مراجعة محمد مرسي أحمد، مكتبة الانجلو المصرية، [ د ت]، ص 39.

(109) - عبد السلام بنعبد العالي- سالم يفوت:" درس الابستيمولوجيا" دار توبقال، المغرب، 1985، ص 151.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



أصاب هذا العلـم، فخلخـل أسسـه و بـدلها أحيـ تزعزعـت المألوفـات العلميـة و الفلسـفية و تحطمـت المفـاهيم التـي تجمـدت... لتكـون سـندا معرفيـا يرجـع إليـه و يسـتند بـه فـي إثبـات "بـداهات" المـادة و الماديـة و الموضـوعية و الحتميـة و العقـل و العقلانيـة والمكان و الزمان مع إضفاء صورة المطلقية عليها.[110]

و مـع نهايـة القـرن التاسـع عشـر، و بدايـة القـرن العشـرين، ستسـجل بدايـة زوال و انمحـاء تلـك التصـورات، نتيجـة تطـور العلـم المعاصـر خصوصـا مـع النظريـة النسـبية و الفيزيـاء الكوانطيـة. فهمـا نظريتـان طرحتـا إشـكالية جديـدة، وجـد العلـم نفسـه أمامهـا ملزمـا بـأن يغيـر مـن اعتباراتـه النظريـة و يسـلك دروبـا و سـبلا غيـر معهـودة ولا مألوفـة... ورغـم الاخـتلاف الموجـود بـين النظـريتين (النسـبية و الكوانطيـة) مـن حيـث أن أولاهما تهـتم بدراسـة العـالم المرئـي أو العـالم الكبيـر ممـثلا فـي الأجسـام الأرضـية والكونيـة بينمـا تناولـت الثانيـة بالـدرس العـالم الميكروسـكوبي الدقيق ممثلا فـي الـذرة وجزئياتهـا، فـإن كـلا منهمـا أفـادت الأخـرى، و ثمـة تسليم متبادل من طرف كل منهما بمسلمات و منطلقات الأخرى.[111]

و دون الـدخول فـي تفاصـيل هـاتين النظـريتين (الكـوانتم و النسـبية)، فـإن الـدرس الابسـتيمولوجي المعاصـر كـان مشـروطا و مقرونـا و مرتبطـا حتـى النخـاع بنتـائج هـاتين النظـريتين . ولمـا كانـت الفلسـفة فـي إحـدى معانيهـا و تعريفاتهـا هـي النظـرة إلـى الكـون و تفسـير الكوسـموس، فـإن تـداعيات تلـك النظـريتين عليهـا كانـت قويـة و حاسـمة. و يمكـن القـول بسـهولة أن حقبـة هـاتين النظـريتين (الثلـث الأول مـن القـرن العشـرين)

(110) - المرجع و الموضع نفسه.
(111) - المرجع نفسه، ص 152.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



كانـــت " حقبـــة فريـــدة فـــي توهجهـــا و تعـــد مـ
تاريخ العلم و فـــي ملحمـــة العقـــل البشـــري بأســـرها. لـــم تكـــن هـــذه المنجـــزات مجـــرد إضـــافات تتـــراكم فـــوق مـــا ســـبق ، بـــل هـــي تفـــويض لـــدعائم ارتكـــز عليهـــا العلـــم ثلاثـــة قـــرون أو يزيـــد، و شـــق لطريـــق جديـــد، فحـــق اعتبـــار ثـــورتي الكـــوانتم و النســـبية مـــن أعظـــم الثـــورات التـــي أحرزهـــا الإنســـان وخطوة تقدمية جريئة وواسعة".(112)

و تجـــدر الإشـــارة إلـــى أهـــم مـــا علمتنـــا إيـــاه الفيزيـــاء الحديثـــة، بعكـــس الفيزياء الكلاســـيكية ، هـــو ألا ننظـــر إلـــى النظريـــة العلميـــة و مـــا يتفـــرع عنهـــا مـــن موقـــف فلســـفي، نظـــرة مطلقـــة ، و ألا نضـــفي علـــى الظـــواهر صـــفة الحتميـــة ، وفـــي هـــذا المعنـــى يقـــول الفيزيـــائي و الفيلســـوف الألمـــاني ڤيرنرهـــايزنبرج (Werner Heisenberg) "إذا مـــا كانـــت نظريـــة النســـبية قد عالجت بعـــض الغمـــوض فـــي مفهـــوم الـــزمن، و إذا مـــا كانـــت نظريـــة الكـــم [الكوانتم] قـــد عالجـــت بعـــض الغمـــوض فـــي مفهـــوم المـــادة فإننـــا لا نشـــك فـــي أن التطـــور العلمـــي فـــي المســـتقبل ســـيحتم مراجعـــات جديـــدة و فـــي أن المفاهيم التـــي نســـتعملها اليـــوم ســـيثبت أنهـــا محـــدودة التطبيـــق بالنســـبة لمعنـــى لم يعرف بعد".(113)

و مـــع ذلـــك فإننـــا إذا مـــا حاولنـــا ملامســـة نتـــائج الـــدرس الفلســـفي لنظرية النســـبية مـــثلا، فـــإن أهميتهـــا وجـــدتها تكمـــن فـــي أنهـــا احتجـــاج علـــى الموقـــف الطبيعـــي "مـــن حيـــث هـــو موقـــف الإنســـان فـــي حياتـــه العمليـــة المعتادة، حـــين ينظـــر إلـــى العـــالم علـــى أن فيـــه " أشـــياء" ، و حـــين يعـــد هـــذه الأشـــياء ذات وجـــود مســـتقل خـــارج عنـــه،(...) [وبعكـــس] الموقـــف العلمـــي

(112) ـ يمنى الخولي: " فلسفة العلم في القرن العشرين" مرجع سابق، ص 224.
(113) ـ ڤيرنرز هايزنبرج: " المشاكل الفلسفية للعلوم النووية" ترجمة أحمد مستجير، مراجعة محمد القادي، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، 1973، ص 42.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



[الـــذي] يبحـــث عـــن أوجـــه كامنـــة مـــن ور المعتـــاد"[114]. و هـــي بهـــذا المعنـــى تـــرفض (النظريـــة النســـبية) أن يظـــل العلـــم امتـــدادا للموقـــف الطبيعـــي، لأن الفكـــر العلمـــي ملـــزم بـــأن يباغـــث الأشـــياء ليوقظها مـــن ســـيرها العـــادي والطبيعـــي. والنســـبية تفعـــل ذلـــك عنـــدما تقطـــع كـــل ارتبـــاط بالعـــادات الفكريـــة المألوفـــة و تحتـــاط مـــن تعـــاليم الخبـــرة و الحواس. النســـبية، نظريـــة هاجســـها الأساســـي هـــو البحـــث عـــن العلاقـــة خلـــف الموضـــوعات. و أروع مثـــال لـــذلك ، هـــو دمـــج المكـــان و الزمـــان فـــي مركب واحد دمجـــا يعـــارض كيفيتنـــا فـــي تمثـــل الأشـــياء و التعامـــل معهـــا، كمـــا يصـــدم خيالنـــا: فقـــد تعودنـــا ألا نحيـــا الزمـــان إلا بتجاهـــل المكـــان، و ألا نـــدرك المكـــان إلا بوقـــف انســـياب الزمـــان و جريانـــه. أمـــا المكـــان – الزمـــان أو الزمكـــان ، فـــلا يمكـــن إدراكـــه أو تمثلـــه إلا كعلاقـــة جبريـــة، باعتبـــاره ظـــاهرة رياضية بالأساس.[115]

إن هـــذا الموقـــف العلمـــي و الفلســـفي الجديـــد الـــذي تفرضـــه الفيزيـــاء الحديثـــة ، والنســـبية بوجـــه خـــاص، و مـــا يحملـــه مـــن معـــاني و دلالات الاحتجـــاج و معارضـــة الموقـــف الطبيعـــي، هـــو مـــا يعبـــر عنـــه برتراندراســـل بأسلوب شيق و عميق فـــي مكـــان آخـــر قـــائلا : "مـــن الحقـــائق الغريبـــة – التـــي ليست نظرية النسبية مثلهـــا الوحيـــد– أنـــه كلمـــا تقـــدم التفكيـــر، فـــإن دعـــواه فـــي القـــدرة علـــى إثبـــات الحقـــائق تضـــعف، و تضـــعف. وكـــان مـــن المعتقـــد عـــادة أن المنطـــق يعلمنـــا كيـــف نجـــري الاســـتنتاجات ، و لكنـــه يعلمنـــا الآن، كيـــف لا نجـــري الاســـتنتاجات. والحيوانـــات والأطفـــال يميلـــون مـــيلا رهيبـــا إلـــى الاســـتنتاج: فالحصـــان يـــدهش دهشـــة لا حـــد لهـــا إذا اســـتدرت بهـــا اســـتدارة

(114) ـ أنظر بالتفصيل عن الموقف الطبيعي كتاب فؤاد زكريا:"نظرية المعرفة" ، مرجع سابق، ص 51.
(115) ـ عبد السلام بنعبد العالي- سالم يفوت: " درس الابستيمولوجيا"، مرجع سابق، ص 183.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



غيـــر مألوفـــة. وحـــين بـــدأ النـــاس فـــي التفكير التي اســـتخرجوها دون تفكيـــر فـــي عصـــورهم المبكـــرة. و قـــد نـــتج قـــدر كبيـــر من الفلســـفة الرديئـــة و العلـــم الـــرديء عـــن هـــذا النـــزوع. والمبـــادئ العظمـــى مثل " تجـــانس الطبيعـــة" و قـــانون " الســـببية الكليـــة" و مـــا إلـــى ذلـــك، مـــاهي إلا محاولات لتـــدعيم اعتقادنـــا فـــي أن مـــا حـــدث كثيـــرا مـــن قبـــل ســـيحدث مـــرة أخرى، و هذا الاعتقاد لـــيس أمـــتن فـــي الأســـاس الـــذي يقـــوم عليـــه مـــن اعتقـــاد الحصـــان فـــي أنـــك ســـوف تـــدور الـــدورة التـــي تأخـــذها عـــادة. و لـــيس مـــن اليسير أن نـــرى مـــا يحـــل محـــل هـــذه المبـــادئ الزائفـــة فـــي تطبيـــق العلـــم، و لكن ربمـــا أعطتنـــا نظريـــة النســـبية لمحـــة عـــن نـــوع الشـــيء الـــذي يمكـــن أن نتوقعه".[116]

و إذا انتقلنـــا مـــرة أخـــرى إلـــى العلاقـــة بـــين الفلســـفة و الفيزيـــاء، ســـنكون مضـــطرين مـــرة أخـــرى، إلـــى إثـــارة تلـــك العلاقـــة بـــين العلـــم والميتافيزيقـــا، و مثـــل هـــذا الكـــلام يجعلنـــا نبتعـــد عـــن كـــل نزعـــة وضـــعية أو علموية تقصي مـــن قاموســـها كـــل ميتافيزيقـــا و كـــل موقـــف مثـــالي . فـــي حـــين أن الفيزيـــاء بالـــذات هـــي العلـــم الـــذي ارتـــبط ارتباطـــا قويـــا بعـــدد كبيـــر مـــن التصورات الميتافيزيقيـــة، لا بـــل أن الكثيـــر مـــن تلـــك التصـــورات كـــان تمهيـــدا حقيقيـــا و مـــدخلا إجباريـــا لقـــوانين و نظريـــات فيزيائيـــة تـــم اكتشـــافها والتوصـــل إليهـــا لاحقـــا. "إن النظريـــات العلميـــة بصـــفة عامـــة تســـتند إلـــى فلســـفات معرفيـــة تعطيهـــا انســـجامها و معقوليتهـــا و يمكـــن العثـــور عليهـــا فـــي ثنايـــا النســـق العلمـــي حيـــث تكـــون مســـتترة و فـــي تصـــريحات العـــالم المبـــدع المخصصـــة للغـــرض ونقصـــد فـــي الحقيقـــة تلـــك الميتافيزيقـــا" العلميـــة"

(116) - برتراند رسل: " أ ف ا ء النسبية" ، ترجمة فؤاد كامل ، مراجعة محمد مرسي، دار الثقافة، القاهرة، 1965، ص 145-146.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



المتضـــمنة للمبـــادئ التأسيســـية للعلـــم والتـــ
ديكـــارت و كـــانط و باشـــلار. فقـــد تحـــدث الأول عـــن جـــذع ميتـــافيزيقي تنبثـــق منـــه ســـائر الفـــروع العلميـــة. و ألـــح الثـــاني (...) علـــى أن العلـــم عمومـــا يرتكـــز علـــى الميتافيزيقـــا باعتبارهـــا تتضـــمن مبـــادئ العقـــل. و ذلـــك الثالـــث بوضـــوح (...) أن العلـــم فـــي تطـــوره يســـتبدل ميتافيزيقـــا بـــأخرى لكنـــه لا يستغني أبدا عن التفكير الميتافيزيقي الملازم له دوما."[117]

إن أي حـــديث عـــن العلـــم أو الفيزيـــاء تحديـــدا يفتـــرض لا محالـــة تضـــمينا فلســـفيا، أو لنقـــل نظريـــة معرفيـــة تقـــف وراء ذلـــك العلـــم و تســـنده . و هـــاهو ڤيرنـــر هـــايزنبرج يخبرنـــا قـــائلا: " لقـــد لعبـــت نظريـــة النســـبية دائمـــا دورا غايـــة فـــي الأهميـــة فـــي الفيزيـــاء الحديثـــة. فبهـــذه النظريـــة أدرك العلمـــاء لأول مرة الحاجـــة إلـــى التغييـــر فـــي المبـــادئ الأساســـية للفيزيـــاء. و علـــى هـــذا فإن مناقشة المشـــاكل التـــي أثارتهـــا النظريـــة، و قامـــت بحـــل جـــزء منهـــا، هـــذه المناقشـــة تـــرتبط ارتباطـــا وثيقـــا بمعالجتنـــا للتضـــمينات الفلســـفية للفيزيـــاء الحديثة."[118]

إن هـــايزنبرج لا يكتفـــي بالحـــديث عـــن النســـبة أو حتـــى نظريـــة الكوانتم الذي يعتبـــر أحـــد مهندســـيها الكبـــار للتأكيـــد علـــى التضـــمينات الفلســـفية لهذه أو تلـــك ، بـــل هـــو يعتبـــر أن المســـألة أعمـــق و أقـــدم بكثيـــر تشـــمل العلـــم برمتـــه ، و لكـــن – و هـــذا مهـــم جـــدا– فـــي ارتباطـــه بـــالموقف الفلســـفي (الميتـــافيزيقي) ، و هـــو يحـــاول أن يـــتفهم الكـــون و العـــالم. يقـــول هـــايزنبرج: " تتبـــع العلـــم الحـــديث اتجاهـــات عديـــدة للفلســـفة الطبيعيـــة الإغريقيـــة القديمـــة عندما أعـــاد النظـــر فـــي المشـــاكل التـــي تناولتهـــا هـــذه الفلســـفة فـــي محاولتهـــا

(117) ـ عبد القادر بشته: " النسبية بين العلم و الفلسفة"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2002، ص 101.
(118) ـ فيرنر هايزنبرج: " الفيزياء و الفلسفة"، ترجمة أحمد مستجير، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1993، ص 77.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الأولـــى لـــتفهم العـــالم المحـــيط بنـــا، و علـــى الأفكار التـــي احتفظـــت بقـــدرتها الخالقـــة فـــي الفيزيقـــا الحديثـــة، و فـــي الأشـــكال التـــي اتخـــذتها هـــذه الأفكـــار بعـــدما اســـتوعبت التجـــارب العلميـــة خـــلال ألفـــي عـــام مضـــت عليهـــا هنـــاك بالـــذات فكرتـــان مـــن الفلســـفة الإغريقيـــة القديمـــة مازالتـــا حتـــى الآن تحـــددان ســـبيل العلـــم،(...)، هاتـــان الفكرتـــان همـــا: الاقتنـــاع بـــأن المـــادة تتكـــون مـــن وحـــدات صـــغيرة لا تنقســـم – أي ذرات– والاعتقاد في القوة البالغة التوجيه للتراكيب الرياضية".[119]

الأمر نفسه نكـــاد نقـــرأه لـــدى ألبـــرت أينشـــتين فـــي كتابـــه المشـــترك مـــع ليوپولـــد إنفلـــد، فهـــو يقـــول: " لقـــد كـــان لهـــذه الأفكـــار [الفلســـفية] تـــأثير قـــوي علـــى تطـــور علـــم الطبيعـــة [الفيزيـــاء] إلـــى أن ظهـــرت أدلـــة جديـــدة (...) وحقـــائق و نظريـــات جديـــدة كونـــت أساســـا جديـــدا للعلـــم و حتمـــت تـــرك المبـــادئ القديمـــة. و الـــذي يبحـــث فـــي تـــاريخ العلـــم كلـــه، مـــن الفلســـفة الإغريقيـــة إلـــى علـــم الطبيعـــة الحـــديث يجـــد أن المحـــاولات كانـــت مســـتمرة لاختصـــار تعقـــد الظـــواهر الطبيعيـــة إلـــى بعـــض المبـــادئ و العلاقـــات الأساســـية البســـيطة. و هـــذا هـــو أســـاس كـــل الفلســـفة الطبيعيـــة و يبـــدو هـــذا واضحا حتى فـــي عمـــل علمـــاء الـــذرة. (...) و تبقـــى هـــذه الفكـــرة فـــي الفلســـفة القديمـــة تصـــورا عبقريـــا لا غيـــر. فـــالإغريق لـــم يكونـــوا يعلمـــون قـــوانين الطبيعة التـــي تـــربط الحـــوادث المتتابعـــة. و لـــم يبـــدأ العلـــم الـــذي يـــربط بـــين النظريـــة و التجربـــة فعـــلا إلا منـــذ جـــاليلو.(...) لقـــد بقيـــت القـــوة والمـــادة الفكرتـــان الأساســـيتان لجميـــع المحـــاولات التـــي بـــذلت لفهـــم الكـــون(...).

---

[119] – فيرنر هايزنبرج: " المشاكل الفلسفية..." مرجع سابق، ص 53.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



ويســـتحيل أن نتصـــور إحـــدى هـــاتين الفكـــر يظهر وجودها كمنبع للقوة بتأثيرها على مادة أخرى".[120]

قلنـــا أعـــلاه أن هـــدفنا لـــيس هـــو العـــرض و التقـــديم للنظريـــات العلميـــة و الفيزيائية تحديـــدا، بـــل الغـــرض هـــو الكشـــف عـــن طبيعـــة العلاقـــة المســـتمرة دومـــا، و المتغيـــرة حتمـــا، بـــين الفلســـفة و العلـــم. لقـــد أصـــبح ضـــروريا مـــع الفيزيـــاء الحديثـــة، و تـــداعيات نتائجهـــا علـــى مجـــالات المعرفـــة الأخـــرى بمـــا فيها الفلســـفة تصـــحيح و تصـــويب أيـــة نظـــرة تخـــل بخصوصـــية و فـــرادة كـــل واحدة على حـــدى (الفلســـفة و العلـــم) . و لكـــن أيضـــا أيـــة نظـــرة تـــدير الظهـــر والوجـــه لحقيقـــة أن كـــل واحـــدة تمحـــت مـــن الأخـــرى و تنهـــل منهـــا، فـــالعلوم تمد الفلسفة بـــــ" قواعـــد المـــنهج" ، والفلســـفة تمكـــن العلـــوم مـــن أصـــول النظـــر وفـــق مبـــادئ العقـــل. " العلـــم و الفلســـفة لـــيس أحـــدهما غريبـــا علـــى الآخـــر. فالفلاســـفة مشـــغولون منـــذ أقـــدم العصـــور بـــالعلم الطبيعـــي و محاولـــة فهمـــه و تفسيره. علـــى قـــدر مـــا أوتـــوا مـــن معطيـــات و أدوات، بينمـــا الفلاســـفة حـــديثا يعتمدون على زملائهـــم العلمـــاء فـــي النهـــل مـــن علمهـــم و محاولـــة الإفـــادة مـــن هذا العلم فـــي بنـــاء نســـقهم الفلســـفي. وكثيـــرا مـــا يخـــرج العلمـــاء مـــن ميـــدان بحـــثهم العلمـــي تشـــدهم مشـــكلات الفلســـفة ويحـــاولون تكـــوين مواقـــف فلســـفية تتســـق ونتـــائج بحـــثهم، كمـــا ينهلـــون مـــن تـــراث الفلاســـفة. و بـــذلك يهـــتم الفلاســـفة بأبحـــاث العلمـــاء، كمـــا يهـــتم العلمـــاء باتخـــاذ مواقـــف فلســـفية. وكـــل فريق يســـتفتي الفريـــق الآخـــر فـــي مجـــال دراســـته، بحيـــث نصـــل فـــي نهايـــة المطـــاف إلـــى إدراك أن الهـــدف الأســـمى لكـــلا الفـــريقين هـــو تكـــوين تصـــور عن الكون بالإجمال أو بالتفصيل، أو تفسير العالم الذي نعيش فيه".[121]

---

(120) ـ ألبرت أينشتين- ليوبولد انفلد: " تطور علم الطبيعة"، مرجع سابق، ص 40.

(121) ـ محمود فهمي زيدان: " من نظريات العلم المعاصر إلى المواقف الفلسفية" دار النهضة العربية، بيروت، 1982، ص 144.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



## 5- الأسلوب الفرنسي في الابستيمولوجيا:

قـد يبـدو هـذا التعبيـر غريبـا شـيئا مـا، و قـد يكـون أغـرب منـه أن يفهـم، بشـكل سـطحي، أن هنـاك ابسـتيمولوجيا أو فلسـفة علـم خاصـة بفرنسـا كبلـد. و الحـق أن القصـد مـن التعبيـر هـو قصـد يحمـل مـن الـدلالات والمعاني ما نعجـز عـن تفسـيرها و تحليلهـا بتفصـيل فـي هـذا الحيـز . و قـد يكـون مـن المفيـد أن نشـير ، قبـل كـل شـيء، إلـى أن مثـل هـذا التعبيـر ينـدرج أساسـا فـي خانـة التقسـيم المعهـود للفلسـفة الغربيـة المعاصـرة إلـى فلسـفة أنجلـو ساكسـونية، و فلسـفة قاريـة. و مـا يسـمى بـ" فلسـفة العلـوم الفرنسية" تنتمي إلى النـوع الثـاني مـن ذلـك التقسـيم. و قـد يكـون مـن المفيـد أيضا أن ننتبـه مـع أحـد الدارسـين أن الأمـر قـد يبـدو مفارقـا الحـديث عـن "أسـاليب وطنيـة"( Styles nationaux) فـي الفلسـفة، و أكثـر مـن ذلـك فـي فلسـفة العلـوم ... و مـع ذلـك فـان الدارسـين الانجلوساكسـونيين عنـدما يقدمون فلسـفة العلـوم القاريـة لقـراءهم، فهـم يتحـدثون عمـا يسـمونه "شـبكة فرنسـية "(French Network) فـي فلسـفة العلـوم، و هـذه " الشـبكة" تظـم أسـماء مثـل غاسـتون باشـلار، و جـورج كـونغيلام، و ميشـال فوكـو... إن الكثيـر مـن الدارسـين الانجلـو ساكسـونيين يقـرون بوجـود نـوع مـن التقليـد الفرنسي فـي فلسـفة العلـوم، بـل إن آخـرين يتحـدثون عـن " مدرسـة وضـعية فرنسـية" تـدين بأسـلوبها الفلسـفي العلمـي لأوغسـت كونـت، و هـو أسـلوب يتميـز بميـزتين أساسـيتين: الأولـى تفيـدنا بـأن الابسـتيمولوجيا لا يمكنهـا أن تكـون إلا تاريخيـة، و الثانيـة تفيـدنا بـأن التـاريخ يجـب أن يكـون " فلسـفيا".

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



إن الفلسفة وفـق هـذه " المدرسـة الفرنسـية" و عبر تاريخ المفاهيم كما هي موجودة في مختلف مجالات المعرفة.(122)

بهـذا المعنـى، إذن، سـيكون مـن المفيـد أيضـا أن نقـر لفلسـفة العلـوم الفرنسية فـي القـرن العشـرين بنـوع مـن الخصوصـية. و بالإمكـان أن نلمـس ذلك في الطـابع الأساسـي المتمثـل فـي تلـك العلاقـة القويـة، و ذلـك التـداخل البنيوي بين الفلسفة و تـاريخ العلـوم، فأهميـة ذلـك الطـابع نلمسـها مسـبقا فـي واقـع اصـطلاحي، حيـث نتحـدث فـي الثقافـة الفرنسـية عـن فلسـفة للعلـوم (Philosophie des sciences) و لـيس فلسـفة العلـم (Philosophie de la science) كما هي عند الانجليز و الايطاليين و الإسبان... الخ.(123)

إن مثـل هـذا الاخـتلاف لـيس عرضـيا، و لا هـو غيـر مقصـود، فهـا هـو ألكسـندر كـواري يؤكـد طبيعـة مسـارات و تـاريخ العلـم واصـفا إياهـا قـائلا: " انـه [طريـق العلـم] لـيس طريقـا مسـتقيما، بـل ملـيء بالمنعرجـات يصـادف مسـالك بـدون مخـارج، تضـطره للانعـراج مجـددا. إن الأمـر لا يتعلـق بوجهـة واحـدة، بـل وجهـات متعـددة (وجهـة الرياضـي ليسـت هـي نفسـها وجهـة الكيميـائي، و لا البيولـوجي و لا الفيزيـائي). وعليـه وجـب اتبـاع كـل تلـك الوجهـات فـي واقعهـا الملمـوس ، و مسـاراتها التاريخيـة المنفصـلة، و أن نخضـع لكتابـة تـواريخ العلـوم قبـل أن نكتـب تـاريخ العلم".(124)

ضـمن هـذا الأفـق ، إذن، تتحـدد معـالم فلسـفة العلـوم فـي الفلسـفة الفرنسـية المعاصـرة، وهـي تتحـدد أكثـر مـن خـلال أسـماء بعينهـا،

(122) – voir : Jean François BRAUNSTEIN : « Bachlard, Canguilhem, Foucault, « le style Français » en épistémologie » in collectif, « les philosophes et la science » op.cit., P920.
(123) – voir : Evandro Agazzi : « la spécificité de la philosophie des sciences Françaises au XXe siècle » in collectif « philosopher en français, langue de la philosophie et langue nationale », Puf, Paris, 2001, P121.
(124) - Alexandre Koyré : « Etudes d'histoire de la pensée scientifique », Puf . Paris. 1966. P361.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



فالابســـتيمولوجيا "التـــي يمارســـها باشـــلار تحـــ
يتمثـــل فـــي أنهـــا تقـــوم بتفكيـــك شـــامل لآليـــات اشـــتغال الـــنص الفلســـفي الكلاســـيكي مـــن حيـــث أنـــه يتضـــمن بالضـــرورة " فلســـفة للعلـــم" . و لقـــد نجـــم عن هذا التفكيك اكتشـــاف حاســـم، و هـــو اكتشـــاف مـــا اجتهـــدت الفلســـفة دومـــا، بعنـــاد و إصـــرار، فـــي إخفائـــه بشـــتى الطـــرق و الوســـائل." الشـــروط الواقعيـــة والتاريخيـــة لإنتـــاج المعـــارف العلميـــة". و لعـــل هنـــا يكمـــن المعنـــى العميـــق للطـــابع الســـجالي الـــذي يـــلازم الكتابـــة الابســـتيمولوجية الباشـــلارية مـــن أن تســـاءل العلـــوم بكيفيـــة أخـــرى و علـــى صـــعيد آخـــر. و بـــذلك فهـــي تبطـــل تصورات مـــا ســـمي قبلهـــا بـــ "الابســـتيمولوجيا" . و لقـــد تـــم لهـــا ذلـــك حينمـــا اتجهـــت تلـــك المســـاءلة فيهـــا إلـــى موضـــوع محـــدد: المعرفـــة العلميـــة فـــي تاريخهـــا. فالخطـــاب الـــذي يتخـــذ لنفســـه موضـــوع المعرفـــة العلميـــة فـــي حركتهـــا التاريخيـــة الفعليـــة هـــو خطـــاب يجعـــل مهمـــة الابســـتيمولوجيا مهمـــة "تاريخيـــة" بالأســـاس. و هـــذا مـــا يختلـــف أشـــد الاخـــتلاف مـــع الخطـــاب الـــذي أنشأته الفلسفة حول " العلـــم" . و عنـــدما نعلـــم بـــأن الفلســـفات التقليديـــة لـــم تعـــر أي اهتمـــام يـــذكر لتاريخيـــة المعرفـــة العلميـــة، (...) فإننـــا ســـندرك عمـــق التحول الـــذي أحدثـــه الفكـــر الباشـــلاري فـــي موضـــوع أساســـي : الحـــديث عـــن العلوم الذي هـــو الابســـتيمولوجيا مـــن حيـــث أنهـــا تنطـــوي علـــى بعـــد تـــاريخي أساسي فيها".[125]

إن الابســـتيمولوجيا الفرنســـية بهـــذا المعنـــى هـــي تفكيـــر بعـــدي (a posteriori) حـــول العلـــوم، ولـــيس للفلســـفة أن تحـــدد مـــا يجـــب أن تكـــون عليه العلوم، التـــي توجـــد مســـتقلة بنفســـها وتكـــوّن المعطـــى الـــذي يشـــتغل عليـــه فيلســـوف العلـــوم. الابســـتيمولوجيا الفرنســـية لا تطـــرح مســـألة أســـس العلـــوم،

[125] - محمد هشام: " تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجية عند باشلار"، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 12-13.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



فحول هـذه النقطـة لـيس هنـاك سـلطة أو وصـ
سياق تاريخها.[126]

و هكـذا ، إذن، فـإذا كانـت الابسـتيمولوجيا تاريخيـة، فـإن تـاريخ العلـوم هـو بالضـرورة أساسـا ، ابسـتيمولوجيا. بهـذا الشـكل يقـيم باشـلار ربطـا نظريـا قويـا بـين الابسـتيمولوجيا و تـاريخ العلـوم، لأن الأمـر هنـا يتعلـق بتفكيـر المفـاهيم ؛ و تفكيـر المفـاهيم يعنـي، مـن جملـة مـا يعنيـه، دراسـتها ابسـتيمولوجيا و تاريخيـا فـي الآن ذاتـه... إن التحـولات العميقـة التـي أحـدثها التـدخل الباشـلاري فـي حقـل التفكيـر الابسـتيمولوجي، تـدخل حاسـم رسـم الآفـاق النظريـة العامـة لممارسـة البحـث الابسـتيمولوجي المعاصـر و بلـور المنظومـة المفاهيميـة التـي ينـتج بواسـطتها كـل مـا هـو متقـدم و مهـم فـي هـذا البحـث. إن التفكيـر الابسـتيمولوجي، بـل التفكيـر الفلسفي بصفة عامـة، لـم يعـد يمـارس بعـد باشـلار كمـا كـان يمـارس قبلـه. ولـم تعـد المقاربـة " الفلسـفية" للعلـوم أو المعـارف تصـدر عـن القبليـات والخلفيـات الانطولوجيـة والقيميـة التـي كـان تصـدر عنهـا فـي سـابق عهـدها[127]. إن فلسـفة غاسـتون باشـلار بهـذا المعنـى " محاولـة مهمـة جـدا لتجـاوز الوضـعية التجريبيـة ذات النزعـة العلميـة، وللاقتـراب مـن المثاليـة النقدية ذات النزعـة العقليـة. ذلـك أن باشـلار يبـين بألمعيـة فائقـة عـدم كفايـة النزعة التجريبية العلمية".[128]

يقول باشـلار عـن ذلـك مـا يلـي: " بواسـطة العقـل يمكـن بحـق لكـل شيء أن يتجدد، إن الفشـل لـيس إلا برهانـا سـلبيا فالفشـل هـو دائمـا تجريبـي و في ميـدان العقـل يكفـي أن نقـرب موضـوعين غامضـين لكـي يبـرز فجـأة

(126) -voir : Braunstein : « Bachelard, Canguilhem, Foucault.. » op.cit., P928-931.

(127) -أنظر: محمد هشام: " تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجية.." ، مرجع سابق، ص 13.

(128) - ج، بنروبي: " مصادر و تيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا" ج I، ترجمة عبد الرحمان بدوي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت، 1980، ص 377.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



وضـــوح البداهـــة و نكـــوّن إذن اعتمـــادا علـــى خصـــبة فـــإن وجـــدت عـــودة أبديـــة توجـــه العـــالم فهـــي العـــودة الأبديـــة للعقل...".[129]

إن مثـــل هـــذا الكـــلام لا يعنـــي أن باشـــلار يصـــنف أو يضـــع نفســـه ضمن خانـــة فلســـفية مـــا، أو حتـــى أنـــه يمكّـــن آخـــرين مـــن فعـــل ذلـــك، فهـــو عصـــي علـــى أيـــة تصـــنيفات معهـــودة. "وفـــي الحقيقـــة فـــإن فلســـفة العلـــم لا تســـتمد مـــن المـــذاهب الفلســـفية الجـــاهزة بـــل مـــن دراســـة للمعرفـــة العلميـــة وتاريخهـــا. لهـــذا فـــإن فلســـفة بشـــلار (...) تعمـــل علـــى تطويـــع التصـــورات الفلسفية حتـــى تراعـــي التحـــولات التـــي عرفهـــا تـــاريخ المعرفـــة العلميـــة. لـــذلك يصعب أن نجعل مـــن فلســـفة بشـــلار نســـقا فلســـفيا متميـــزا. لقـــد عمـــل بشـــلار على تحديد الفلسفة التي يسمح بهـــا العلـــم انطلاقـــا مـــن العلـــم نفســـه و لـــم يلتـــزم بصورة مطلقة بنسق فلسفي خاص".[130]

و هـــاهو جـــان هيبوليـــت يؤكـــد لنـــا أن باشـــلار : " ينطلـــق مـــن العلـــوم كمـــا هـــي، مـــن ظـــاهرة هـــذه العلـــوم [...] إن ابســـتيمولوجيته هـــي بالتحديـــد فينومولوجيـــا أصـــيلة لعلـــوم الطبيعـــة."[131]. أمـــا جـــورج كـــونغلام فيقـــول لنـــا عـــن باشـــلار، واصـــفا إيـــاه قـــائلا: "هـــذا العقلانـــي لا يطلـــب مـــن العقـــل أيـــة صـــفة جينيالوجيـــة. أي تبريـــر للممارســـة والعمـــل، مـــا عـــدا العلـــم فـــي تاريخه".[132]

إذا كـــان هـــذا هـــو موقـــف باشـــلار مـــن العلـــوم منظـــورا إليهـــا فـــي تاريخيتهـــا ، فمـــا هـــو موقفـــه مـــن الفلســـفة و الفلاســـفة؟... الواقـــع أن باشـــلار

---

(129) ـ غاستون باشلار: " حدس اللحظة"، ترجمة رضا عزوز، عبد العزيز زمزم، الدار التونسية للنشر، 1986، ص 91.
(130) ـ المرجع نفسه، أنظر الدراسة الملحقة من وضع المترجمين، ص 96.
(131) - Jean Hyppolite : «figures de la pensée philosophique » T2, Puf.Paris, 1971, P668.
(132) - Georges Canguilhem : « Etudes d'histoire et de philosophie des sciences » vrin, Paris ,1968, P200.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



يتخـــذ موقفـــا نقـــديا مـــن الفلســـفة، دون أن ي
النظـــرة التاريخيـــة التـــي ينطلـــق منهـــا فـــي دراســـته للعلـــوم. و موقفـــه النقـــدي ذلك لا يعنـــي رفـــض الفلســـفة أو تســـفيهها، كمـــا هـــو شـــأن الموقـــف الوضـــعي، بـــل هـــو يـــرفض "الاســـتغلال الفلســـفي" للعلـــم و نتائجـــه وإنجازاتـــه ، و هـــو يأخـــذ علـــى الفيلســـوف عنـــدما يضـــع " نفســـه خـــارج العقـــل العلمـــي، يظـــن أن فلسفة العلوم يمكـــن انحصـــارها فـــي أســـس العلـــوم، فـــي الموضـــوعات العامـــة، أو أيضـــا عنـــدما يحصـــر الفيلســـوف نفســـه حصـــرا شـــديدا فـــي نطـــاق الأســـس والأصـــول يعتقـــد أن مهمـــة فلســـفة العلـــوم هـــي إعـــادة وصـــل أســـس العلـــوم بأصول فكر محض يمكنه الإعراض عن مسائل التطبيق الفعلي".[133]

إن فلســـفة الـــلا، أو فلســـفة الـــرفض (La philosophie du non) التـــي يتبناها باشـــلار، ليســـت أبـــدا إقصـــاء للفلســـفة ، بـــل هـــي موقـــف إيجـــابي فـــي نهاية الأمـــر، و هـــو لا يتـــوانى أبـــدا فـــي الـــدخول فـــي نقـــاش و حـــوار مفتـــوح مع معاصـــريه مـــن الفلاســـفة ومـــن لـــم يعاصـــرهم ، ولعـــل حـــواره الـــدائم مـــع الفيلســـوف الفرنســـي هنـــري برغســـون حـــول قضـــايا فلســـفية و فيزيائيـــة خيـــر دليل على ذلك.

يقـــول جـــورج كـــانغلهم فـــي هـــذا الصـــدد مـــا يلـــي: " ســـنكون مخطئـــين جدا (...) إذا نحن أوّلنا ثبـــات قـــوة تلهـــف باشـــلار كمـــا لـــو كـــان تعبيـــرا عـــن رغبته فـــي إذلال الفلســـفة أمـــام العلـــم. علـــى العكـــس مـــن ذلـــك تمامـــا، ينبغـــي أن نعتبـــر أعمالـــه (الابســـتيمولوجية) كمحاولـــة عنيـــدة لإيقـــاظ الفلســـفة مـــن "ســـباتها الـــدوغمائي" ، ولاســـتثارة الإرادة فيهـــا مـــن أجـــل إعـــادة تقـــدير

(133) ـ غاستون باشلار: " فلسفة الرفض"، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الحداثة، بيروت، 1985، ص 7.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



وضعيتها تجـاه العلـم الـراهن. إن الآثـار الابس
إعطاء الفلسفة حظا لكي تصير معاصرة للعلم".[134]

من الواضح جـدا بعـد هـذا كلـه أن النقـد الباشـلاري للفلسـفة، لـم يكـن هدفه أبـدا إقصـاء الفلسـفة أو إلغاءهـا، بـل كـان هدفـه دعـوة الفلاسـفة إلـى العمـل علـى اسـتخلاص الـدرس مـن تحـولات علـم الطبيعـة؛ و مـن ثـم التفكيـر جـديا فـي إعـادة بنـاء أفكـارهم وإصـلاح نظـام مقـولات تفكيرهم"[135]. إن طبيعـة الفلسـفة التـي نلمسـها عنـد باشـلار هـي تلـك التـي يوضح لنـا ملامحهـا دومنيـك لوكـور قـائلا:"إن الفلسـفة عنـد باشـلار ليسـت قـط حاضـرة حضـورا شخصـيا . و هـي لا تعـرض عنـده لـذاتها. ونحـن لا نلحـظ ظهورهـا إلا فـي فعاليتهـا و فـي معارضـتها أو المآخـذ التـي تأخـذها على المعارف العلمية".[136]

إن الـدرس الابسـتيمولوجي المعاصـر فـي حللـه الوضـعية والتحليليـة والعقلانيـة النقديـة... الـخ لا يشـذ، فـي اعتقادنـا عـن روح العقلانيـة المعاصـرة، و التـي تـرتبط أيمـا ارتباطـا بـالفكر العلمـي و تطـور العلـوم الفيزيائيـة و الرياضـيات و غيرهـا مـن العلـوم الأخـرى. و اعتقادنـا أيضـا أن الـدرس الباشـلاري ينخـرط فـي هـذا المنـاخ ويعـززه. إن العقلانيـة المعاصـرة تريـد "أن تكـون قـراءة بريئـة للعلـم و شـفافة. تـرفض النسـقية، لأن العلـم يبـدع فلسـفة ، و التـي ليسـت بالضـرورة فلسـفة الفلاسـفة والأنسـاق. فالاتجـاه الطبيعـي ينبغـي أن يسـير فـي عكـس الاتجـاه الـذي درج الفلاسفة علـى السـير فيـه: أي أن الأمـر أصـبح يقتضـي الانطـلاق مـن العلـم

---

(134) - Etudes d'histoire et philosophie des sciences . Op.cit., PP 190-191.
أورده محمد هشام في " تكوين مفهوم الممارسة .." مرجع سابق، ص 59.
(135) - محمد هشام ، المرجع و الموضع نفسه.
(136) - Dominique lecourt : l'épistémologie historique de G. Bachelard. vrin. Paris, 1974. P31.
أورده بنعبد العالي و يفوت في " درس الابستيمولوجيا" مرجع سابق، ص 65.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



إلـــى الفلســـفة، فلســـفة هـــو الـــذي يبـــدعها. ( المعاصـــرة فـــي منـــاخ فكـــري و فلســـفي، مـــن ســـماته، أنـــه منـــاخ ســـجالي انتقـــادي، لـــذا فـــإن مختلـــف مواقفهـــا تتحـــدد مـــن خـــلال معارضـــتها للمواقـــف التي تعتبرها عـــاجزة عـــن اســـتيعاب مظـــاهر الجـــدة فـــي الفكـــر العلمـــي الجديـــد و من خلال مواجهتها بلا".[137]

تلـــك هـــي مهـــام الـــدرس الابســـتيمولوجي و فلســـفة العلـــوم فـــي أســـلوبها الفرنســـي. و الحـــق يقـــال أنـــه بفضـــل هـــذا الأســـلوب أصـــبح " البحـــث الابســـتيمولوجي اليـــوم شـــيء آخـــر مختلـــف، فـــي موضـــوعاته و مناهجـــه، فـــي مفاهيمه و طـــرق إنجـــازه، و هـــو يـــدين بكـــل توجـــه أصـــيل فيـــه إلـــى نظريـــة الممارســـة الابســـتيمولوجية التـــي بلورتهـــا أعمـــال غاســـتون باشـــلار، لأن بـــين الفلســـفة و الابســـتيمولوجيا هنـــاك باشـــلار، و هـــذا لـــيس بالشـــيء الهـــين أو اليســـير. و يكفـــي دلالـــة علـــى ذلـــك الآن أن أبحـــاث جـــورج كـــانغلهم فـــي الابســـتيمولوجيا البيولوجيـــة ، و دراســـات ميشـــال فوكـــو حـــول الشـــروط العامـــة لظهـــور المعـــارف تنخـــرط كلهـــا فـــي مجـــال الإشـــكالية التـــي حـــدد معالمهـــا التـــدخل الباشـــلاري، لا بمعنـــى أنهـــا تســـتعيد التفكيـــر الباشـــلاري كمـــا هـــو و المفـــاهيم التـــي تنتظمـــه لتطبقهـــا كمـــا هـــي فـــي هـــذا المجـــال أو ذاك ، ولكـــن بمعنـــى أنهـــا تســـتلهم معطيـــات هـــذا التفكيـــر لتفكـــر قضـــاياها الخاصـــة النابعـــة مـــن المجـــالات الخاصـــة التـــي تبحـــث فيهـــا. (...) و هـــل يمكـــن أن نتصـــور ريـــادة الدراســـات الكانغيلهيميـــة فـــي حقـــل علـــوم الحيـــاة بـــدون باشـــلار؟ وهـــل يمكـــن إدراك كـــل أهميـــة الفكـــر الفوكـــوي بـــدون كـــانغلهم وباشـــلار...؟ انـــه خـــط كامـــل فـــي التفكيـــر والممارســـة النظريـــة الابستيمولوجية شـــديدة التعـــارض، إن لـــم نقـــل التنـــاقض، مـــع مـــا يكتـــب باســـم

(137) ـ سالم يفوت " فلسفة العلم و العقلانية المعاصرة" ، دار الطليعة، بيروت، 1982، ص43 و 111.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الابســـتيمولوجيا فـــي المـــدارس الوضـــعية الم

ولكنها شـــديدة الانخـــراط فـــي معمعـــة الإشـــكالية العقلانيـــة ، كمـــا عرضـــنا لهـــا طـــوال الصـــفحات الســـابقة، إشـــكالية مافتئـــت تتجـــدد، دون أن تفقـــد ارتباطاتهـــا وتداخلاتها ضمن نسيج العلم و الفلسفة و العقل.

(138) ـ محمد هشام: " تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجية.." مرجع سابق، ص 13- 14.

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

# الفصـــــــــل الرابع

## سؤال الفلسفة في الفكر العربي المعاصر..

## بين تجليات العقلانية واستلهام الدرس الابستيمولوجي

**أولا: "الفلسفة العربية" المعاصرة....بأي معنى؟**

**ثانيا: استلهام الدرس الابستيمولوجي المعاصر..بحثا عن صياغة عربية للعقلانية.**

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



لـــن نـــأتي فـــي هـــذا الفصـــل و الفـ
تطبيقـــات العقلانيـــة الغربيـــة، فـــي مختلـــف مراحلهـــا كمـــا عرضـــنا لهـــا فـــي الفصـــول الســـابقة، تطبيقاتهـــا فـــي الفكـــر العربـــي المعاصـــر، بـــالمعنى التقنـــي لكلمـــة " تطبيـــق" ، فالكلمـــة و إن وردت هكـــذا فـــي العنـــوان، فـــإن القصـــد منهـــا، هـــو انتقـــال و اســـتقبال و اســـتعمال وتوظيـــف العقلانيـــة بمعانيهـــا الواســـعة و العريضـــة، كمـــا أشـــرنا فـــي الصـــفحات الســـابقة، أي بـــالمعنى الفلســـفي العميـــق للكلمـــة، و لـــيس بـــالمعنى المـــذهبي، أو كاتجـــاه و نزعـــة، فالعقلانيـــة هـــي الفلســـفة بامتيـــاز، و الفلســـفة لا يمكنهـــا إلا أن تكـــون عقلانيـــة، حتـــى و لـــو كانت فـــي بعـــض اتجاهاتهـــا مناهضـــة و معاديـــة للعقـــل، فهـــي (الفلســـفة) حتى في هـــذه الحالـــة لا تخـــرج عـــن طـــوق التأمـــل و التفكيـــر و قواعـــد المنطـــق و مـــا يســـتتبع ذلـــك مـــن إبـــداع ونحـــت للمفـــاهيم ، و أدوات الفهم و النظر و الاستدلال.

و مثـــل هـــذا الكـــلام لا يعنـــي أبـــدا أن العقلانيـــة لـــم توجـــد فـــي التربـــة العربيـــة الإســـلامية قـــديما، فهـــذا موضـــوع آخـــر، لـــيس هـــو موضـــوعنا الآن. فـــنحن نتحـــدث هنـــا عـــن العقلانيـــة الغربيـــة وتطبيقاتهـــا، بمعنـــى اســـتعمال و توظيـــف مفاهيمهـــا و أدواتهـــا، وبالتـــالي تبيئتهـــا فـــي الفكـــر العربـــي المعاصـــر، و حتـــى ذلـــك هـــو مقصور ، كمـــا هـــو مفهـــوم مـــن العنـــوان، علـــى الـــدرس الابســـتيمولوجي المعاصـــر، كمـــا تبلـــور، بالشـــكل الـــذي نعرفـــه فـــي القـــرن العشـــرين. فمفـــاهيم الـــدرس الابســـتيمولوجي هـــي جـــزء مـــن الـــدرس الفلســـفي عموما، وهـــذا الأخيـــر يحيـــل فـــي النهايـــة علـــى العقلانيـــة و العقـــل،

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



كيـف لا والفلسـفة لا يمكنهـا إلا أن تكـون الامتياز.

ومن أجـل الحـديث عـن تلـك التطبيقـات فـي هـذا الفصـل و مـا يليـه ، نعتقـد أن سـؤالا يلـح علينـا إلحاحـا، تجـب الحاجـة إلـى تقـديم بعض الأجوبة عنـه، و هـو سـؤال يتعلـق بالفلسـفة فـي الفكـر العربـي المعاصـر، يمكـن صـياغته كالتـالي: هـل هنـاك فلسـفة عربيـة معاصرة؟ هل ما ينـتج فـي الفكـر العربـي المعاصـر مـن قـول وكتابـة فلسفية، يسـتحق أن ننعتـه بفلسـفة؟ بخلاصـة هـل هنـاك إبـداع فلسـفي عربي معاصر؟.

هـذه الأسـئلة و غيرهـا تشـكل، فـي اعتقادنـا جـزءا أساسـيا مـن الفلسـفة ذاتهـا؛ فأسـئلتنا و إن كانـت تكتسـي طابعـا اسـتفهاميا و استفسـاريا (منهجيـا)، فهـي تحيـل علـى سـؤال الفلسـفة عمومـا، والـذي لا يمكـن لسـؤال الفلسـفة فـي الفكـر العربـي المعاصـر أن يسـتقيم بدونـه. إن السـؤال عـن " فلسـفة عربيـة معاصـرة"، نطمـح ونريـده أن يكـون سـؤالا فلسـفيا بالأصـالة، فمهمـة الفلسـفة عنـدما بـدأت مـع اليونـان، تبلـورت فـي شـكل سـؤال و أجوبـة مقترحـة، سـرعان مـا تتحـول بـدورها إلـى أسـئلة ، حتـى لا زال الأمـر كـذلك إلـى اليـوم. يقـول ميشـال مـايير (Michel Meyer) المؤسـس الفعلـي لعلـم جديـد هـو رائـج الآن فـي الفلسـفة الغربيـة المعاصـرة، يـدعى "علم السؤال": "فـي الحقيقـة كـل شـيء بـدأ مـع أفلاطـون؛ لربمـا مـع سـقراط و السفسـطائيين. حـدوث الصـيرورة، و تعـدد الآراء، والكون المتـأثر بالمعلومـات غيـر اليقينيـة، كلهـا معطيـات تحيـل علـى

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الخاصـــية الإشـــكالية التـــي اســـتحوذت ع
الإغريـــق. كـــان السفســـطائيون يســـتعملون انفتـــاح الفكـــر، بكـــل اختياراتـــه التـــي باتـــت متـــرددة لتشـــجيع الآراء الأكثـــر حظـــوة، و دون حرج من الـــدفاع عـــن أطروحـــة الخصـــم إذا كانـــت فـــي صـــالحهم. أمـــا سقراط فكان يقلب الخاصـــية الإشـــكالية ضـــد أولئـــك الـــذين كـــانوا يثقـــون فـــي قـــدرتهم علـــى اســـتعمالها لفائـــدتهم، كرجـــال الســـلطة، و أعيـــان المدينـــة، والسفســـطائيين الـــذين كـــانوا ينـــالون أجـــرا لتمريـــر الأفكـــار الموافقـــة لمصـــلحة هـــؤلاء الأعيـــان. و بإخضـــاعه لهـــذه الأفكـــار لمحـــك المساءلة الجذرية دشـــن ســـقراط مـــن ثمـــة مـــا يســـمى بالمهمـــة الفلســـفية، مبينـــا بـــأن الأجوبـــة المقترحـــة مـــن طـــرف السفســـطائيين والأعيـــان كانت أجوبـــة ســـطحية تتـــرك المشـــكل المطـــروح فـــي البدايـــة دون حـــل فـــي نهايـــة الحـــوار. بهـــذا ســـوف لا يغفـــر الأعيـــان لســـقراط فعلتـــه، بإبراز عدم قدرتهم على الجواب".[1]

إن سؤال الفلســـفة فـــي الفكـــر العربـــي المعاصـــر، يبـــدأ فـــي نظرنـــا، مـــن ســـؤال الفلســـفة ذاتـــه، و هـــل صـــياغته تمـــت علـــى المســـتوى الفلســـفي، كمـــا يجـــري الآن و نحـــن نصـــوغه علـــى المســـتوى الإســـتفهامي. نعتقـــد أن " الفلســـفة العربيـــة" المعاصـــرة هـــي علـــى المســـتويين معـــا لا تـــزال فـــي طـــور الإنجـــاز، وجـــل التصـــفيفات والتوضـــيبات المنجـــزة لحـــد الآن، هـــي جـــزء مـــن مشـــروع العقلانيـــة

(1) - ميشال مايير:" نحو قراءة جديدة لتاريخ الفلسفة من الميتافيزيقا إلى علم السؤال" ترجمة عز الدين الخطابي – ادريس كثير، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء2006.ص10.
تدرج رؤية ميشال مايير في مشروع عام و متكامل يتمثل في رسم آفاق جديدة للتفلسف حيث يؤسس هذا المفكر البلجيكي عطوره لتاريخ الفلسفة، انطلاقا مما يسميه بنظرية المساءلة أو علم السؤال.. فهو يروم العودة بالفلسفة إلى وظيفتها الأولى كما تبلورت مع اليونان، أي إلى وظيفة السؤال و الاستفهام.. يتعلق الأمر حسب مايير بكون السؤال الذي يطرحه الفيلسوف، يتضمن أجوبة متعددة.و من هنا فإن القيمة الفلسفية لا تكمن في هذه الأخيرة، بقدر ما تتجلى في السؤال نفسه، لأنه هو الذي يثير المشكل و يبرز المفارقة كطريق نحو التفلسف.
أنظر: تصدير و مقدمة الترجمة، المرجع نفسه. ص 3.

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



في الفكـــر العربـــي، الـــذي لا يحيـــد ولا ينفـ
"الفلسفي العربي" ككل.

**أولا: " الفلسفة العربية" المعاصرة.. بأي معنى؟**

إن الإقـــرار بوجـــود "فلســـفة عربيـــة" معاصـــرة مـــن عـــدمها، مســـألة ليســـت جديـــدة، ولا دخيلـــة علـــى الفكـــر العربـــي المعاصـــر. فمثـــل هـــذا النقاش شـــكل جـــزءا مـــن إشـــكالية النهضـــة العربيـــة و قضـــاياها الفكريـــة و السياســـية و التحرريـــة. و دون الـــدخول فـــي هـــذا النقـــاش الـــذي قتـــل درســـا و حتـــى ســـجالا فـــي الكثيـــر مـــن الأحيـــان، فإنـــه مـــن جانبنـــا لا نشاطر تطـــرف الكثيـــر مـــن الأطروحـــات ووجهـــات النظـــر التـــي تنفـــي وجود فلسفة أو حتـــى قـــول فلســـفي مـــا فـــي الثقافـــة العربيـــة المعاصـــرة، أو حتـــى فـــي التـــاريخ العربـــي الإســـلامي، مكرســـة بالتـــالي وجهـــات نظر استشـــراقية لـــم تـــر فـــي الفلســـفة العربيـــة الإســـلامية ســـوى" فلســـفة يونانية مكتوبة بلغة عربية".

ومثـــل هـــذا الموقـــف يعبـــر عنـــه بوضـــوح عبـــد الرحمـــان بـــدوي قائلا:" الفلســـفة منافيـــة لطبيعـــة الـــروح الإســـلامية، لهـــذا لـــم يقـــدر لهـــذه الـــروح أن تنـــتج فلســـفة بـــل و لـــم تســـتطع أن تفهـــم روح الفلســـفة اليونانيـــة، و أن تنفـــذ إلـــى لبابهـــا، و إنمـــا هـــي تعلقـــت بظواهرهـــا، ولـــم يكن عنـــد واحـــد مـــن المشـــتغلين بالفلســـفة اليونانيـــة مـــن المســـلمين روح فلســـفية بـــالمعنى الصـــحيح، و إلا لهضـــموا هـــذه الفلســـفة و تمثلوهـــا واندفعوا إلى الإنتاج الحقيقي فيها و أوجدوا فلسفة جديدة".[2]

[2] - عبد الرحمان بدوي:" التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية.." وكالة المطبوعات الكويت. 1980.ص:ز

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و لنســـتمع إلـــى موقـــف آخـــر يكـــاد المـــرة الحـــديث فيـــه عـــن العـــالم العربـــي اليـــوم، يقـــول جميـــل صـــليبا: "ومهما يكن مـــن أمـــر، فـــإن العـــالم العربـــي الحـــديث لـــم يـــتمخض بعـــد عن فيلسوف عربـــي كبيـــر مـــن طـــراز أفلاطـــون وأرســـطو و ابـــن رشـــد وليبنـــز واســـبينوزا و كنـــت و برغســـون . و معظـــم مـــن اشـــتهروا فيـــه حتـــى الآن لا يعـــدون فـــي نظرنـــا إلا كواكـــب، خفاقـــة تستضـــيء بنـــور غيرها فتتلألأ دون أن تضيء العالم بأشعتها الذاتية إلا قليلا".[3]

و لنلتفـــت إلـــى موقـــف ثالـــث يتجـــاوز الثـــاني تطرفـــا و تشـــنجا ، فيقـــول : " إن مـــا ســـمي بالإتجاهـــات الفلســـفية العربيـــة (المعاصـــرة) لـــيس أكثـــر مـــن طبعـــات عربيـــة- بحكـــم اللغـــة التـــي كتبـــت بهـــا- لاتجاهـــات غربيـــة خالصـــة، و هـــي طبعـــات تختلـــف بـــالطبع فـــي صـــياغتها و درجـــة اســـتيعابها للأصـــول، و مبلـــغ تمثلهـــا للتـــراث الغربي، و من ثـــم افتقـــدت إلـــى الســـمات الخاصـــة، التـــي تشـــكل الطـــابع القومي الخاص، لكل فلسفة أصيلة".[4]

و لكـــن المثيـــر حقـــا هـــو محاولـــة أخـــرى تـــزعم تقـــديم نفســـها كمحاولة مغـــايرة وخطـــاب مختلـــف، تختـــار لنفســـها قاموســـا كـــاملا مـــن المفـــردات اللاذعـــة و الســـاخرة وأســـلوبا مبطنـــا بشـــتى أنـــواع التســـفيه والإســـتخفاف ، اقـــل مـــا يقـــال عنـــه أنـــه يصـــدر عـــن موقـــف و ذات تشعر أنها امـــتلأت حتـــى العنـــق و أصـــابتها التخمـــة حتـــى حجبـــت عـــن عينيهـــا أنهـــا مدينـــة جملـــة و تفصـــيلا لقـــول فلســـفي و كتابـــة فلســـفية ودرس فلســـفي بكـــل معـــاني الـــدرس و أصـــوله و قواعـــده، نشـــأ وتطـــور

---

(3)– جميل صليبا في: "الفكر الفلسفي في مئة سنة". الجامعة الامريكية بيروت. 1962.ص399.

(4) - أمير أسكندر: " هل هناك حقا فلسفة عربية"في مجلة قضايا عربية، بيروت. سبتمبر 1974، عدد 5 .ص 41-42.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



مـــن خـــلال أســـماء[5]، قـــد يختلـــف المـــر ولكنها أســـماء صـــنعت، بحـــق، الملامـــح الأولـــى لـــدرس فلســـفي عربـــي معاصـــر، ســـمح بالفعـــل ببلـــورة ســـؤال الفلســـفة العربيـــة المعاصـــرة، أكـــان علـــى مســـتوى الفلســـفة ذاتهـــا، أم علـــى المســـتوى الاســـتفهامي (وجودها من عدمها).

صـــاحب هـــذا الأســـلوب و القـــاموس يخصـــص صـــفحات لا تتعـــدى أربعـــين صـــفحة (مـــن 36 إلـــى 176)[6] لتقـــزيم و تقلـــيص الإنتـــاج و الـــدرس الفلســـفي العربـــي المعاصـــر إلـــى الصـــفر، دون تقـــديم أية إجابـــة فلســـفية حقيقيـــة عـــن ســـؤال " الفلســـفة العربيـــة المعاصـــرة" ، ولكنـــه يخلـــص إلـــى حكـــم تقريـــري مفـــاده أن " التنـــاقض بـــين الطـــابع العقلانـــي للأهـــداف و الطـــابع اللاعقلانـــي للتفكيـــر هـــو الســـمة البـــارزة في الخطـــاب الفلســـفي العربـــي المعاصـــر.(...) و لعـــل أهـــم مـــا يضـــفي خصوصية متميـــزة علـــى الطـــابع التـــوفيقي للخطـــاب الفلســـفي فـــي الفكـــر العربي المعاصـــر هـــو محاولتـــه ربـــط الجوانـــب اللاعقلانيـــة فـــي الفكـــر العربي المنحـــدر إلينـــا مـــن الماضـــي، بالجوانـــب اللاعقلانيـــة فـــي الفكـــر الأوربـــي الحـــديث و المعاصـــر، و كـــأن هـــذه تمثـــل " المعاصـــرة" وتلـــك تمثل "الأصـــالة". و النمـــوذج المتكـــرر فـــي هـــذا النـــوع مـــن " التوفيـــق" هـــو الجمـــع بـــين الغزالـــي و برجســـون .. و ذلـــك إلـــى درجـــة يمكـــن القـــول معهـــا أن الخطـــاب الفلســـفي العربـــي المعاصـــر بمختلـــف "اتجاهاتـــه" و منازعـــه يســـتقطبه هـــذان الـــرجلان: اعنـــي ميولهمـــا

---

(5) -ذكر على سبيل المثال: زكريا ابراهيم، نجيب بلدي، زكي نجيب محمود، مراد وهبة، عبد الرحمان بدوي، و غيرهم.

(6)- محمد عابد الجابري: " الخطاب العربي المعاصر". المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء ودار الطليعة- بيروت- طبعة أولى .1982.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



"الحدسية" اللاعقلانية.. و بعبارة أخرى هو الذي ينطق في هذا الخطاب .. هذا ما جعل منه خطابا "توفيقيا" في مملكة اللاعقل بقطاعيها: العربي "الأصيل" و الأوربي " المعاصر" ".[7]

وهكذا، فإذا كان الموقف الأول يكرس لنوع من " العنصرية" أصّل لها وجذّرها مستشرقون معروفون بارتباطهم بدوائر استعمارية. فالثاني يسحق أي طموح للتساؤل حتى عن وجود فلسفة عربية معاصرة من عدمها، و ذلك بجرة قلم، لا أكثر ولا أقل. أما الموقف أو الحكم الأخير فهو يبطن أكثر مما يفصح، فهو يحشر الخطاب الفلسفي العربي المعاصر في زاوية حادة ويطلق عليه النار، بدعوى أنها خطاب لا عقلاني و ينهل من تراث عربي و أوربي لا عقلاني ، آخذا عليه اتجاهه نحو الغزالي وليس ابن رشد، و هو في واقع الأمر مأخذ ظاهره الرحمة و باطنه العذاب، ذلك أن لسان حاله يكاد يقول و يفصح ما مفاده أن الفلسفة في المشرق العربي كانت و لا تزال فلسفة إشراقية غنوصية ولا عقلانية، و أن المغرب العربي- أو لنقل تحديدا المغرب الأقصى – كان ولا يزال إلى جانب الأندلس الضائعة مهد العقلانية و الحكمة البرهانية.. و مالا يقوله الأستاذ الجابري صراحة ، بل يكرس له في جميع مؤلفاته أن المغرب (الأقصى تحديدا) هو الوريث الشرعي لتلك العقلانية و الفلسفة البرهانية!..

---

[7] - المرجع نفسه، ص 174-176.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



دون الـــدخول فـــي مواقـــف ســـجالية، ت

و غيرهـــا كثيـــر حـــول " الفلســـفة العربيـــة المعاصـــرة". ولكـــن بالمقابـــل هناك مواقـــف عديـــدة حاولـــت وتحـــاول البحـــث عـــن صـــيغ أصـــيلة مـــن أجـــل اســـتكمال بلـــورة القـــول الفلســـفي فـــي العـــالم العربـــي المعاصـــر، منها مـــن يـــدعو إلـــى ذلـــك مـــن خـــلال " الموقـــف الحضـــاري"، و منهـــا مـــن يفعـــل ذلـــك إيمانـــا منـــه أن هنـــاك " حـــق عربـــي فـــي الاخـــتلاف الفلســـفي"، و هنـــاك مـــن يـــدعو منـــذ فتـــرة طويلـــة إلـــى " الاســـتقلال الفلسفي كطريق إلى الحرية و الإبداع".

يعتبـــر الأســـتاذ حســـن حنفـــي أن " الفيلســـوف هـــو صـــاحب الموقـــف الحضـــاري الـــذي يأخـــذ موقفـــا مـــن التـــراث القـــديم و يأخـــذ موقفا نقديا مـــن المـــوروث حتـــى يزحـــزح الغطـــاء النظـــري القـــديم مـــن أجـــل تنظيـــر آخـــر، آخـــذا العقـــل و الطبيعـــة كمحـــورين فـــي العلـــم الجديد. الفيلسوف كـــل مـــن يأخـــذ موقفـــا مـــن التـــراث الغربـــي رادا إيـــاه إلى داخل حـــدوده الطبيعيـــة، محجمـــا إيـــاه بعـــد أن ظهـــرت علـــى امتـــداد مائتي عام خطـــورة وضـــع نقـــل جديـــد فـــوق نقـــل قـــديم، إذ ازداد العقـــل المعاصر ثقلا فوق ثقل".[8]

الأســـتاذ حنفـــي يمـــارس نوعـــا مـــن " النقـــد المـــزدوج" يـــروم مـــن وراءه إلـــى المســـاهمة فـــي بلـــورة الـــدرس الفلســـفي المعاصـــر، و هـــو لا يكتفي بالنقـــد بـــل يطالـــب "الفيلســـوف العربـــي المعاصـــر" إلـــى الإنخـــراط في معمعـــة الواقـــع. فهـــو يقـــول: "الفيلســـوف كـــل مـــن يحـــاول التنظيـــر المباشـــر للواقـــع محـــاولا التعـــرف علـــى مكوناتـــه، مبـــدعا، دارســـا،

[8] ـ حســـن حنفـــي: موقفنـــا الحضـــاري"ضـــمن أعمـــال " الفلســـفة فـــي الـــوطن العربـــي المعاصـــر" مركـــز دراســـات الوحـــدة العربية، بيروت. 1985.ص41.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الأشياء ، محلـلا للظـواهر قـدر الإمكـان، متخليـا عـن المنقـول إلـى المعقـول، وواصـلا إلـى المعقـول مـن المشاهدة و الحس والتجربـة. إنـه كـل مـن يحـاول سـبر غـور الواقـع محصـيا إيـاه، عـدّا عـدّا، فـلا فكـر إلا مـن واقـع و لا ثقافـة إلا مـن شـعب.(...) بـدون هـذا الموقـف الحضـاري سـتظل الفلسـفة فـي جامعاتنـا و معاهـدنا نباتـا بـلا غـرس، هـواء بـلا طيـر، كتابـة بـلا مـداد. و سـنظل نعـاني مـا نعـاني منـه اليـوم مـن ضـياع و تشـتت وبكاء علـى غيـاب الفلاسـفة و تحسـر علـى الطـلاب. الفلسـفة مشـروع قومي حضاري.."[9].

أمـا صـاحب " الحـق العربـي فـي الاخـتلاف الفلسـفي" فهـو لا يختلف كثيـرا عـن صـاحب "الموقـف الحضـاري"، فالأسـتاذ طـه عبـد الرحمان يـدعو مـن موقعـه إلـى بلـورة سـؤال فلسـفي عربـي أصـالة ولـيس نيابـة، بمعنـى سـؤال فلسـفي عربـي أحـدث مقابـل السـؤال الفلسـفي اليونـاني القـديم، و السـؤال الفلسـفي الأوربـي الحـديث. يقـول طـه عبـد الرحمـان:" لـم تشـتهر الفلسـفة بشـيء اشـتهارها بممارسـة السـؤال، ولـم يطبـق المشـتغلون بهـا علـى شـيء إطبـاقهم علـى هـذا الوصـف؛ لكـن مـا أن نتأمـل هـذه الحقيقـة قلـيلا، حتـى نتبـين أن السؤال الفلسـفي لـم يكـن شـكلا واحـدا، و إنمـا كـان أشـكالا اختلفـت بـاختلاف أطـوار هـذه الممارسـة؛ و لا يخفـى أن أبـرز هـذه الأشـكال شـكلان اثنـان: السـؤال القـديم الـذي اخـتص بـه الطـور " اليونـاني" ، والسؤال الحديث الذي ميز الطور "الأوربي" "[10].

---

[9] - المرجع و الموضوع نفسه.

[10] - طه عبد الرحمان: " الحق العربي في الاختلاف الفلسفي"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت.2002- ص 13.

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و الواقـــع أن طمـــوح الأســـتاذ طـــه ع
النظـــري بامتيـــاز لطـــور ثالـــث مـــن الســـؤال الفلســـفي، إنـــه بالـــذات السؤال الفلســـفي العربـــي، يريـــده "ســـؤالا مســـؤولا". يقـــول الأســـتاذ عبـــد الرحمـــان:" و إذا تقـــرر أن الفيلســـوف الجديـــد، علـــى وجـــه العمـــوم، هـــو الســـائل المســـؤول، و أن صـــفة المســـؤول فيـــه تتقـــدم صـــفة الســـائل، ظهـــر أن الفيلســـوف العربـــي الجديـــد، علـــى وجـــه الخصـــوص، لـــيس هذا الـــذي يخـــوض فـــي أي ســـؤال اتفـــق، و لا ذاك الـــذي يخـــوض فـــي كل سؤال خـــاض فيـــه غيـــره، تقليـــدا لـــه، وإنمـــا هـــو الـــذي لا يســـأل إلا الســـؤال الـــذي يلزمـــه وضـــعه و يلزمـــه الجـــواب عنـــه – أي عليـــه مســـؤولية وضـــعه و مســـؤولية الجـــواب عنـــه– و لا لـــزوم للســـؤال الفلســـفي و لا للجـــواب عنـــه فـــي وضـــعية هـــذا المتفلســـف إلا حيـــث تتعـــين الحاجـــة إلـــى تحريـــر القـــول الفلســـفي العربـــي و فـــتح آفـــاق الإبـــداع فيـــه؛ و لا يحتـــاج الفيلســـوف العربـــي إلـــى شـــيء فـــي وضـــع أمتـــه الـــراهن احتياجـــه إلـــى استشـــكال مفهـــومين لـــيس أضـــر منهمـــا بـــالقول الفلســـفي العربـــي، تســـلطا عليـــه و تجميـــدا لـــه، وهمـــا: مفهـــوم " الفكر الواحد" و مفهوم" الأمر الواقع" "[11].

إنه " نقد مـــزدوج" ، ولكـــن بأســـلوب آخـــر، يمـــتح مـــن نـــوع مـــن الصـــياغة اللغويـــة العربيـــة الأصـــيلة، يـــراد لهـــا أن تحصـــن الســـؤال الفلســـفي العربـــي المعاصـــر لـــيس فقـــط نظريـــا و لكـــن أيضـــا لغويـــا وبلاغيا، من أجل .. إبداع " فلسفة عربية معاصرة".

[11]– المرجع نفسه ،ص16 .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و يفضـــل، مـــن جهتـــه، صـــاحب" طر

اختيار مقاربـــة سوســـيوثقافية تســـتند إلـــى فهـــم الواقـــع و التـــاريخ العربـــي المعاصر، فلكـــي " نفهـــم وضـــعية الفلســـفة فـــي الثقافـــة العربيـــة الحديثـــة أو المعاصـــرة، ينبغـــي لنـــا أن نفهـــم أولا الوضـــعية الشـــاملة لهـــذه الثقافة، وبالتـــالي الإطـــار العـــام للمرحلـــة التاريخيـــة التـــي انخـــرط العـــالم العربـــي فيهـــا منـــذ بدايـــة القـــرن التاســـع عشـــر . وفـــي الواقـــع، ليســـت نهضـــة العـــالم العربـــي انبعاثـــا للعصـــور الوســـطى العربيـــة الإســـلامية، و ليســـت مجـــرد نتيجـــة للاحتكـــاك مـــع الحضـــارة الغربيـــة الحديثـــة. إن نهضة العالم العربـــي تعنـــي دخـــول العـــالم العربـــي، بعـــد مرحلـــة طويلـــة مـــن الجمـــود، فـــي مرحلـــة تاريخيـــة جديـــدة، أي مرحلـــة تتمتـــع بخصـــائص و أبعـــاد لـــم تعرفهـــا المراحـــل الســـابقة. هـــذه المرحلـــة التاريخيـــة الجديـــدة مطبوعـــة جوهريـــا بالمواجهـــة التصـــادمية بـــين حضـــارتين: الحضـــارة العربيـــة الإســـلامية التـــي احتلـــت مركـــزا مرموقـــا بـــين الحضـــارات الكبـــرى فـــي العصـــور الوســـطى، والحضـــارة الغربية الحديثـــة التـــي تتميـــز بطـــابع عـــالمي لـــم يســـبق لـــه مثيـــل فـــي تاريخ الحضارات".[13]

إن هـــذه المواقـــف الثلاثـــة، وان كانـــت تختلـــف فـــي نزعتهـــا وأهدافها، إلا أنهـــا تجعـــل مـــن القـــول الفلســـفي العربـــي مســـألة مشـــروطة بشـــروط الواقـــع و إكراهـــات التـــاريخ، و هـــي بـــذلك تطمـــح ، فـــي اعتقادنا، إلـــى معالجـــة ســـؤال "الفلســـفة العربيـــة المعاصـــرة" مـــن منظـــور أكثر اعتدالا.

---

(12)- ناصيف نصار: " طريق الاستقلال الفلسفي" دار الطليعة، بيروت. 1986 .

(13) - ناصيف نصار: " مطارحات للعقل الملتزم" دار الطليعة، بيروت. 1986.ص12.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



إلا أن المواقـف التـي عرضـنا لهـا- تصـدر كلهـا، فـي اعتقادنـا، مـن خلفيـة يضـغط عليهـا و يطبعهـا الحضـور القـوي للنمـوذج الفلسـفي الغربـي، فهـي لا تسـتطيع الإفـلات مـن الجهـاز أو الأجهـزة المفاهيميـة و المنهجيـة وحتـى المذهبيـة لـذاك النمـوذج ، فهـي و إن كانـت تبغـي استنشـاق هـواء فلسـفي عربـي معاصـر أصـيل، إلا أنهـا لا تسـتطيع التـنفس بـدون منـاهج و أدوات ومفـاهيم هـي مـن صـلب الـدرس الفلسـفي الغربـي الحـديث والمعاصر.

مـن هنـا، فـإن سـؤال "الفلسـفة العربيـة المعاصـرة" و المعنـى الذي يمكـن أن يكتسـيه واللـون الـذي يمكـن أن يصـطبغ بـه، مرهـون، فـي تصـورنا، بنجـاح أي قـول فلسـفي كـان – مهمـا كانـت نزعاتـه واتجاهاته- بمـدى قدرتـه علـى تمثـل و اسـتيعاب كيفيـة نحـت و إبـداع و اشـتغال مفـاهيم الـدرس الفلسـفي فـي عمومـه، بمعنـى القـدرة علـى الابتعـاد عـن وهـم الإنتـاج النظـري الفلسـفي كأنسـاق و نظريـات، فـذلك أصـبح غيـر ذي جـدوى حتـى فـي عقـر دار الـدرس الفلسـفي الغربي المعاصر.

لنستمع إلى أحـد البـاحثين و هـو يشـخص مـا نـذهب إليـه قـائلا: "إن الدراسـات الابسـتيمولوجية صـارت تنـال بعـض الاهتمـام فـي الـوطن العربـي، و أصـبحنا نطـرح لبسـاط الـدرس مفـاهيم أفرزهـا تـاريخ العلـوم و نظرياتـه الابسـتيمولوجية و نتحـاور مـع أعمـدة الابسـتومولوجيا المعاصـرة: الوضـعية الجديـدة، باشـلار، كـانغيليم، فوكو.. غير أننا نفعل ذلـك بحثـا فـيهم عـن " بـديل" نسـتبدل بـه مـا لا

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



نرضـــاه بمـــا نرضـــاه، ننشـــد لـــديهم موقفـ جديـــدا، دون أن نقـــف عنـــد طبيعـــة الممارســـة الفلســـفية لـــديهم باعتبـــار أن الفلســـفة لا تحضـــر عنـــدهم، لا تمثـــل جـــاهزة، بـــل تتجلـــى كإســـتراتيجية، كنقـــد و خلخلـــة. و إن أخطـــر وهـــم مـــا زال يعـــاني منـــه الفكر الفلسفي العربـــي، هـــو وهـــم العثـــور علـــى موقـــف فلســـفي بـــديل ، لأن فيه تجاهلا لكون الفلسفة استراتيجية".[14]

الفلســـفة اســـتراتيجية.. بـــأي معنـــى؟ و بـــأي معنـــى آخـــر يمكـــن إيجـــاد اســـتراتيجية فلســـفية عربيـــة؟ .. الواقـــع العربـــي بمرحلتـــه التاريخيـــة المتداخلـــة و المعقـــدة لا يمكنـــه إلا أن يفـــرض علـــى القـــول الفلســـفي و الممارســـة الفلســـفية نوعـــا مـــن الانخـــراط النقـــدي والتحليلـــي لمشـــاكل واقعـــه وواقـــع الجماعـــة التـــي ينخـــرط فيهـــا، " فالفيلســـوف العربـــي المعاصـــر يمكـــن أن يتعـــرف مهمتـــه التـــي ســـتجعله مبـــدعا فـــي الفلســـفة منـــدرجا ضـــمن تاريخهـــا المعاصـــر لـــه إذا كـــان هـــو ذاتـــه معاصـــرا لمشـــكلاته، و إذا مـــا جعـــل منطلقـــه الأساســـي هـــو المشـــكلات لا الفلســـفات. فالفيلســـوف لا يكـــون مبـــدعا إذا لـــم يجعـــل كـــل جهـــده متجهـــا نحـــو مجـــرد الانتمـــاء إلـــى تســـمية مـــن التســـميات الكبـــرى فـــي تـــاريخ الفلســـفة، بـــل حـــين يجعـــل مجهـــوده متجهـــا بصـــفة أقـــوى إلـــى الانتمـــاء إلـــى مشـــاكل عصـــره و مشـــاكل الوضـــع التـــاريخي الخـــاص لـــه، بحيـــث لا يكـــون الرجـــوع إلـــى الانتمـــاءات الفلســـفية إلا عبـــر الضـــرورة الأســـمى التـــي هـــي الانتمـــاء إلـــى المشـــاكل . إن الفلســـفة المبدعة ليست هـــي الفلســـفة المتـــأثرة التـــي تقـــف عنـــد حـــدود تأثراتهـــا،

---

(14) ـ سالم يفوت: " الفلسفة و الفكر العلمي" في موقف جماعي:" الفلسفة العربية المعاصرة" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.2000. ص 145.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و ليست هي الفلسفة التي لا تتجاوز
الأفكار الجديدة. الفلسفة المبدعة هي الفلسفة الإشكالية لأن الإبداع ينطلق من الإشكالات لا من التأثرات ".[15]

و ضمن نفس الاتجاه يؤكد الدكتور طه عبد الرحمان قائلا: "كيف يصبح المتفلسف العربي مبدعا؟ و لكي يصبح كذلك، أرى أنه ينبغي أن يكون أكثر اتصالا لا بما أسميه بـ" مجاله التداولي"، و أقصد بذلك مجاله اليومي بمقوماته ومحدداته، قيما و معارف ومشاكل و هموما و آفاقا و ما إليها من أمور الواقع، وكلمة "التداول" عندي معناها بالذات هو أن تلك الأسباب أو الشرائط المحددة لليومي عملية لا نظرية، و جماعية لا فردية، و متغيرة لا ثابتة؛ فهدفي من وراء مختلف أعمالي هو على التحديد، الوصول إلى تحقيق الإبداع الفلسفي عن طريق الاتصال بالتداول اليومي، ذلك أني قلّبت نظري في نصوص الفلسفة العربية، فوجدت بها آفات و عيوبا كثيرة جعلتني أعود إلى النصوص الفلسفية في لغاتها الأصلية، و أنظر كيف يضع الفيلسوف مفاهيمه و كيف ينشئ أحكامه و كيف يبني نظريته، أي أراقبه في مختبره اليومي و هو يصنع فلسفته الخاصة به، بحيث تعيّن عليّ أن أتخذ من الفيلسوف موقف العالِم، أي أشهد عمله من الخارج .[16]

تبرز، إذن، أهمية و خطورة سؤال "الفلسفة العربية المعاصرة" ضمن هذا المسار بالذات، مسار البحث عن استراتيجية فلسفية عربية، لتكون بهذا المعنى تختار لنفسها أجندة

(15) ـ محمد قيدي: " بناء النظرية الفلسفية، دراسات في الفلسفة العربية المعاصرة"، دار الطليعة ، بيروت. 1990. ص 41.
(16) ـ طه عبد الرحمان: " حوارات من أجل المستقبل" دار الهادي، بيروت، 2003. ص: 37-38.

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



منتقـــاة مهامهـــا و أهـــدافها بدقـــة كاملـــة والإســـتراتيجية هـــي فـــي الأســـاس إفصـــاح و بـــوح بأشـــياء و الســـكوت عـــن أشـــياء وإســـقاطها مـــن جـــدول الأعمـــال فـــي الوقـــت نفســـه، وهـــو لعمـــري موقـــف لا تنـــاقض فيـــه علـــى الإطـــلاق، " فالفلســـفة العربيـــة المعاصـــرة "، مـــدعوة إلـــى إيجـــاد صـــيغة حكيمـــة للإبـــداع.. إبـــداع فـــي التعامـــل مـــع الفلســـفات و المفـــاهيم و المنـــاهج الفلســـفية، و إبـــداع فـــي إنتاج القـــول الفلســـفي الأصـــيل.. و لـــيس مـــن بـــاب إثـــلاج الصـــدور أن نورد شهادة ثمينة علـــى أن مثـــل هـــذه الاســـتراتيجية لهـــا مـــا يقابلهـــا فـــي واقـــع الفعـــل و الممارســـة الفلســـفية العربيـــة المعاصـــرة. فالأســـتاذ حســـن حنفي يعتبـــر أنـــه " وبـــالرغم مـــن أن المشـــاريع العربيـــة المعاصـــرة فـــي كثير منها ما زالـــت مرتبطـــة بثقافـــة المركـــز إلا أنهـــا ليســـت تابعـــة لهـــا. أحيانا تأخـــذ مذاهبـــه أو مناهجـــه كـــأداة للتحليـــل. و مـــع ذلـــك فهـــي تـــدل علـــى رغبـــة دفينـــة فـــي الإبـــداع، و فـــي التعبيـــر عـــن الواقـــع المحلـــي، و عـــن اســـتعمال ثقافـــة الآخـــر مـــن أجـــل تجديـــد مســـار الأنـــا. و لكـــن جـــيلا جديـــدا قـــد يكـــون أقـــدر علـــى الإبـــداع الـــذاتي الخـــالص دون استعانة بثقافة الآخر، بعد أن يكون قد تملك أدوات تحليله".[17]

و مثـــل هـــذا الكـــلام مـــا يـــدفع دفعـــا تهمـــة الإتبـــاع عـــن القـــول والممارســـة الفلســـفية العربيـــة المعاصـــرة ، أو علـــى الأقـــل تقلـــل مـــن حـــدتها إلـــى حـــد كبيـــر. و يجـــب أن نعتـــرف مـــع أحـــد المشـــتغلين بالدرس الفلســـفي العربـــي المعاصـــر، بـــأن هـــذه التهمـــة فـــي حاجـــة إلـــى إعـــادة القـــراءة و النظـــر، علـــى اعتبـــار أن " التـــأثر بالفلســـفات الســـابقة

[17] ـ حسن حنفي: " مقدمة في علم الاستغراب". مرجع سبق ذكره. ص 536.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



أو المعاصـــرة واقـــع طبيعـــي بالنســـبة لكـ الحاضـــر علـــى الســـواء. وإذا مـــا أردنـــا أن نجعـــل مـــن التـــأثر وحـــده سبيلا للحكم على الفلسـفات بالإتبـاع، فإنـه لـن تنجـو واحـدة منهـا مـن هـذه الصـفة، إلا إذا افترضـنا فلسـفة تكـون بمنزلـة بدايـة مطلقـة لا سابق لهـا. و هكـذا فـإن المسـألة الأساسـية فـي البحـث عـن الإتبـاع و الإبداع في الفلسـفة العربيـة المعاصـرة تصـبح هـي البحـث عـن مـدى اندراج الفيلسوف في هـذه الجهـة مـن العـالم فـي تـاريخ الفلسـفة العـام، وفـي تـاريخ الفلسـفة المعاصـر بصـفة خاصـة. تصـبح المسـألة الأساسية، بتعبيـر آخـر، هـي مـدى مسـاهمة الفيلسـوف العربـي اليـوم في الإضاءة الفلسفية للمشكلات الإنسانية المعاصرة".[18]

مـن هنـا، و انسـجاما مـع الموقـف المعتـدل و الـواقعي، و لكـن أيضا انسـجاما مـع إعمـال العقـل و التحليـل والنقـد و المسـاءلة، أصـبح من اللائـق الإقـرار بـأن " تاريخنـا الحـديث زاخـر بالمحـاولات الهادفـة إلى تمثـل الـدرس الفلسـفي الغربـي، انطلاقـا مـن نزعـة شـبلي شـميل التطوريـة (الداروني ـة)، ثـم وجوديـة عبـد الـرحمن بـدوي، فوضـعية زكـي نجيـب محمـود، و شخصـانية رينيـه حبشـي ومحمـد عزيـز الحبـابي، وأرسـطية يوسـف كـرم، وجوانيـة عثمـان أمـين و ديكارتيـة كمـال يوسـف الحـاج.. حتـى النزعـات المعاصـرة التـي تنهـل مـن الماركسـية أو مـن غيرهـا مـن الصـيغ الفلسـفية الأخـرى التـي تحتـل الساحة الفكريـة الراهنـة. ونعتقـد هنـا جـازمين أن التـراكم فـي الفلسـفة

(18) ـ محمد وقيدي:" مقدمات لابستناف القول الفلسفي في الفكر العربي المعاصر" في عالم الفكر، عدد 4، المجلد 30 أبريل – يونيو 2002، ص 138.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



شـــرط التطـــور. فهـــو يخلـــق تقليـــدا يعتبـــ
روح فلسفي".[19]

هكذا، إذن، وجـب إضـفاء نـوع مـن النسـبية علـى جـدل الإتبـاع و الإبداع فـي "الفلسـفة العربيـة المعاصـرة، إضـفاء النسـبية يعنـي أنـه لا وجـود لإتبـاع مطلـق، كمـا أنـه لا وجـود لإطـلاق فـي ميـدان الإبـداع. فعنـدما ننظـر إلـى الشـرط الـذاتي لفلسـفة الإبـداع سـنجد أن هذا الشرط ذاتـه فـي إطـار موضـوعي هـو تـاريخ الفلسـفة. كـل مـن يتفلسـف يبحـث عـن مكانـة فـي تـاريخ الفلسـفة، إن لـم يكـن التـاريخ الإنسـاني الشـامل فـي هـذا المجـال، فإنـه يكـون علـى الأقـل التـاريخ الخاص بأمـة مـا. لكـن هـدف الفيلسـوف دائمـا أن يتخـذ مكانـة ضـمن التاريخ الإنساني، و سـواء وقـع التصـريح بـذلك أو لـم يقـع فـإن القيمـة التي يفترضـها كـل فيلسـوف لأفكـاره هـي قيمـة شـمولية. و لا يرجـع ذلـك إلـى الطمـوح الـذاتي للفلاسـفة بـل إلـى الشـرط الموضـوعي المتمثل في طبيعة التفكير الفلسفي و تناوله لموضوعاته.[20]

**ثانيـا: اسـتلهام الـدرس الابسـتيمولوجي المعاصـر.. بحثـا عـن صياغة عربية للعقلانية:**

ارتـبط الـدرس الفلسـفي العربـي المعاصـر، منـذ أن اسـتأنف قوله ممارسـة و خطابـا مـع أواخـر القـرن التاسـع عشـر، أي مـع مـا يسـمى عصـر النهضـة، ارتـبط ارتباطـا قويـا برهانـات سياسـية وإيديولوجيـة و دينيـة و فكريـة شـكلت صـلب قولـه و جـوهره، وجعلـت منـه قـولا فلسـفيا مشـروطا بإكراهـات الفكـر النهضـوي

(19) ـ سالم يفوت:" المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر"، دار الطليعة. بيروت. 1999، ص 29-30
(20) ـ أنظر محمد وقيدي" بناء النظرية الفلسفية"، مرجع سابق ، ص 33.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



وتوابعـــه الثقافيـــة و الحضـــارية والسياســـية والتبنـــي معـــا.. فأمـــا اليـــتم فهـــو راجـــع إلـــى فعـــل الاســـتئناف ذاتـــه، فالـــدرس الفلســـفي العربـــي المعاصـــر جـــاء بعـــد انقطـــاع طويـــل عـــن ممارســـة الفلســـفة دام قرونـــا عديـــدة؛ فكـــان غيـــاب الفلســـفة العربيـــة الإســـلامية، و افتقـــاد الـــدرس الفلســـفي العربـــي المعاصـــر لهـــا، بمثابـــة غيـــاب الأب – حتـــى و إن لـــم يمـــت– شـــكل بحـــق حالـــة يـــتم.. و أمـــا مســـألة التبنـــي فتمثلـــت فـــي اتجـــاه " الفلســـفة العربيـــة" الحديثـــة والمعاصـــرة إلـــى تبنـــي فلســـفات و اتجاهـــات و نظريـــات فلســـفية ليســـت هي من " بنات أفكارهـــا"، بـــل حتـــى أنهـــا لـــم تختـــر لهـــا أســـماء جديـــدة، فبقيـــت الوجوديـــة هـــي نفســـها، و الشخصـــانية كـــذلك، و التطوريـــة، نفس الشـــيء.. و غيرهـــا مـــن الفلســـفات.. ومـــا يثيـــر حقـــا فـــي مســـالة التبنـــي هـــذه، هـــو أن تلـــك الفلســـفات المتبنـــاة، تمـــت رعايتهـــا والســـهر عليهـــا حتـــى يشـــتد عودهـــا وفـــق معـــايير و أســـاليب و طـــرق زجريـــة، وفـــي أحســـن الأحـــوال انتقائيـــة، ذلـــك أن المربـــي و الراعـــي و المنشـــئ كـــان يصـــدر عـــن حالـــة نفســـية مطبوعـــة و مشـــحونة بعواطـــف اليتـــيم من جهة، و شعور المتبني بالنقص والدونية من جهة أخرى .

لقـــد شـــكلت الشـــروط التاريخيـــة أحـــد العوامـــل الرئيســـية والحاســـمة فـــي تكـــريس مثـــل هـــذه الحالـــة المشخصـــة أعـــلاه. إلا أن الحالـــة لـــم تبـــق ســـجينة مطبّاتهـــا و عوائقهـــا الداخليـــة العاطفيـــة والنفســـية، و لكـــن ســـرعان مـــا اســـتطاع الـــدرس الفلســـفي العربـــي المعاصر أن ينتقـــل إلـــى وضـــع جديـــد، تمكـــن فيـــه مـــن الإنفتـــاح علـــى درس فلســـفي متجـــدد و جديـــد، هـــو بالـــذات الـــدرس الابســـتيمولوجي

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



المعاصر كما تبلور و تطور في الفلسفة أيضا كما ارتبط فلسفيا و عقلانيا بأصوله وجذوره التجريبية والمنطقية و العقلية.

و لعل أبرز سمة و مظهر تميز به ذلك الإنفتاح هو إصراره القوي على تمثل و استيعاب الروح الفلسفية و العقلانية الثاوية فيها عبر النزوع نحو الفكر العلمي الحديث و المعاصر، والسعي الحثيث وراء استلهام الدرس الابستيمولوجي المعاصر، إنْ عبر تبني الاتجاهات العلمية الفلسفية صراحة، أو عبر التوظيف الابستيمولوجي لمفاهيم و مناهج و أدوات ذلك الدرس، و حتى روحه الفلسفية النقدية الصارمة، و التي لم تكن في النهاية سوى الروح العقلانية بامتياز .

و هكذا، إذن، سعت العقلانية في صيغتها العربية إلى أن تكون حالة صحية أكثر من ذي قبل. إنها "ليست ابنا شرعيا، للايدولوجيا بشقيها الفلسفي و السياسي، في مشروع الفكر العربي. فالعقلانية ليست إلا مسبقا من المسبقات المعرفية التي انداحت لتفرض نفسها في ثنايا الفكر العربي، بعد "الصدمة الكولونيالية " و إثر التعرف على مصادر الفلسفة و النهضة الأوربية".[21]

ذكرنا أعلاه أن الدرس الفلسفي العربي المعاصر ارتبط ارتباطا وثيقا بفكر النهضة العربية في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. و مثل هذا الكلام يفضي بنا إلى القول أن تجليات العقلانية كفعل تنويري يلتزم إعمال العقل في النظر و الفهم

(21)– عادل فوزي شعيبي : "العقلانية..مقاربة نموذجين: الغرب والعرب" في دراسات عربية. عدد 5 مارس 1988، بيروت ، ص85.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



والتحليـل و النقـد و التأمـل .. ارتبطـت ار
تلـك النهضـة، و بمختلـف اتجاهاتهـا السـلفية الدينيـة، والليبراليـة العلمانيـة، و النقديـة، و التحليليـة فـي ارتباطهـا بالـدرس الفلسـفي عموما، أو الدرس العقلاني العلمي (الابستيمولوجي).

و إذا نحـن اسـتعرنا التصـنيف الـذي يعتمـده الـدكتور حسـن حنفي فـي التـأريخ للعقلانيـة العربيـة، سـنجد أن هنـاك ثـلاث محطـات أساسـية هـي "العقلانيـة الإصـلاحية" ،و"العقلانيـة اللبراليـة"، و"العقلانيـة العلميـة".[22] وإذا كانـت الأولـى قـد مثلهـا جمـال الـدين الأفغـاني و محمـد عبـده و رشـيد رضـا وحسـن البنـا... و آخـرون، ومثـل الثانيـة رفاعـة الطهطـاوي و خيـر الـدين التونسـي، و طـه حسـين و غيـرهم. فـإن الثالثـة " تعنـي العقلانيـة التـي ارتبطـت بـالعلم الطبيعـي فـي الغـرب الحـديث، و كمـا تمثلهـا شـبلي شـميل و فـرح أنطـون و نقـولا حـداد و يعقـوب صـروف و سـلامة موسـى و زكـي نجيب محمود و فؤاد زكريا و مراد وهبة...".[23]

إن مثـل هـذا التصـنيف يكتسـي أهميتـه بـالنظر إلـى أن العقلانيـة العربيـة المعاصـرة ارتبطـت حتمـا بفعـل اسـتئناف الفكـر والنظر الـذي طبـع حقبـة سـميت بمرحلـة النهضـة . و مـا يفيـدنا فـي ذلـك هـو أن تلـك المحطـات كانـت عبـارة عـن تـراكم مفيـد جـدا، وممهـد، بمـا لا يقبـل مجـالا للشـك أو الجحـود، للـدرس الفلسـفي عمومـا، و ارتباطاتـه بالـدرس الابسـتيمولوجي كمـا اسـتوعبه و قـرأه الدارسـون والمفكـرون الغـرب. و هكـذا أمكـن التواطـؤ مـع أحـد

---

(22) ـ حسـن حنفي: " المصـادر الفكريـة للعقلانيـة في الفكـر العربـي المعاصـر" في مؤلـف جمـاعي" حصـيلة العقلانيـة و التنوير في الفكر العربي المعاصر" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. 2005.
(23) ـ المرجع نفسه، ص 50.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الباحثين عندما يقول: " ليس صحيحا وحده الذي عرف منسوبا من العقلانية والتنوير من دون سائر تيارات الفكر العربي الأخرى. ربما كان أكثرها تشبعا بقيم العقلانية بسبب تشربه تلك القيم من مرجعه الفكري: الفكر الليبرالي الأوربي . لكنه، قطعا ، لم يكن الفكر الوحيد الذي مثل تلك القيم. فعقلانية محمد عبده ليست تقل عن عقلانية فرح أنطون؛ و عقلانية الكواكبي ربما تجاوزت مثيلتها لدى أديب اسحق. كما أن علي عبد الرازق (الأزهري) و أحمد أمين لم يكونا أقل تشبعا بالعقلانية من طه حسين، ولا كان عبد الحميد بن باديس و علال الفاسي أقل عقلانية من لطفي السيد...".[24]

إن هذا الاستنتاج يؤكد ما قلناه من أن فكر النهضة في كل اتجاهاته بما فيها الاتجاه الإصلاحي الديني مثل تراكما هاما لبلورة و صياغة عقلانية عربية معاصرة. " إن العقلانية (الإصلاحية) الإسلامية قدمت مساهمة رائدة في الانفتاح على الثقافة الكونية، و في الدفاع عن التقدم، و عن الدولة الوطنية الحديثة، وفي مقارعة الاستبداد و الدعوة إلى الحرية و العدل السياسي. و ما بذرته من بذور في مجال الإصلاح الديني في القرن التاسع عشر- خاصة مع محمد عبده- وجد طريقة إلى الاستمرار و التجديد مع علي عبدالرازق و عبدالحميد بن باديس وعلال الفاسي في القرن العشرين . و الأمر نفسه يقال عن العقلانية الليبرالية- و الحداثية- التي قدمت مساهمتها في تنسيب

(24) - عبد الإله بالقزيز: " نظرة تقويمية في حصيلة العقلانية و التنوير" في المرجع نفسه، ص 277-278.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الفكر العربي إلـى الفكـر الإنسـاني، وفـي النطـاق فـي مجـالات الفكـر والفلسـفة و العلـوم الإنسـانية و فلسـفة العلوم (الابستيمولوجية) وميدان الدراسات التراثية".[25]

و مـع ذلـك ، إننـا نقـول أن اكتمـال الصـياغة العربيـة للعقلانيـة و نضـجها تمـت مـع تحـول الفكـر العربـي المعاصـر نحـو العمـل الجـدي و الحقيقـي علـى تمثـل الفعـل النقـدي الفلسـفي والابسـتيمولوجي فـي شـقيه ووجهتيـه نحـو قـراءة و نقـد التـراث مـن جهـة و قـراءة واسـتلهام و توظيـف الـدرس الفلسـفي الغربـي المعاصـر و اتجاهاتـه الابسـتيمولوجية و النقديـة، و هكـذا "يمكـن أن نميـز فـي النشـاط الفلسـفي العربـي المعاصـر بـين الإشـتغال بـالتراث تحقيقـا و تحلـيلا وتقييمـا و تـأويلا، و بـين الإشـتغال بنقـل و دراسـة و تقيـيم الفكـر الغربي لفهمـه و التعـرف عليـه، و كـذا لفهـم الغيـر والـذات مـن خلاله، و بـين الحاجـة إلـى فلسـفة تعبـر عـن الواقـع العربـي الـراهن في مختلف مكوناته و توجهاته".[26]

و لا شـك ،أن مثـل هـذا التحـول نحـو النقـد الابسـتيمولوجي فـي القـول الفلسـفي العربـي المعاصـر أخـذ أشـكالا مختلفـة و متعـددة فـي صـياغة مضـامينه و حتـى أهدافـه وطموحاتـه، فهـي كانـت تـارة علميـة علمانيـة، فتمثلـت و تبنـت صـراحة فلسـفات بعينهـا كمـا هـو الحـال بالنسـبة للوضـعية المنطقيـة و ممثلهـا الأبـرز فـي الفلسـفة العربيـة المعاصـرة الـدكتور زكـي نجيـب محمـود وغيـرهم. أو بتوظيـف نتـائج الـدرس الابسـتيمولوجي المعاصـر ، أي إعمـال

---

(25) ـ المرجع نفسه : ص296.
(26) ـ محمد سبيلا: " مدارات الحداثة.." مرجع سابق ، ص 44.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



مفاهيمـــــه و أدواتـــــه و مناهجـــــه بشـــــكل إ
بـــــالغرض (sa pertinence) بالنســـــبة للموضـــــوع المـــــدروس، كمـــــا هـــــو الأمـــــر بالنســـــبة للابســـــتيمولوجيا الفرنســـــية و مـــــا نحتتـــــه مـــــن مفـــــاهيم باشـــــلارية و فوكويـــــة و التوســـــيرية.. و غيرهـــــا، و تطبيـــــق تلـــــك المفـــــاهيم مـــــن قبـــــل بعـــــض الاتجاهـــــات البحثيـــــة و الفكريـــــة خاصـــــة لـــــدى مفكري و باحثي دول المغرب العربي.

و في كل الأحـــوال فـــإن ذلـــك التحـــول صـــيغ ضـــمن أفـــق و هـــمّ عقلانـــي بحـــت، وهـــو فـــي ذلـــك كـــان يشـــتغل تحـــت وطـــأة تـــأثير انتصـــارات العلـــم المعاصـــر و انجازاتـــه ســـواء فـــي المنطـــق أو الرياضيات و الفيزياء وتداعياته الفلسفية الابستيمولوجية.

ولعل الذي أعطى قوة و مشروعية القول الابستيمولوجي عربيا، أو في صيغته الفلسفية العربية المعاصرة، هو ذلك الوعي بخطورة و أهمية العلم و ما يحمله في طياته من قيم معرفية و ثقافية هامة "إنها القيم المتصلة بروحه من حيث هي روح وثابة و منهج نقدي يستفز ركوننا إلى التأثر بالمسلمات القائمة ويحرضنا على طرح السؤال على الآراء السائدة حتى لا نقع فريستها و تحت طائل سلطتها، ومن حيث أن لتحولاته آثارا و انعكاسات على المفاهيم السائدة في المجال الفلسفي والثقافي تدفعها دفعا في اتجاه مراجعة ذاتها كمفاهيم، إلى حد يمكن معه القول: إن الثقافة المواكبة للتاريخ هي تلك التي تجعل نفسها، إلى حد ما، صدى للعلم واستجابة واعية له تفتح لها بابا من خلاله تطل على التاريخ لتركب موجته ولا تطرد منه، و لتستوعب قيم التجديد و تبلور حداثة فكرية و ثقافية. ولن تستطيع أي ثقافة أن تتجدد حقيقة و تحيا داخل جدرانها الضيقة ما لم تستوعب الاستثارة النقدية

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



التي تنشأ مع تقدم العلوم و تحولاتها، خصوصا لسيادة العقلانية التي هي رمز المشاركة في الحداثة و الدخول في التاريخ.[27]

و يعبر أحد الباحثين العرب المعاصرين عن ذلك التحول الجديد في القول الفلسفي ذي الأفق العقلاني و النزوع الابستيمولوجي المتعدد، قائلا:" و هناك سمة أساسية تعكس خصوصية هذه اللحظة مقارنة بسابقاتها، سمة تتيح لنا إمكانية انجاز توصيف أكثر دقة لنوعية حضور تيارات العقلانية و فكر التنوير في إطارها، فقد بدأت ملامح الجدل الفكري تتخذ صبغة تنظيرية، و برزت الملامح الدقيقة للمرجعية الفلسفية في الكتابة والنظر، وكتبت النصوص الأكثر كثافة و اتساقا، كما حضرت مفاهيم العقلانية الفلسفية بكثافة ووضوح بارزين، و هو الأمر الذي كان مفتقدا في نصوص اللحظتين السابقتين، لحظة تهجي أبجدية العقلانية وعناوينها في نصوص الطهطاوي و خير الدين، و لحظة الشعارات و الدعاوى العامة في كتابات فرح أنطون ولطفي السيد و سلامة موسى. نقف في هذه اللحظة على مكاسب اللحظتين السابقتين و قد استوت في صورة نصوص أكثر قوة، ولغة أكثر تشبعا بالمفاهيم و التصورات المسندة بلغة المدارس والتيارات الفكرية الصانعة للمفاهيم و الأدوات النظرية، المساعدة في عملية بلورة الفكر القادر على بناء النظر بأقصى ما يمكن من الفعالية النظرية المساعدة على تمثل المعطيات و تركيب القضايا بأساليب الفكر المتداولة في تاريخ الفلسفة".[28]

---

(27) ـ سالم يفوت: مكانة العلم في الثقافة العربية" دار الطليعة : بيروت، 2006. ص 45.

(28) ـ كمال عبد اللطيف: " تيارات العقلانية و التنوير في الفكر العربي" في " حصيلة العقلانية و التنوير.." مرجع سابق. ص 197.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و يميز الباحث نفسه في لحظة ال

"العقلانية الوضعية ثم العقلانية النقدية، و الجامع الفلسفي بين هذين التيارين يتمثل في مساعاهما الفكري و المنهجي الرامي إلى المساهمة في ترسيخ مبدأ تخطي عقلانية عصورنا الوسطى ذات الطابع النصي الإطلاقي، و ذلك في اتجاه الانخراط في ميدان التمرس بلغات عقلانية الأزمنة المعاصرة و استيعاب مقدماتها الكبرى".[29]

أما " العقلانية الوضعية" فنعثر على أثر لها في أعمال زكي نجيب محمود وقسطنطين زريق و أنور عبد المالك و فؤاد زكريا... ففي أعمال هؤلاء نجد أنفسنا أمام درجة عالية في تمثل المفاهيم و الأطروحات الكبرى في الفلسفة الوضعية، و نجد إرادة التوظيف المعرفي و التاريخي لهذه المفاهيم والأطروحات...

و أما " العقلانية النقدية"، فالأمر يتعلق فيها بالنزعة التاريخانية التي يمثلها عبد الله العروي و تعزز دائرة حضورها أعمال مجموعة كبيرة من الباحثين في قطاعات معرفية مختلفة، حيث تحضر مقدمات العقلانية التاريخانية [30]مدعمة لاختيار فكري مقتنع بجدارة المكاسب الفكرية للحضارة المعاصرة، و ساعٍ

---

(29) ـ المرجع و الموضع نفسه.

(30) ـ يعرف عبد الله العروي التاريخانية قائلا: " خلاصة القول أن ما أعنيه بالتاريخانية مبني على أربع مراحل: 1- التاريخانية كمنطق للنظر إلى مشكلات مطروحة (الفلسفة ، الحرية، الدولة، القدر). و العملية الأولى هي عملية التجريد و التفريغ، و الوعي و الذي لا يصل إلى هذه المرتبة لا نسميه فيلسوفا... 2- العملية الثانية متعلقة بالتكوين الذهني... إذا لم يصل الشخص إلى هذا المستوى لا يمكن أن يفهم لا نفسه و لا غيره. و الضرورة في هذه المرحلة هي الصدق. من أين لك أن تكونك أنت الذي تريد أن تفهم؟ لا بد من نوع من التحليل النفساني أو الفينومولوجيا. ينبغي أن يتمرن الإنسان على تحليل فكره، و هناك من الفلاسفة من حاول ذلك. 3- هناك ضرورة للمعرفة و للثقافة بمعناها العام، أي المعرفة بظروف المشكل. 4- نعود إلى القضية ونحللها. هل نصل إلى جواب؟ يمكن أن نقدم جوابا. و لكنه يكون جوابا لحل المشكل في ظروفه، أي جوابا لا علاقة له بالفلسفة. لا يمكن، إذن، أن نقول في زمننا هذا و في مكاننا هذا، أننا يمكن أن نعطي جوابا فلسفيا. كل ما يمكن قوله هو أننا نحاول أن نقف موقفا فلسفيا من المشاكل، وهو بالضرورة موقف تاريخاني ، فالتاريخانية ليست اختيارا، لأنك لا يمكن أن تختار غيره إلا إذا انفصلت عن الزمان و عن المكان". أنظر: عبد الله العروي: "تاريخ الفلسفة أم فلسفة التاريخ؟" في " أعمال ندوة الفكر الفلسفي في المغرب المعاصر" منشورات كلية الآداب بالرباط، 1993، ص 30..

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



لمزيـــد مـــن تطويرهـــا باســـتيعاب مقـــدما
وهيمنتهـــا.. و نزعـــة نقـــد العقـــل التراثـــي و يمثلهـــا كـــل مـــن : محمـــد أركـــون و محمـــد عابـــد الجـــابري ومختلـــف القـــراءات التراثيـــة الجديـــدة المســـتخدمة لمنهجيـــات العلـــوم الإنســـانية و الراميـــة إلـــى المســـاهمة فـــي إعـــادة ترتيـــب المكـــون التراثـــي فـــي علاقاتـــه المعقـــدة بالحاضـــر العربـــي. و هكـــذا فـــإن أعمـــال أركـــون و الجـــابري ســـاهمت فـــي بنـــاء أطروحـــات مطـــورة لكفـــاءة التعقـــل و التنظيـــر فـــي الفكـــر المعاصـــر ، سواء فـــي المســـتوى القـــومي أو فـــي المســـتوى العـــالمي، و ذلـــك بحكـــم منطلقاتها الأســـاس فـــي التعامـــل مـــع مفـــاهيم و منـــاهج الفكـــر الإنســـاني في أبعاده المختلفـــة... كمـــا نجـــد فـــي العقلانيـــة الثاويـــة خلـــف تاريخانيـــة العـــروي خيـــارا راديكاليـــا يتمثـــل فـــي حرصـــه علـــى الإقـــرار الواضـــح بجملـــة مـــن المقـــدمات و النتـــائج فـــي عمليـــات تعقلـــه لأســـئلة و قضـــايا التـــأخر التـــاريخي العربـــي ... كمـــا أن العقلانيـــة فـــي نصـــوص أركـــون و الجـــابري تتخـــذ طابعـــا تجريبيـــا، حيـــث تـــتم محاصـــرة النصـــوص والمفاهيم و التصورات و الكلمات ضـــمن دلالتهـــا المبنيـــة فـــي إطـــار نظـــري محكـــوم بنظـــام فـــي المعرفـــة لا يمكـــن تجـــاوزه إلا بتكســـيره، وتركيـــب نظـــام جديـــد بـــديل لـــه، موصـــول بالمكاســـب المنهجيـــة الجديدة...[31]

هكـــذا، إذن، بـــدت الصـــياغة العربيـــة للعقلانيـــة شـــبيهة فـــي خطواتهـــا و أهـــدافها ومراميهـــا، بخطـــوات الفعـــل الفلســـفي و التنـــويري الـــذي ســـاد وهـــيمن علـــى إشـــكاليات الفكـــر العربـــي المعاصـــر، فـــإذا

[31] ـ أنظر كمال عبد اللطيف : " تيارات العقلانية.." مرجع سابق، ص 200-201-204-206.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



كانت العقلانية هـي الأخـت الشـقيقة للفلسـ

فـإن التنـوير هـو فعـل عقلانـي فلسـفي بامتيـاز ، فـ" الأنـوار أو التنوير هو الإسـم الحركـي لأكثـر العقلانيـات نضـالا فـي تـاريخ الفكـر البشـري .(...) فعقلانيـة التنـوير ليسـت مجـرد تيـار فكـري أو مـذهب فلسفي يـؤمن بالعقـل كمبـدأ معرفـي وأخلاقـي، بـل هـي حركـة فكريـة و ثقافيـة شـاملة جعلـت مـن العقـل قضـية حيويـة تناضـل مـن أجـل توطيـده فـي كـل المجـالات الطبيعيـة و الإنسـانية و العقائديـة بـدون استثناء. و قد كـان الطريـق إلـى ذلـك تحريـر العقـل البشـري مـن أي وصاية أو سـلطة فكريـة أو عقائديـة أو سياسـية، مـع إعـادة النظـر فيـه ليصبح تفكيـرا شخصـيا حـرا طليقـا قـابلا للمراجعـة والنقـد باسـتمرار. و الغايـة البعيـدة مـن وراء هـذه العقلانيـة هـي رد تجليـات الوجـود المختلفة لمبدأ بشري هو العقل".[32]

و إذا نحـن استحضـرنا تعبيـر الـدكتور حسـن حنفـي:" فالعقـل هو أعدل الأشـياء قسـمة بـين النـاس. و هـو أول مـا خلـق الله. و هـو الكلمـة و الفكـر والمنطـق. و منـه اشـتق لفـظ التنـوير أي أنـوار العقل...".[33]

إن الصـياغة العقلانيـة هـي صـياغة أنواريـة بالأسـاس، فهـي كفعـل فلسـفي لا تـرتبط بـالعلوم و تطورهـا ودروسـها المتتاليـة و المتجددة، بل هي أيضـا تـرتبط بـروح التنـوير الـذي يمـتح مـن العقـل و العلم معا ...

---

(32) ـ محمد المصباحي: " مفهوم التنوير من خلال مقالة كانط "ما التنوير"؟" . في موقف جماعي:" المفاهيم تكونها و سيرورتها" منشورات كلية الآداب بالرباط 2000، ص 129 .

(33) ـ حسن حنفي: " نحو تنوير عربي جديد محاولة للتأسيس "في عالم الفكر، الكويت، عدد 3 يناير – مارس 2001، ص 91.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و إذا كـــان التنـــوير كمـــا العقلانيـــة ومكـــابرين ومعترضـــين، و ذلـــك حتـــى فـــي قلـــب العقلانيـــة الغربيـــة المعاصرة بـــدءا بنيتشـــه الـــذي قـــام بهـــدم " أصـــنام" العقـــل الغربـــي منـــذ اليونـــان إلـــى غايـــة لحظتـــه هـــو (لحظـــة الجنـــوب)، مـــرورا بأشـــكال متعـــددة مـــن اللاعقلانيـــة، التـــي طبعـــت الفلســـفة الغربيـــة لمســـاحات عريضة مـــن التـــاريخ وصـــولا إلـــى الإنتقـــادات الفلســـفية العميقـــة للعقـــل الغربـــي(هوكـــايمر، أدورنـــو، هابرمـــاس، والمدرســـة النقديـــة)، وحتـــى داخـــل معمعـــة العلـــم و الـــدرس الابســـتيمولوجي المعاصـــر كمـــا هـــو الأمـــر مـــع فيربانـــد و كـــوهن، و لا كـــاتوس. و هـــي انتقـــادات جـــاءت على اعتبار أن العقـــل أصـــبح "عـــن طريـــق العلـــم و التقنيـــة قـــوة شـــاملة للمراقبـــة و الهيمنـــة علـــى الإنســـان و الطبيعـــة معـــا. و ســـبب هـــذا التحول الشـــمولي و الســـلطوي للعقـــل، انقلـــب تفـــاؤل التنـــوير فـــي مزيـــد من الحريـــة والتقـــدم، إلـــى تشـــاؤم وخيبـــة أمـــل جـــراء انقـــلاب الحريـــة إلـــى عبوديـــة مقيتـــة ... والســـلام إلـــى عنـــف وحشـــي لا نظيـــر لـــه... والعقلانيـــة إلـــى لاعقلانيـــات.."[34] ...إذا كـــان الأمـــر قـــد جـــرى علـــى هذا المنوال بالنســـبة للعقلانيـــة الغربيـــة. فـــإن مســـألة العقلانيـــة عنـــدنا مـــا كـــان لهـــا أن تنســـخ نســـخا أو تســـقط إســـقاطا، فســـيّان بـــين تاريخنـــا وتاريخهم وهـــا هـــو عبـــد الله العـــروي يخبرنـــا عـــن المســـألة قـــائلا:"مـــن هنا ينشأ التســـاؤل حـــول مفهـــوم العقلانيـــة، يقـــول المفكـــر التقليـــدي: هـــل العقل يفسر اليـــوم كـــل شـــيء؟ لا... بـــدليل مـــا يقولـــه الغربيـــون أنفســـهم. و هذا اعتـــراض صـــحيح، لكنـــه لا ينفـــد إلـــى صـــميم الموضـــوع. يجـــب

(34) ـ محمد المصباحي:" مفهوم التنوير.." مرجع سبق ذكره ، ص 146.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



اعتبار مـا كانـت تقـول أوربـا علـى لسـ
تقـول أن كـل شـيء يفسـر بالعقـل، و كانـت العقلانيـة آنـذاك دعـوة أيديولوجيـة، مكنـت أوربـا أن تتطـور فـي كـل المجـالات و لا يضـر أوربـا تراجعهـا النسـبي فـي هـذا الميـدان. أمـا بالنسـبة لنـا فالسـؤال المطروح هو الآتي: هـل نـتمكن مـن انجـاز كـل التغييـرات التـي نحـن مطالبون بانجازهـا إذا لـم نـراهن علـى العقلانيـة اليـوم، رغـم تراجـع الغـرب و رغـم التحفظـات النظريـة التـي يمكـن أن توجـه إلـى العقلانيـة كفلسـفة؟ (...) لا يجـب تحديـد العقلانيـة بكيفيـة مجـردة فلسـفية (...) بـل يجـب اسـتقراؤها مـن التطـوير التـاريخي، مـن الظـروف الواقعيـة التـي تمكنـت فيهـا مجتمعـات معينـة مـن التقـدم والازدهار".[35]

و إذا نحـن أخـذنا فـي الاعتبـار نظـرة العـروي التاريخيـة هـذه، و اسـتلهمنا مفـاهيم و منـاهج و أدوات الـدرس الابسـتيمولوجي المعاصـر، مـن موقـع إجرائـي بالأسـاس سـيرتبط " مفهـوم العقلانيـة فـي ذهننـا بتلـك الثـورة الغـراء علـى التقاليـد والأفكـار الموروثـة والمعتقـدات الخاضـعة لمنطـق القلـب والعاطفـة، وعلـى النزعـات الإمتثالية فـي تقليـد الـنظم و الأنمـاط و الأعـراف السـائدة، و علـى كـل مـا مـن شـأنه أن يغيّـب أو يـبطّن، أو ينكـر أو يمحـو معـالم الكـون المرئـي لحسـاب التصـورات الغيبيـة و الدينيـة و النمـاذج المثاليـة. وإن أسـس النقـد العقلانـي أعـادت إلـى عـالم المحسـوس و المـادة، و الجسد والطبيعـة كامـل حقوقـه السـليبة، و ذلـك فـي إطـار الوضـوح

[35] ـ عبد العروي:" العرب و الفكر التاريخي" المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، 1998. ص 18.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



اليقينـــي و الايجـــابي (العلمـــي). و مـــن الفلســفي هــو الســبّاق إلــى وضــع مبــادئ وأهــداف النظــرة العقلانيــة، وتحديـــد أصـــول الاســـتنتاج و الاســـتقراء و رســـم أنمـــاط الإدراك والتجريـــد و القيـــاس و الإحصـــاء، داعيـــا إلـــى إحـــلال المعـــادلات المنطقيـــة– الرياضـــية و المصـــنفات التبســـيطية و التصـــورية المعنويـــة مكـــان المفـــاهيم التقليديـــة القائمـــة علـــى الجزئيـــات المحسوســـة، المبتســـرة و الخاطئـــة، و بهـــذا المعنـــى تكـــون العقلانيـــة مرتبطـــة بتطـــور نظريـــة العلوم...".[36]

و إذا نحـــن تفحصـــنا جانبـــا آخـــر مـــن الصـــياغة العربيـــة للعقلانيـــة، ســـنجد أن هنـــاك أصـــواتا أخـــرى بـــدأت ترتفـــع و تـــدعو إلـــى التأســـيس و التأصـــيل لعقلانيـــة عربيـــة معاصـــرة، علـــى غـــرار الـــدعوة إلـــى فلســـفة عربيـــة معاصـــرة أصـــيلة، و هـــا هـــو الأســـتاذ طـــه عبـــد الرحمـــان يصـــر علـــى "أن العقـــل فعـــل و لـــيس ذاتـــا؛ و الغـــرض مـــن هذا الإلحـــاح هـــو بالـــذات تحريـــر الفكـــر العربـــي مـــن التبعيـــة لعقلانيـــة فكر غيره و جعله يجتهد في وضع عقلانية من عنده...".[37]

إن دعـــوة طـــه عبـــد الرحمـــان، تنطـــوي فعـــلا علـــى نـــوع مـــن التأســـيس والتأصـــيل، فهـــي مربوطـــة، كمـــا نـــرى، بإصـــرار علـــى أن "العقل فعل ولـــيس ذاتـــا"، بمعنـــى آخـــر فـــإن الصـــياغة العربيـــة للعقلانيـــة يجب أن تعـــي تمـــام الـــوعي أن العقلانيـــة المنشـــودة لا يجـــب، بـــل لـــيس في الـــوارد أصـــلا، أن تـــرتبط بأيـــة تجربـــة أنطولوجيـــة (الـــذات) .. إنهـــا فقـــط فعـــل و نشـــاط مســـنود بمفـــاهيم و أدوات إجرائيـــة لـــيس إلا.. و هـــا

[36] ـ أحمد دياب شعبو:" آفاق الثورة العقلانية و حدودها في مجال العلوم الإنسانية" في مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 29، ديسمبر ، جانفي 1984، ص 61 .
[37] ـ طه عبد الرحمان: " حوارات من أجل المستقبل " مرجع سابق، ص 47.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



هو جان أولمـــو يخبرنـــا قـــائلا: " لـــيس للعقـ مضـــمون دائـــن ، لـــيس هنـــاك معطـــى عقلـــي. لـــم يعـــد العقـــل يعـــرف كمجموعـــة مـــن المبـــادئ: انـــه القـــدرة علـــى القيـــام بعمليـــات تبعـــا لقواعـــد... انـــه أساســـا نشـــاط و فعاليـــة. إن العقلانيـــة هـــي إذن اليقـــين فـــي أن النشـــاط العقلـــي ســـيتعرف كيـــف تنشـــأ منظومـــات تنطبـــق علـــى ظواهر مختلفة".[38]

و تبعا لهذا المعنـــى، وانســـجاما مـــع مـــا يُطمـــح إليـــه مـــن صـــياغة عربيـــة للعقلانيـــة تكتســـي طابعـــا تعـــدديا و اجرائيـــا، و تبتعـــد أو تتجـــاوز بـــداهات و طبـــائع العقـــل عنـــد ديكـــارت، و مقولاتـــه لـــدى كـــانط، أي بكلمة واحدة " العقـــل المضـــموني"؛ فإنـــه قـــد تبـــيّن للـــدكتور طـــه عبـــد الرحمان "بمـــا لا يـــدع مجـــالا للشـــك، أنـــه لـــيس فـــي الأفعـــال الإدراكيـــة فعل أكثر تقلبـــا أو تغيـــرا مـــن الفعـــل العقلـــي، فـــلا يتقلـــب فـــي مراحـــل متعددة بالنســـبة لتـــاريخ الإنســـانية فحســـب، بحيـــث مـــا كـــان عقليـــا فـــي مرحلـــة ســـابقة قـــد يصـــير لا عقليـــا فـــي مرحلـــة لاحقـــة، و العكـــس بالعكس، بـــل يتقلـــب كـــذلك فـــي أطـــوار مختلفـــة بالنســـبة للفـــرد الواحـــد، بحيث ما كان معقولا عنده فـــي طـــور مـــا قـــد يصـــير غيـــر معقـــول فـــي طور غيره، و العكـــس بـــالعكس، و لا يقـــف الأمـــر عنـــد حـــد التغيـــر فـــي الزمان، بل يجـــاوز ذلـــك إلـــى التغيـــر فـــي المكـــان، فقـــد يكـــون الشـــيء الواحـــد عقليـــا فـــي مجـــال معرفـــي أو نســـق منطقـــي، و قـــد لا يكـــون كذلك في مجال معرفـــي أو نســـق منطقـــي غيـــره، وقـــد يكـــون عقليـــا مـــن

(38) -JEAN ULLMO : « la pensée scientifique moderne », ed : Flammarion, paris, 1969, P 253.
أورده : محمد سبيلا و عبد السلام بنعبد العالي في " الفلسفة الحديثة نصوص مختارة" ، دار الأمان، الرباط، 1991، ص 139.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



هـذا الوجـه و غيـر عقلـي مـن وجـه الأمـر؛ وأصـبحتُ الآن علـى يقـين مـن أن العقلانيـات أكثـر مـن أن تحصـى، و مـن يريـد أن يحصـيها فهـو كمـن يريـد إحصـاء أفعـال الإنسـانية فـي كـل أزمنتهـا و كـل أمكنتهـا؛ أمـا الـذي يقـول بعقلانيـة واحدة، فهـو كمـن يريـد أن يجعـل أفعـال الإنسـانية كلهـا فعـلا واحـدا، و هذا غاية الضيق في النظر".[39]

نلمـس بوضـوح و جـلاء تمثـل و اسـتلهام الـدرس الابسـتيمولوجي المعاصـر فـي محاولـة طـه عبـد الرحمـان لصـياغة عقلانيـة عربيـة، تريـد لنفسـها أن تكـون متعـددة وأصـيلة، و لكنهـا تمتح، رغمـا عنهـا، مـن تبـدل و تطـور مفهـوم العقلانيـة بفعـل نتـائج ومسـتجدات الابسـتيمولوجيا.. و هـي مسـتجدات تحـتم إعـادة النظـر في مفهوم العقلانيـة تبعـا لـذلك.. فمـثلا "مـن المعـروف أن مبـدأ عـدم التنـاقض هـو شـرط أساسـي للعقلانيـة، و بمـا أن الـديالتييزم[40] مـذهب يـرفض مبـدأ عـدم التنـاقض، فمعنـى هـذا أنـه يتنـافى مـع العقلانيـة ، علـى الأقـل بمفهومهـا الكلاسـيكي. لكـن أصـحاب هـذا المـذهب يـدافعون عـن مـوقفهم بقـولهم بـأن العقلانيـة لا ينبغـي أن تكون مفهوما جامدا تماما كمـا هـو حـال مبـادئ المعرفـة بشـكل عـام، سـواء أكانـت صـورية أو غيـر صـورية، برهانيـة أو تجريبيـة. أضـف

---

(39) - طه عبد الرحمان: " حوارات .." مرجع سبق ذكره، ص 49.

(40) - الـديالتبيزم أو التناقضـات الصـادقة (Dialetheia) كلمـة مـن أصـل يونـاني تتكـون مـن شـقين هـما: di - و تعنـي اثنين أو ضعف ، و aletheia و تعني الصدق أو الحقيقة. و هي كلمة تم نحتها سنة 1981 من طرف العالمين Priest و Rouley . و تعني اصطلاحا التناقض الصادق، أي امكان وجود عبارات من نوع ب بحيث تكون ب و نقيضها صادقتين معا و في نفس الوقت. و هذا مذهب رغم جدة اسمه، له جذور في تاريخ الفلسفة بشكل عام. نجده مثلا عند فلاسفة يونان تبنوا فلسفة التناقض الصادق و خاصة في الديانات الشرقية، أما في الفترة المعاصرة فقد انتعشت نزعة التناقض الصادق لوجود حوافز أخرى أهمها ظهور المنطق الرياضي و تطوره مع فلاسفة أمثال برتراند رسل... و هكذا أصبح مذهب التناقض الصادق نزعة فلسفية قائمة بذاتها خلال الثمانينات من القرن العشرين . ولقد تراجع عن هذا بليتة في كثير من المفاهيم العلمية، بل حتى في الأسس العقلانية للعلم نفسه...
أنظر بالتفصيل حول هذا الموضوع: عبد السلام بن ميس: " قضايا في الابستيمولوجيا و المنطق" مرجع سبق ذكره، ص 118-119.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



إلى ذلك أن ما هو عقلاني ليس بالضـ التناقض فقط. فالشروط التي تحدد المعرفة العقلانية هي شروط قابلة للنقاش. (...) و ما علينا أن نفعله الآن هو إعادة تعريف العقلانية بشكل يأخذ بعين الإعتبار التطورات الجديدة التي تظهر على الساحة الابستيمولوجية. لقد سيطرت العقلانية الأرسطية على الفلسفة منذ قرون. و نحن نعرف أن العقلانية الأرسطية تميزت بدفاعها عن مبدأ عدم التناقض و عن مبدأ التماسك. كما ساد الاعتقاد أيضا بأن التماسك هو سمة أساسية لكثير من المفاهيم مثل مفهوم الصحة و مفهوم الصدق و مفهوم المعنى ومفهوم العقلانية و غيرها. لقد ترسخ هذا الاعتقاد في عمق روح الفلسفة التقليدية. ولكن ظهور الديالتيزم (مذهب التناقض الصادق) كشف عن سطحية هذا الاعتقاد. و حتى إذا كان التماسك فعلا شرطا أساسيا لتلك المفاهيم، فهو كذلك لأسباب أخرى أعمق نجهلها، و ليس لكونه شرطا ضروريا للعقلانية".[41]

إن الدرس الابستيمولوجي المعاصر بات يفرض جملة من الميزات والخاصيات الجديدة على العقلانية.. على الفلسفة بالذات؛ و العقلانية بفعل ذلك لم تعد مقرونة بأي مضمون موضوعي أو أنطولوجي، بل هي أصبحت أداة للتدبر والاشتغال النظري والفلسفي بمواصفات و مقاييس إجرائية، منحتها بالتالي صفة التعدد، فلم تعد العقلانية جامدة و لا متحجرة، تماما كالفلسفة التي تحولت من أم للعلوم إلى محاورة و مجادلة لها..

[41] - المرجع نفسه، ص 119- 120.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و في هـذا الاتجـاه بالـذات، يـذهب بعيـدا فـي تكـريس هـذا الموقـف ، و هـذا الفهـم التعـددي للعقلانيـة ، ورغم هـواجس وهمـوم التأصـيل، فإننـا نشـم فـي كـلام الـدكتور طـه رائحة قوية، كتلـك التـي تتبعـث مـن توابـل الهنـد، مـع فـارق واضـح هـو أن المصـدر لـيس الهنـد، بـل البلـدان الأنجلوساكسـونية، والتوابـل هـي الفلسـفة التحليليـة. يقـول الأسـتاذ طـه عبـدالرحمن بوجـود "عقلانيتـين اثنتـين علـى الأقـل همـا: "العقلانيـة البرهانيـة" التـي تحكـم الممارسـة العلميـة داخـل المختبـرات والمصـانع والمراصـد والمؤسسـات الأكاديميـة ، وينضـبط بهـا الخطـاب العلمـي عمومـا، والتـي لا أثـر لهـا فـي الحيـاة اليوميـة؛ و"العقلانيـة الحجاجيـة" التـي تحكـم علاقـات التعامـل اليـومي بـين النـاس والتـي ينضـبط بهـا الخطاب الطبيعـي عمومـا؛ وبنـاء علـى هـذه التفرقـة، (...) هـل يمكـن الحـديث عـن فلسـفة برهانيـة؟ فـإذا كـان المقصـود بالفلسـفة البرهانيـة فلسـفة تكـون عبـارة عـن جملـة مـن الأدلـة التـي تسـتوفي نفـس المقتضـيات المنطقيـة التـي تسـتوفيها الأدلـة فـي العلـوم الدقيقـة، فـلا وجـود لمثـل هـذه الفلسـفة (...) نظـرا لأن اللغـة الفلسـفية ليسـت ابـدا لغة علميـة، حتـى يصـح أن نقـول بأنهـا تسـتعمل الأدلـة العصـية ذات الصبغة البرهانيـة، وإنمـا هـي لغـة طبيعيـة، ولا ارتيـاب فـي أن اللغـة الطبيعيـة لا تسـتخدم إلا الأدلـة الطيعـة ذات الصـبغة الحجاجيـة.(...) وليس في الصـفة الحجاجيـة للفلسـفة مـا يحـط مـن قـدرها، بـل، علـى العكـس مـن ذلـك، يجعلهـا أغنـى مضـمونا وأقـدر علـى أن تنفـذ فـي

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الأمـــور اليوميـــة وأن تتفاعـــل معهـــا، بحيـ
أسباب التجدد والإبداع ."[42]

تلـــك كانـــت إحـــدى الصـــياغات العربيـــة للعقلانيـــة، تريـــد لنفســـها التعـــــــدد والتفـــــــرد، دون أن تغفـــــــل الـــــــدرس الفلســـــــفي والابســـــتيمولوجي..وهـــي واحـــدة ضـــمن صـــياغات أخـــرى تختلـــف وتتنـــوع ولكنهـــا تتوحـــد فـــي مشـــروع العقـــل والعقلانيـــة بمشـــاربها الفلسفية والابستيمولوجية...

(42)– طه عبدالرحمان "حوارات ..." ، مرجع سابق ، ص47-48 .

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

# الفصـــــــــل الخامس

## الوضعية المنطقية و تطبيقاتها في الفكر العربي المعاصر ...
## و الأسلوب العربي في الابستيمولوجيا

أولا: الوضعية المنطقية و نموذج زكي نجيب محمود

ثانيا: الأسلوب العربي في الابستيمولوجيا

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



**أولا: الوضـــعية المنطقيـــة و تطبيقاتهـــا فـــي الفـ**

**زكي نجيب محمود)**

لا يجادل اثنـــان فـــي أن الوضـــعية المنطقيـــة كفلســـفة و اتجـــاه جديـــد فـــي الـــدرس الابســـتيمولوجي المعاصـــر اســـتطاعت أن تشـــكل جـــزءا مـــن المشـــهد الفلســـفي العربـــي المعاصـــر، بفضـــل أحـــد أكبـــر ممثليهـــا فـــي الفكـــر العربـــي وهو الـــدكتور زكـــي نجيـــب محمـــود. و رغـــم أنـــه مـــن المجحـــف أن نختصـــر الحديث، فـــي هـــذا الحيـــز، عـــن الأســـتاذ نجيـــب محمـــود فـــي جانبـــه الفلســـفي فحسب، فإننا نعلم جميعـــا أنـــه كـــان فيلســـوفا و أديبـــا و ناقـــدا فـــي كـــل مراحـــل حياتـــه الفكريـــة، حتـــى أنـــه فـــي الكثيـــر مـــن الأحيـــان كانـــت تلـــك الصـــفات تتـــداخل فـــي اتســـاق و انســـجام، مـــا يجعـــل الرجـــل موســـوعة بكـــل مـــا فـــي الكلمة من معنى.

إن الـــدور الـــذي قـــام بـــه الـــدكتور زكـــي نجيـــب محمـــود فـــي التعريـــف والتـــرويج، و كـــذا تبيئـــة الفلســـفة الوضـــعية المنطقيـــة فـــي التربـــة الفكريـــة والفلسفية العربيـــة، كـــان دورا شـــبيها ومماثلا للـــدور الـــذي قـــام بـــه الفيلســـوف الإنجليزي ألفرد آيـــر، الـــذي كـــان بحـــق ســـفير حلقـــة فينـــا و الفلســـفة الوضـــعية المنطقية فـــي إنجلتـــرا فـــي أواســـط القـــرن العشـــرين. إن تشـــبيه الـــدكتور زكـــي نجيب بألفرد آير من حيث المهمـــة التـــي قـــام بهـــا كـــل واحـــد منهمـــا فـــي بلـــده، لـــيس أمـــرا مقحمـــا و لا إعتباطيـــا. ففضـــل آيـــر كـــان حاســـما علـــى زكـــي نجيب، فهو الـــذي فـــتح عينيـــه علـــى المدرســـة "الوضـــعية المنطقيـــة" و هـــو لمّـــا يزل طالبـــا يعـــد رســـالته فـــي الـــدكتوراه. يقـــول زكـــي نجيـــب محمـــود: " كنـــت لـــم أزل ماضـــيا فـــي إعـــداد رســـالتي للـــدكتوراه، و موضـــوعها هـــو 'الجبـــر الـــذاتي' – و هـــو موضـــوع – كمـــا تـــرى يمـــس حريـــة الإرادة بصـــفة أساســـية

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و جوهريـــة. ودون أن أعتمـــد فـــي البدايـــة أن المذهب أو ذاك من مـــذاهب الفلســـفة، فقـــد جـــاءت الأفكـــار منســـاقة نحـــو شـــيء يشبه مذهب برجســـون فـــي فكرتـــه عـــن التطـــور الخـــلاق، وعـــن طبيعـــة الحيـــاة كيف تبدع ما هو جديـــد، كمـــا انســـاقت الأفكـــار كـــذلك نحـــو شـــيء يشـــبه حريـــة الإنسان عنـــد بعـــض فلاســـفة الوجوديـــة، و بينمـــا أنـــا مـــاض فـــي طريقـــي ذاك أعلـــن عـــن تعيـــين الـــدكتور ألفـــرد آيـــر .. رئيســـا لقســـم الفلســـفة فـــي الكليـــة الجامعة بجامعـــة لنـــدن، و جريـــا علـــى العـــرف المـــألوف، كـــان علـــى الأســـتاذ الجديـــد أن يفتـــتح عملـــه بمحاضـــرة عامـــة، و أعلـــن بالفعـــل عـــن موعـــد تلـــك المحاضرة، لـــم أكـــن قـــرأت شـــيئا للـــدكتور آيـــر، فرأيـــت ضـــرورة أن أعـــرف عن الرجل شيئا قبـــل اســـتماعي لمحاضـــرته العامـــة، فكـــان أول مـــا قرأتـــه مـــن كتبـــه، كتابـــه الـــذي يلخـــص بـــه اتجاهـــا فلســـفيا ظهـــر أولا فـــي فيينـــا خـــلال العشـــرينيات مـــن هـــذا القـــرن [العشـــرين]، ثـــم أخـــذت دائرتـــه تتســـع، و هـــو اتجاه أطلق عليه أصـــحابه اســـم " الوضـــعية المنطقيـــة" ثـــم شـــاع لـــه بعـــد ذلـــك اســـم آخـــر لعلـــه أنســـب و هـــو " التجريبيـــة العلميـــة "، فمـــا إن تلقيـــت الفكـــرة الأساسية فـــي هـــذا الاتجـــاه، حتـــى أحسســـت بقـــوة أننـــي خلقـــت لهـــذه الوجهـــة من النظر." [1]

كان ذلك فضل آيـــر، و طبيعـــة الصـــدفة التـــي جعلـــت مـــن زكـــي نجيـــب محمود يتلقى " الفكرة الجديـــدة " التـــي أحـــس أنـــه خلـــق لهـــا .. و لكـــن المســـألة لم تكن فقط مســـألة إحســـاس أو قضـــية صـــدفة، فالأســـتاذ زكـــي نجيـــب محمـــود كان يراكم مـــن الفكـــر و المعرفـــة عبـــر ســـنوات مـــن البحـــث و الدراســـة، كمّـــا هـــائلا، جعلـــه يقـــف موقفـــا شـــبيها بـــالموقف الإلهـــامي أو الصـــوفي الحدســـي

[1]– زكي نجيب محمود: "قصة عقل" دار الشروق. القاهرة . 1983 . ص 56 – 57

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



المعرفي. و هو يقول عن ذلك الموقف ما يا
ربيع سنة 1946،تلك التي كنت فيها جالسا كعادتي كل يوم أطالع وأكتب و أدون المذكرات، في المكتبة العامة بالمبنى الرئيسي لجامعة لندن عندما أحسست بما يشبه اللمعة الذهبية تتوقد لتضيئ لي طريقي منذ ذلك الحين و إلى الساعة التي أكتب فيها هذه الصفحات (1982) وكان الموضع الذي أطالعه عندئذ هو عرض لموقف فلسفي لم يكن قد مضى على ولادته في صورته المعروضة أكثر من ربع قرن و أسماه أصاحبه يومئذ بالوضعية المنطقية وهو نفسه الذي أطلق عليه فيما بعد اسم "التجريبية العلمية" و أما اللمعة الذهبية التي أحسست بها في تلك اللحظة، فهي شعوري بأنني أقع هنا، دون سائر التيارات و المذاهب ولم يبد لي الأمر مقصورا على مزاج شخصي يتفق و ذلك الموقف الفلسفي الجديد، كأنما هو ثوب فصل على طبيعة تفكيري تفصيلا جعل الرداء على قدر المرتدي، بل شعرت في اللحظة نفسها بأنه إذا كانت الثقافة العربية بحاجة إلى ضوابط تصلح لها طريق السير فتلك الضوابط تكمن ها هنا."[2]

و لأن الضوابط، في رأي زكي نجيب محمود، تكمن في الفلسفة الوضعية المنطقية، و حاجة الفكر و الثقافة العربية المعاصرة إليها، هي أكثر من ضرورة، فإن أستاذنا سيسخر كل أعماله تقريبا من أجل الدعوة لتلك الفلسفة و نشرها في الفكر العربي، إنه يقول مرة أخرى: " و لا أظنني مسرفا في القول إذا زعمت بأنني منذ تلك اللحظة من ربيع سنة 1946، و حتى هذه الساعة، ظللت داعيا إلى تلك الوقفة الفلسفية العلمية

[2]– المرجع نفسه . ص 92

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



فـي كـل مـا كتبتـه، بطريـق مباشـر مـرة، فكانـت الـدعوة بـالطريق المباشـر كلمـا أخـذت أتنـاول الموضـوع بالشـرح والتوضـيح، و كانـت بـالطريق غيـر المباشـر كلمـا كـان موضـوع الكتابـة شيئا آخـر غيـر الفلسـفة، كالنقـد الأدبـي مـثلا، لكننـي نظـرت إليـه بمنظـار الوضـعية المنطقيـة، وحاسـبت نفسـي حسـابا عسـيرا فـي دقـة الصـياغة اللفظيـة كمـا تريـد لنـا تلـك الوقفـة الفلسـفية أن نفعـل اتجـاه اللغـة، كتابـة وقراءة."[3]

يشعر الـدارس و هـو يقـرأ دعـوة الـدكتور زكـي نجيـب محمـود إلـى تمثـل و تبنـي الاتجـاه الفلسـفي الوضـعي الجديـد، أن هنـاك قناعـة قويـة ووحيـدة لـدى مفكرنـا بـأن لا سـبيل للخـروج مـن التخلـف الفكـري والحضـاري و الاجتمـاعي، سـوى أن يركـب المثقـف والفيلسـوف العربـي تلك الفلسفة و يجـذف بقـوة بعيـدا فـي اتجـاه بـر العقلانيـة و التفكيـر العلمـي و ما يرتبط بها من حداثة و تقانة.

إن دعـوة نجيـب محمـود، يجـب فهمهـا فـي سـياقها التـاريخي، فهـي بقـدر مـا تسـتجيب لانشـغال معرفـي و فكـري و فلسـفي، مـدفوع برغبـة عارمـة فـي تأسـيس و تأصـيل قـول فلسـفي عربـي معاصـر، يمـتح مـن خلفيـات و مرجعيـات عقلانيـة و علميـة، بقـدر مـا هـي مشـروطة بشـروط تاريخية و مجتمعيـة ضـغطت بقـوة علـى حمولـة الخطـاب الفكـري والفلسـفي عنـد نجيـب محمـود. إن تـداخل هـذين العنصـرين كانـا سـمة هـذا الفكـر وركنـه الأساسـي. إن دعـوة مفكرنـا بقـدر مـا اجتهـدت فـي الشـرح و

[3]– المرجع نفسه . ص 92–93

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



التوضـــيح و التفكيـــر العقلانـــي فـــي أبعـــاده الـ
ونقـــد، و إبـــداع، و حتـــى كتابـــة يوميـــة صـــحفية و غيرهـــا. انتهـــت إلـــى نـــوع من الحســـرة و الوقـــوف العـــاجز علـــى واقـــع الحـــال، إن كـــان فلســـفيا و علميـــا، أم مجتمعيا وحضاريا.

إن ذلك الوقـــوف نقـــرأه فـــي كـــلام زكـــي نجيـــب محمـــود و هـــو يقـــول: " ليس لنا فلســـفة خاصـــة بنـــا لا داخـــل الجامعـــات و لا خارجهـــا و العلـــة بســـيطة واضـــحة، الفلســـفة بكـــل شـــروطها و بكـــل عصـــورها هـــي فـــي آخـــر المطـــاف تعليق علـــى ثقافـــة قائمـــة، هـــذه الثقافـــة القائمـــة إن كانـــت دينـــا ، يـــأتي النشـــاط الفلســـفي ذا صـــبغة دينيـــة و إذا كـــان علمـــا يـــأتي النشـــاط الفلســـفي ذا صـــبغة تتعقـــب العلـــوم و ضـــوابطها و مقوماتهـــا و غيـــر ذلـــك. فـــي اليونـــان كانـــت الثقافـــة أخلاقيـــة فتعقبـــت الفلســـفة هـــذا المجـــال. لابـــد لهـــذه الثقافـــة القائمـــة أن ينشأ لهـــا فيلســـوف ليحللهـــا و يردهـــا إلـــى المنبـــت الأول الـــذي صـــدرت عنـــه، هـــذه هـــي عمليـــة الفلســـفة . لابـــد أن تكـــون الثقافـــة قـــد نبتـــت فـــي المكـــان والزمـــان ليظهـــر فيلســـوف لهـــا مـــن المكـــان و الزمـــان، ثقافـــة مبدعـــة تولـــد فلسفة مبدعة تسايرها."[4]

إن هـــذا الموقـــف الـــذي عبـــر عنـــه زكـــي نجيـــب محمـــود فـــي المراحـــل المتأخرة مـــن تفكيـــره يعكـــس، فـــي واقـــع الأمـــر، طبيعـــة التبـــدّلات و التغيـــرات التي طـــرأت علـــى فكـــره، و لكنـــه، أيضـــا، موقـــف يـــدل دلالـــة واضـــحة علـــى رفضـــه البـــيّن للقـــول " الفلســـفي " الســـائد هـــا هنـــا و هنـــاك و الـــذي ارتـــبط باتجاهـــات إصـــلاحية نهضـــوية نهلـــت بـــدورها و اســـتلهمت تيـــارات فلســـفية

[4]– حول: "العقل العربي و الثقافة العربية"، حوار مع د. زكي نجيـب محمـود. أجـراه د. صـلاح قنصـوة. فـي المسـتقبل العربـي. عدد 114 . أوت 1988 . ص 131

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



غربيـــة مثاليـــة و متافيزيقيـــة، اقتنـــع منـــذ الب
الفلسفي الذي كان يروج لـه، أنهـا لـن تفيـد فـي شـيئ الواقـع العربـي، و لـن تسهم فـي أيـة نهضـة فكريـة أو فلسـفية أو حضـارية ينشـدها العـالم العربـي. " و في ضـوء هـذا يمكـن أن نفهـم تلـك الثنائيـة التـي لازمـت زكـي نجيـب محمـود: فالعقائـد و القـيم ينبغـي أن تبقـى علـى مسـتوى الممارسـة والسـلوك (لأن هذا هو مجالهـا)، فـي حـين أن المعرفـة ينبغـي أن تبقـى مـن شـأن العلـم والعقل، و إذا كـان الشـرق (الفنـان) يعـول علـى الحـدس فـي المعرفـة، فـإن الغرب يعوّل على العقل والعلم."[5]

و لأن مفكرنـا التـزم منـذ البدايـة طريـق العقلانيـة و حريـة الفكـر، فقد كان موقفـه الفلسـفي، رغـم إخلاصـه و التزامـه مبـادئ الفلسـفة الوضـعية المنطقية، مرنـا و منفتحـا إلـى أبعـد الحـدود، خصوصـا اتجـاه واقعـه العربـي الإسلامي الفلسفي منـه علـى الخصـوص، فقـد طبـع فكـره بالمراجعـة وإعـادة المراجعـة، دون أن يعنـي ذالـك التراجـع أو التنكـر للمبـادئ والمواقـف والرؤى. و هكذا خـرج مفكرنـا مـن تلـك المراجعـة " بقناعـة واحـدة ووحيـدة وهي تلك التـي تمثلـت فـي اعترافـه الشـجاع بـأن مثـل ذلـك المنطـق و ذلـك الفكـر العـربيين المنشـودين لتحـديث الواقـع العربـي لا يمكـن البحـث عنهمـا فقط في تلك الفلسفة الوضعية بـل لابـد مـن طريـق آخـر إلـى جانبهـا، طريـق نابع من الفكر العربـي ذاتـه.... و لـيس ذلـك الطريـق الـذي يعتـرف الراحـل بأنـه غـاب طيلـة سـنين و سـنين سـوى طريـق التـراث العربـي الإسـلامي الذي يشـكل مهـد ذلـك الفكـر و أبـرز صـور تجليـه، و الـذي اسـتقطبه فـي

[5]– سعيد توفيق "أزمة الإبداع في ثقافتنا المعاصرة". مجد . المؤسسة الجامعية للدراسات. بيروت 2007. ص 61

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



النهاية مثل ما استقطب مـن قبـل، و فـي ظـرو
الرحمن بدوي و توفيق الحكيم و عثمان أمين و غيرهم...."[6]

و يعبـر الـدكتور زكـي نجيـب محمـود عـن هـذا الموقـف قـائلا: " إن مشكلة المشـكلات فـي حياتنـا الثقافيـة الراهنـة، ليسـت هـي: كـم أخـذنا مـن ثقافـات الغـرب و كـم ينبغـي لنـا أن نزيـد (...) إنمـا المشـكلة هـي: كيـف نوائم بين ذلـك الفكـر الوافـد الـذي بغيـره يفلـت منـا عصـرنا أو نفلـت منـه، وبين تراثنا الذي بغيره تفلت منا عروبتنا و نفلت منها؟ "[7]

إن إسـهام الـدكتور زكـي نجيـب محمـود فـي التـاريخ الفكـري والثقـافي العربـي المعاصـر لا يكمـن فـي كونـه ممـثلا لتيـار الوضـعية المنطقيـة و ربيبتهـا الفلسـفة التحليليـة. بقـدر مـا يتمثـل فـي اسـتلهامه لمـنهج التفكيـر العلمـي و التحليـل المنطقـي فيهمـا، و هـو المـنهج الـذي حـاول إشاعته فـي كتاباتـه و مقالاتـه التـي خرجـت عـن إطـار الكتابـات الأكاديميـة الضيقة، ومـن هنـا كـان تأثيرهـا فـي جمهـور المثقفـين و القـراء. و هـذا مـا ميز مفكرنـا عـن غيـره مـن تلاميـذه و أقرانـه ممكـن تبنّـو هـذا المنحـى، إذا ظل هـؤلاء فـي حـدود التخصـص الأكـاديمي الضـيّق و لـم يوظفـوا قناعـاتهم الفكرية في إطار الحياة الثقافية العامة.[8]

إن فـرادة فكـر زكـي نجيـب محمـود لا تكمـن فقـط فـي المـذهب الفلسفي الذي تبنته وروجـت لـه و ناضـلت مـن أجـل تبيئتـه فـي بيئـة الثقافـة

---

[6]– البخاري حمانة: "مكانة زكي نجيب محمود في الحركـة الفلسـفية العربيـة المعاصـرة "فـي المسـتقبل العربـي.عـدد 222، أوت 1997. ص 51

[7]– زكي نجيب محمود: "تجديد الفكر العربي" دار الشروق القاهرة 1980. ص 5–6

[8]– أنظر : سعيد توفيق: "أزمة الإبداع ..." مرجع سابق . ص 61–62

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و الفكـــر العربـــي، بـــل هـــي نابعـــة بالأســـاس العلـــم و التفكيـــر العلمـــي كطريـــق ســـليم و أكيـــد لكـــل تقـــدم و نهـــوض، " إن الـــدعوة العلميـــة التـــي تحملهـــا الوضـــعية المنطقيـــة و هـــي مـــن أنضـــج المحـــاولات فـــي الفكـــر الفلســـفي العربـــي المعاصـــر – يمكـــن أن تكـــون ذات مـــردود إيجـــابي فـــي المنـــاداة بالوضـــوح الفكـــري و الدقـــة فـــي اللغـــة، و فـــي الارتبـــاط بالتجربـــة و الاختبـــار كأســـاس للمعرفـــة وفـــي التمســـك بـــالروح العلميـــة عامـــة (...) إن الـــدعوة إلـــى التفكيـــر العلمـــي الواضـــح و الســـليم والمنطقي دعوة إجابة في نطاق فكر متخلف."[9]

لـــذلك فـــإن التـــرويج أو قبـــول أو رفـــض الفلســـفة الوضـــعية لا يهـــم و لا يفيد الثقافة العربية بقـــدر مـــا يهـــم فضـــل و أهميـــة هـــذه الفلســـفة فـــي تـــرويج و إشـــاعة الـــروح العلميـــة فـــي الفكـــر العربـــي. و الـــدكتور حســـن حنفـــي محـــق تماما عندما يقـــول أن " الـــدعوة إلـــى الفكـــر العلمـــي فـــي بيئتنـــا الحاضـــرة أكثـــر جـــدوى مـــن الهجـــوم علـــى العقـــل العلمـــي كمـــا يفعـــل برجســـون فـــي الفكـــر الغربـــي المعاصـــر، فـــالفكر الأســـطوري الغيبـــي يجـــد توازنـــه فـــي الفكـــر العلمـــي لا فـــي نقـــد العلـــم".[10] و الحـــق أن الوضـــعية المنطقيـــة كفلســـفة للمعرفـــة يمكـــن أن تســـهم فـــي معالجـــة بعـــض القضـــايا الفكريـــة، و يمكـــن أن تكـــون دعـــوة إيجابيـــة إلـــى العلـــم و الاختبـــار و الوضـــوح و الدقـــة و غيرهـــا من القـــيم الأخلاقيـــة للعلـــم فـــي حـــدود كونهـــا نوعـــا مـــن الـــدعوة الإصـــلاحية على مستوى الفكر أو تربية فكرية علمية...[11]

---

[9]– محمد سبيلا: " مدارات الحداثة ... " مرجع سبق ذكره. ص 51

[10]– حسن حنفي: " قضايا معاصرة " ج I في فكرنا المعاصر. دار التنوير بيروت. 1983 . ص 68

[11]– أنظر محمد سبيلا. المرجع السابق. ص 50

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و إذا مـا نحـن عـدنا إلـى طبيعـة القـ

محمود و كيـف يمـارس مـن طرفـه، وجـدنا أن الفلسـفة بالنسـبة لمفكرنـا هـي بنـت عصـرها، و لأن " عصـرنا هـذا هـو عصـر العلـم بـلا منـازع فإنـه أصبح إلزاما علـى فلسـفة هـذا العصـر هـي الأخـرى أن تسـاير العصـر فـي أبـرز ملامحـه و أن تعبـر عـن اهتمامـات النـاس بـالعلم و انشـغالهم بّإنجازاته هكـذا كـان طـابع الفلسـفة فـي كـل عصـر مـن العصـور و هكـذا رأى الدكتور زكـي نجيـب محمـود أنـه الأنسـب لهـا أن تكـون علميـة الطـابع في زمننا هذا. زمن العلم و التطور التكنولوجي ". [12]

و لكـن مـا معنـى أن تكـون الفلسـفة علميـة، يجيـب الـدكتور نجيـب محمود قـائلا: " لسـنا نريـد بفلسـفتنا العلميـة أن نشـارك العلمـاء فـي أبحـاثهم ، فنبحـث فـي الضـوء و الكهربـاء كمـا يبحثـون، فلهـم وحـدهم أدوات البحـث فـي الأشـياء و فـي الكائنـات و لـيس لنـا إلا مـا يقولـون مـن تلـك الأشـياء والكائنـات مـن عبـارات و مـا يصـوغونه عنهـا مـن قـوانين؛ فـإذا حصـرنا اهتمامنـا – لا فـي إضـافة عبـارات إلـى عبـاراتهم، أو فـي صـياغة قـوانين غير قوانينهم– بـل فـي عبـاراتهم نفسـها و قـوانينهم نفسـها نحللهـا مـن حيـث هـي تركيبـات مـن رمـوز، لنـرى إن كانـت تنطـوي أو لا تنطـوي علـى فرض أو علـى مبـدأ فنخرجـه لعـل إخراجـه مـن الكمـون إلـى العلـن يزيـد الأمـر وضـوحا، أقـول إننـا إذا حصـرنا اهتمامنـا فـي هـذا، كانـت فلسـفتنا علمية بالمعنى الذي نريده لها. "[13]

---

[12]– عبد الله العمر: " اللغة و فلسفة العلم عند زكي نجيب محمود " فـي مؤلـف جمـاعي " زكـي نجيـب محمـود، فيلسـوفا و أديبـا و معلما " جامعة الكويت. كلية الآداب. قسم الفلسفة. الكويت 1987. ص 121

[13]– زكي نجيب محمود: "نحو فلسفة علمية" مكتبة الإنجلو المصرية. 1958 . ص: ز

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



إن المهمـــة التـــي يريـــد الـــدكتور زكـــي نجيـــب محمود في اقتـــران الفلســـفة بـــالعلم و هـــو يقـــول عـــن ذلـــك: " إننـــا لا نريـــد أن نقرن الفلسفة بالعلم بـــالمعنى الـــذي يـــورط الفلاســـفة فيمـــا لا شـــأن لهـــم بـــه مـــن شئون العلـــم، ولكننـــا نحـــب لهمـــا أن يقترنـــا بعـــدة معـــاني أخـــر؛ أولهـــا التـــزام الدقـــة البالغـــة فـــي اســـتخدامه الألفـــاظ و العبـــارات، التزامـــا يقـــرب الفيلســـوف من العـــالم فـــي دقـــة اســـتخدامه للمصـــطلحات العلميـــة، فـــإذا كـــان العـــالم يحـــدد على وجـــه الدقـــة مـــا يريـــده حـــين يقـــول "جاذبيـــة" و "ضـــوء" و "صـــوت" الـــخ فكـــذلك ينبغـــي للفيلســـوف ان يكـــون بهـــذه الأمانـــة نفســـها و بهـــذه الدقـــة نفســـها في اســـتخدامه لألفاظـــه الأساســـية الهامـــة، فـــلا يقـــول –مـــثلا– كلمـــة "نفـــس" أو كلمـــة "عقـــل" أو كلمـــة "خيـــر" الـــخ إلا و هـــو علـــى أتـــم العلـــم بحـــدود معناها."[14]

هكـــذا، إذن، فـــإن الفلســـفة " كمـــا يعرفهـــا و يـــدافع عنهـــا التجريبـــي المنطقـــي، لهـــا طـــابع منطقـــي لا تخـــرج عنـــه فهـــي ليســـت نظريـــة أو مـــذهبا، وإنمـــا هـــي نشـــاط، أعنـــي توضـــيحا للفكـــر. هـــذا الإيضـــاح يـــتم عـــن طريـــق

[14]– المرجع نفسه . ص 8

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



التحليـــل المنطقـــي للقضـــايا و تحليـــل معانيهـ لتحويـــل العبـــارات ذات المعنـــى إلـــى عبـــارة أخـــرى ذات معنـــى."[15] وبتعبيـــر الـــدكتور زكـــي نجيـــب محمـــود " فـــإذا أريـــد للفلســـفة بقـــاء، وجـــب أن تحصـــر نفســـها فـــي مهمتهـــا الحقيقيـــة الممكنـــة النافعـــة ألا و هـــي التحليـــل المنطقـــي للألفاظ و العبارات ."[16]

و يقـــول فـــي موضـــع آخـــر محـــددا العلاقـــة بـــين الفلســـفة و العلـــم، والمعنـــى الـــذي يجـــب أن يعطـــى للفلســـفة علـــى ضـــوء تلـــك العلاقـــة: " إن الفلســـفة بـــالمعنى المحـــدد الـــذي نريـــده لهـــا، لا تـــورط نفســـها فـــي مجـــالات العلوم الخاصة و لا تخلـــق لنفســـها مجـــالات أخـــرى غيـــر مجـــالات العلـــوم بـــل تجعـــل مهمتهـــا تحلـــيلا منطقيـــا للمـــدركات العلميـــة و القضـــايا العلميـــة، و بهـــذا تصبح الفلســـفة فلســـفة للعلـــم أي تصـــبح منطقـــا للعلـــم، أو تحلـــيلا لـــه؛ و هـــدفها هو التوضـــيح لا الإضـــافة الجديـــدة؛ فلـــيس هنـــاك مـــن عـــالم إلا عـــالم الواقـــع، و لـــيس لأحـــد أن يتحـــدث عـــن العـــالم حـــديثا موضـــوعيا إلا رجـــال العلـــوم المختلفـــة، و للفلســـفة أن تجـــيء بعـــد ذلـــك فتحلـــل و توضـــح؛ للعلـــم أن يقـــرر وللفلسفة أن توضح له ما يقرره."[17]

و الحق أننـــا كلمـــا أمعنـــا القـــراءة فـــي نصـــوص الـــدكتور زكـــي نجيـــب محمـــود لمســـنا تلـــك اللغـــة الفلســـفية الوضـــعية المنطقيـــة، و الفلســـفية التحليليـــة الانجليزيـــة علـــى وجـــه الخصـــوص، ولعـــل أبـــرز ســـمة يتســـم بهـــا الخطـــاب الفلســـفي عنـــد مفكرنـــا – إضـــافة إلـــى المفـــاهيم الأساســـية والمتداولـــة فـــي

---

[15]– هنتر ميد: "الفلسفة: أنواعها و مشكلاتها" ترجمة فؤاد زكريا. دار نهضة مصر. القاهرة 1969. ص 238

[16]– زكي نجيب محمود: "موقف من المتافيزيقا". دار الشروق. القاهرة. ط الرابعة 1993 . ص 36

[17]– زكي نجيب محمود: "نحو فلسفة علمية" مرجع سابق. ص 81

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الفلسفة التحليليـة و الوضـعية الجديـدة– هـو ا
الفلسـفية كليـة، و اعتبـار ذلـك مـن صـميم التأمـل الفلسـفي الميتـافيزيقي؛ كيـف لا و أحـد أهـم مميـزات الاتجـاه الوضـعي الجديـد هـو " حـرص أصـحابه علـى تطـوير مفـاهيمهم القاعديـة. فهـو إذن لا يمثـل نسـقا مكـتملا وتام الإنجاز، كمـا لا يمثـل مـذهبا مغلقـا ذا أسـس راسـخة و ثابتـة، بـل يمثـل بالأحرى تيارا تتواجد فيه عدة اتجاهات فلسفية و ابستيمولوجية."[18]

ولا نبـالغ، أبـدا، إذا قلنـا أن الفضـل كـل الفضـل يرجـع إلـى الـدكتور زكـي نجيـب محمـود فـي ترسـيخ هـذا النـزوع الفلسـفي و تمكـين دارسـي الفلسفة في بلـداننا مـن التعـرف علـى تلـك الأسـماء التـي حملـت لـواء ذلـك النزوع و التوجـه و هـي أسـماء كثيـرة مـن قبيـل براترنـد رسـل، و لودفيـع فتنشـتاين، و رودولـف كارنـاب، و ألفـرد آيـر، و إدوارد مـور ... وغيـرهم. و فـي اعتقادنـا الراسـخ أن الـدور الـذي قـام بـه زكـي نجيـب محمـود، كـان دورا حاسـما فـي التمهيـد لـيس فقـط، لتأصـيل القـول الفلسـفي الوضـعي الجديـد بـل فـي تأصـيل و تـوطين الـدرس الإبسـتيمولوجي بشـكل خاص.

و لا يهـم، فـي اعتقادنـا، إن كانـت الوضـعية المنطقيـة كفلسـفة قـد تراجعـت أو حتـى انـدثرت، و جرفتهـا تيـارات أخـرى فـإن " الـذي يحمـد لأنصار الوضـعية المنطقيـة هـو أنهـم ضـربوا مـثلا فـي ضـرورة أن يكـون التفكير دقيقا و أن تكون اللغة واضحة."[19]

[18]– سالم يفوت: "فلسفة العلم المعاصرة و مفهومها للواقع" دار الطليعة. بيروت. 1986. ص 109
[19]– عبد الله العمر: "اللغة و فلسفة العلم..." مرجع يابق. ص121

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



يقـول زكـي نجيـب محمـود مـدعما قو

للودفينـغ فتنشـتين مـن كتابـه "رسـالة منطقيـة فلسـفية"، موضـحا موضـوع الفلسـفة انطلاقـا مـن نزعـة تحليليـة بحتـة. يقـول: " "موضـوع الفلسـفة هـو توضـيح الأفكـار توضـيحا منطقيـا" هكـذا يقـول "وتجنشـتين"، و تقـول معـه الكثرة الغالبـة مـن فلاسـفة اليـوم و هكـذا أيضـا نريـد أن نقـول ونـدافع عـن القـول؛ فـأول مـا نريـد أن ننزعـه مـن الأذهـان هـو الاعتقـاد الباطـل بـأن الفلسفة لهـا "موضـوعها" الخـاص الـذي تبحـث فيـه. شـأنها فـي ذلـك شـأن سـائر العلـوم؛ لا بـل الفلسـفة تحليـل للعبـارة مهمـا يكـن مصـدرها. الفلسـفة طريقة بغير موضوع؛ إنهـا تأخـذ العبـارة التـي تحللهـا مـن هـذا العلـم أو مـن ذاك، بل قد تأخذها من أفواه الناس في حياتهم اليومية."[20]

إن هـذا النـزوع و هـذا التأصـيل، و إن كـان يسـتعير قاموسـا كـاملا مـن الألفـاظ ومفـاهيم الوضـعية المنطقيـة و الفلسـفية التحليليـة، فـإن فضـله علـى القـول الفلسـفي العربـي المعاصـر، خاصـة فـي اتجاهاتـه العلميـة، لا يعـد و لا يحصـى، و هـو مـا حـدا بأحـد البـاحثين إلـى الاعتـراف والإقـرار قائلا: "و ليس مـن شـك فـي أن الدراسـات المنطقيـة ستكتسـب بهـذا عمقـا لـم تكـن تعرفـه مـن قبـل. و هـذه هـي إحـدى الحسـنات التـي قـدمتها الفلسـفة الوضـعية المنطقيـة فـي للدراسـات الفلسـفية فـي بلادنـا. إذ يبـدو أن "مبحـث الألفاظ" الـذي كـان يـذكره المنـاطق العـرب فـي كتـبهم المنطقيـة علـى أنـه مجـرد مقدمـة للمباحـث المنطقيـة التـي تناولوهـا، سـيحتل مـن الآن –

[20]– زكي نجيب محمود: "موقف من الميتافيزيقا" . مرجع سابق. ص 17

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



وبفضـــل الفلســـفة الوضـــعية المنطقيـــة – مكـ
المنطقية المقبلة."[21]

ســـائرا علـــى خطـــى الفيلســـوف الإنجليـــزي ألفـــرد آيـــر ســـفير و ممثـــل الوضـــعية المنطقيـــة فـــي بريطانيـــا، يقـــدم لنـــا الـــدكتور زكـــي نجيـــب محمـــود تعريفا شيّقا للفلسفة الوضـــعية المنطقيـــة، مـــوجزا لنـــا إياهـــا فـــي أربعـــة محـــاور أساسية، قد لا يبـــدو جديـــد فيهـــا علـــى اعتبـــار أن ذالـــك التعريـــف قـــد نصـــادفه نفســـه فـــي نصـــوص فلاســـفة تحليليـــين و وضـــعيين منطقيـــين، إلا أن الجديـــد في اعتقادنا بالنســـبة لتعريـــف زكـــي نجيـــب محمـــود يكمـــن فـــي الصـــياغة التـــي يصوغ بواسطتها ذلـــك التعريـــف، فهـــو يقـــدم لنـــا لغـــة فلســـفية جديـــدة، ألفاظهـــا منتقـــاة بدقـــة، و عباراتهـــا تفصـــح و لا تضـــمر، و بنيتهـــا تحليليـــة بامتيـــاز... إن اللغة العربيـــة الفلســـفية التـــي كتـــب بهـــا نصـــه (ونصـــوص أخـــرى)، شـــكل في اعتقادنا فاتحـــة لتقليـــد لغـــوي فلســـفي عربـــي معاصـــر عنوانـــه لغـــة الفلســـفة العلميـــة و الـــدرس الابيســـتيمولوجي فـــي أحـــد أهـــم اتجاهاتـــه الوضـــعية والتحليلية.

يقـــول الـــدكتور زكـــي نجيـــب محمـــود مـــايلي ".. و الوضـــعيون المنطقيون علـــى اخـــتلاف نزعـــاتهم يجمعـــون علـــى نقـــط رئيســـية أهمهـــا أربـــع. (...) الأولـــى هـــي أن مهمـــة الفلســـفة تحليـــل لمـــا يقولـــه العلمـــاء و مـــا يقولـــه النـــاس فـــي حيـــاتهم اليوميـــة، لا تفكيـــر تـــأملي ينتهـــي بالفيلســـوف إلـــى نتـــائج معينة يصف بها الكـــون و مـــا فيـــه، و الثانيـــة هـــي نتيجـــة ترتبـــت علـــى النقطـــة الأولـــى، وهـــي حـــذف الميتافيزيقـــا مـــن مجـــال الكـــلام المشـــروع، لأن التحليـــل

[21]– يحيى هويدي: "الفلسفة الوضعية المنطقية في الميزان". مكتبة النهضة المصرية. القاهرة 1972. ص192.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



– تحليل عباراتها الرئيسية تحليلا منطقيا- من المعنى، أي أنها ليست بذات مدلول حتى يصح وصفها بالصواب أو بالخطأ، و أما النقطة الثالثة فهي اتفاقهم على نظرية "هيوم" في تحليل السببية تحليلا يجعل العلاقة بين السبب و المسبب علاقة ارتباط في التجربة لا علاقة ضرورية عقلية، (...) النقطة الرابعة و الأخيرة مما يتفق عليه الوضعيون المنطقيون جميعا و هي أن قضايا الرياضة – وكذلك قضايا المنطق الصوري– تحصيلات حاصل لا تضيف عن العالم الخارجي علما جديدا، فالقضية الرياضية مثل قولنا 2+2=4 إن هي إلا تكرار لحقيقة واحدة برمزين مختلفين، فالرياضة معادلات، و المعادلة معناها أن جانبيها متساويان، أي أن ما عبرنا عنه برمز معين في ناحية نعبر عنه هو نفسه برمز آخر في ناحية أخرى، و من ثم قيل إن قضايا الرياضة كلها تحليلية، أو تكرارية، و إذن فهي تحصيل حاصل، إذ أني أحصل نفي الشطر الثاني من المعادلة على نفس الشيء الذي حصلته في الشطر الأول منها، و لا يغير الموقف أن يكون ما حصلته في الشطر الأول مرموزا له، برمز معين، و أن ما حصلته في الشطر الثاني مرموز له برمز آخر، لكنه يساويه– تلك نتيجة خطيرة انتهت إليها تحليلات الوضعية المنطقية، لأنها تفسر يقين الرياضة، فالرياضة احتمالية لأنها تتعرض لوصف العالم الواقع، و من ثم جاز أن تتعرض للخطأ في وصفها."[22]

إن مثل هذا الترويج لمثل هذا القول الفلسفي كان شيئا جديدا في الفكر العربي المعاصر بكل المقاييس، و هو ما جعل منه في رأينا،

[22]– زكي نجيب محمود: "حياة الفكر في العالم الجديد". دار الشروق. القاهرة. 1982. ص: 238–239

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



مـــدخلا حقيقيـــا لتمثـــل الـــدرس الأبســـتيمولو
العقلانـــي منهجـــا و أســـلوبا فـــي فكرنـــا و ثقافتنـــا. "فكانـــت الوضـــعية المنطقيـــة مـــع زكـــي نجيـــب رســـالة تنويريـــة، و ســـبيلا إلـــى صـــحوة عربيـــة، بتوجيـــه الأنظار إلى الواقع بدقة و صرامة المنهج العلمي."[23]

إن الوضـــعية المنطقيـــة بهـــذا المعنـــى، تحولـــت مـــع الـــدكتور زكـــي نجيـــب محمـــود، إلـــى "إســـتراتيجية منطقيـــة"، كمـــا يقـــول أحـــد البـــاحثين، " تتجـــاوز التخصـــص، لتطبـــق علـــى كافـــة المجـــالات و المشـــكلات. و هـــي فـــي مفهوم زكي نجيب محمـــود غايـــة الفلســـفة التـــي لا غايـــة لهـــا غيرهـــا. فالفلســـفة لا يشترط لها موضـــوع معـــين تخـــتص بـــه لأنهـــا فـــي نظـــره مـــنهج يعـــالج بـــه الفيلســـوف مـــا شـــاء مـــن موضـــوعات العلـــوم و ســـائر جنبـــات الثقافـــة. (...) ولقد نظر زكي نجيـــب محمـــود إلـــى الحيـــاة الثقافيـــة مـــن حولـــه، فلامـــس عقمـــا في التفكيـــر حـــال دون الإبـــداع فـــرده إلـــى الطريقـــة الغامضـــة التـــي تســـتخدمها اللغـــة. (...) و تنتســـب إســـتراتيجيته المنطقيـــة إلـــى مجـــال أرحـــب مـــن المنطـــق، و هـــو فلســـفة اللغـــة، حيـــث تصـــاغ معـــايير المعنـــى و شـــروط الأداء."[24]

و نحـــن نتفـــق إلـــى حـــد بعيـــد مـــع الأســـتاذ حســـن حنفـــي و هـــو يقـــول منتقدا مواقـــف فلســـفية بعينهـــا عنـــد زكـــي نجيـــب محمـــود – " اختـــزال الغـــرب كلـــه فـــي العلـــم الطبيعـــي و كـــأن الغـــرب لـــم يعـــرف المثاليـــة و الميتافيزيقيـــا

[23]– يمنى طريف الخولي: "المنهج العلمي". في مؤلف جماعي "زكي نجيب محمود". إشراف و تقديم حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة .1998.

[24]– صلاح قنصوة: "الإستراتيجية المنطقية " في المرجع نفسه. ص: 357– 358 – 359

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



والتصـــوف و الرومانســـية فـــي الأدب و الفـــن الكـــل إلـــى أحـــد أجزائـــه. (...) اعتبـــار قـــيم العقـــل و الطبيعـــة و التقـــدم والحريـــة و الديمقراطيـــة قيمـــا غربيـــة و هـــم مُثـــل عصـــر التنـــوير لـــم تعرفهـــا باقي الشعوب الغربية مـــع أنهـــا قـــيم موجـــودة فـــي كـــل الحضـــارات بطريقـــة أو بـــأخرى كلهـــا أو بعضـــها كونفوشـــيوس تنـــوير بالنســـبة إلـــى ديانـــات الصـــين القديمـــة و بـــوذا تنـــوير بالمقارنـــة بالـــدين الهنـــدوكي القـــديم، والإســـلام تنـــوير بالنسبة إلى المسيحية و اليهودية السابقين عليه."[25]

و مـــع ذلـــك فـــإن مكانـــة زكـــي نجيـــب محمـــود فـــي الفكـــر العربـــي المعاصـــر لا يجـــب أن تقـــاس بهـــذا الموقـــف مـــن مواقفـــه أو ذاك، كمـــا لا يجـــب أن تـــربط، فقـــط، بدعوتـــه إلـــى الفلســـفة الوضـــعية المنطقيـــة، أو إعمالـــه البـــارع لتقنيـــات التحليـــل كفلســـفة و مـــنهج، فحســـب، بـــل يجـــب البحـــث عـــن مكانته الرفيعة و المتميـــزة فـــي إنفـــراده بالســـبق الفلســـفي فـــي تدشـــين وتأصـــيل الـــدرس الابســـتيمولوجي فـــي صـــياغته العربيـــة المعاصـــرة، حتـــى و إن كانـــت تلـــك الصـــياغة لا تعـــدو فـــي أحـــايين كثيـــرة عـــن صـــورة و انعكـــاس للفلســـفة التحليلية و الوضعية المنطقية في صياغتها الغربية.

إن السبق الذي انفرد بـــه مفكرنـــا يكمـــن أيضـــا فـــي " أنـــه كـــان أول مـــن قدم إلى الفكر العربـــي اتجاهـــا عريضـــا فـــي الفلســـفة الغربيـــة لـــم يكـــن معروفـــا لديه من قبـــل.و هـــو الاتجـــاه الوضـــعي المنطقـــي، و فســـره و أوضـــح ركـــائزه، بلغـــة بســـيطة مفهومـــة لا تستعصـــي عليهـــا أدق الأفكـــار و أعمـــق المفـــاهيم... و إنـــه دعـــا.. إلـــى الـــربط بـــين الفلســـفة و العلـــم المعاصـــر، مقتـــديا فـــي هـــذا

[25]– حسن حنفي: "عربيان بين ثقافتين قراءة و حوار". في المرجع نفسه. ص: 264–265

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



بالمحاولات التي قـام بهـا دعـاة الوضـعية المنط
اعتبـار أن الفلسـفة ليسـت، و لا ينبغـي أن تكـون منفصـلة عـن العلـم. و لقـد اقتضـاه ذلـك أن يهـتم بعـدة موضـوعات منهـا.. التحليـل (فلسـفيا كـان أو منطقيـا) بوصـفه أداة لنقـد المفـاهيم التقليديـة بـل واللغـة الفلسـفية (و خاصـة عبـارات الميتافيزيقـا التقليديـة) و كـذا اللغـة العلميـة فضـلا عـن تطبيقـه بالنسـبة لمختلـف المجـالات الثقافيـة.. و الاهتمـام بتوضـيح مفهـوم فلسـفة العلم، (...) ويكـاد يكـون الأسـتاذ رائـدا فيمـا كتـب عـن فلسـفة العلـوم فـي اللغـة العربيـة مـن وجهـة النظـر الوضـعية (...) و الاهتمـام بنقـد ألـوان التفكير غير العلمـي، و الـدعوة إلـى النظـرة العلميـة والعقلانيـة بوجـه عـام.. إنـه كـان صـاحب الفضـل فـي تقـديم و اسـتقرار كثيـر مـن المصـطلحات الخاصة بالفلسفة المعاصرة، و بالمنطق الجديد... ."[26]

**ثانيا: العقلانية و الأسلوب العربي في الابستيمولوجيا:**

كنـا قـد تحـدثنا فـي الفصـل الثالـث عـن مـا يمكـن أن ننعتـه ب "الأسـلوب الفرنسـي فـي الابسـتيمولوجيا " و قصـدنا بـذلك نوعـا مـن الصـياغة الفلسـفية و الابسـتيمولوجية فـي الفلسـفة الفرنسـية، لهـا خصوصـياتها و اختلافاتهـا فـي مقابـل صـياغة فلسـفية أخـرى تسـمى عـادة بالفلسـفة الأنجلوساكسـونية ، و تنضـوي تحتهـا اتجاهـات عديـدة، و علـى رأسها الفلسفة التحليلية.

[26]– عزمي إسلام: "د.زكي نجيب محمود و مكانته في الفكر العربي المعاصر". فـي مؤلـف جمـاعي "زكـي نجيـب محمـود فيلسـوفا و أديبا و معلما" مرجع سابق. ص36–37

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و إذا كنـــا قـــد حاولنـــا تتبـــع تطبيق

المعاصـــر فـــي المشـــهد الفلســـفي العربـــي المعاصـــر، فإننـــا حاولنـــا الوقـــوف عليها من خـــلال القـــول الفلســـفي فـــي عمومـــه و شـــموليته، و لكـــن أيضـــا مـــن خلال نموذج مهـــم و بـــارز فـــي ذلـــك المشـــهد، و هـــو نمـــوذج الفيلســـوف زكـــي نجيـــب محمـــود، و مثالـــه البـــارع فـــي التعامـــل و فهـــم و تطبيـــق الفلســـفة التحليليـــة و الوضـــعية المنطقيـــة فـــي الممارســـة و الأداء الفلســـفي العربـــي المعاصـــر و هـــو مـــا جـــاءت معـــه تلـــك الفلســـفة نموذجـــا و صـــياغة فريـــدة وجـــدت تربتهـــا الخصـــبة و الغنيـــة فـــي المشـــرق العربـــي بشـــكل خـــاص. فـــي حـــين توجـــه أهـــل المغـــرب العربـــي نحـــو خيـــارات فلســـفية مغـــايرة ومختلفـــة إلى حد ما، و هي مغـــايَرة و اخـــتلاف نابعتـــان فـــي الأســـاس مـــن عـــدة عوامـــل أهمهـــا المرجعيـــة المنهجيـــة و المعرفيـــة و اللغـــة التـــي صـــيغت بهـــا تلـــك المرجعية. و رغـــم أننـــا نعتـــرف تمامـــا، أن مثـــل هـــذا الكـــلام هـــو نســـبي فـــي عمومـــه و لا مطلقيـــة فيـــه، إيمانـــا منـــا أن المرجعيـــات ولغاتهـــا أصـــبحت– اليـــوم أكثـــر مـــن أي وقـــت مضـــى– متعـــددة و متنوعـــة و غنيـــة فـــي المشـــهد الفلســـفي العربـــي المعاصـــر بمشـــرقه و مغربـــه، إلا أننـــا نســـجل، دون تـــردد، أن هناك أســـلوبا فـــي الصـــياغة الفلســـفية لـــدى بـــاحثي و دارســـي الفلســـفة فـــي بلـــدان المغـــرب العربـــي، و خاصـــة فـــي المغـــرب الأقصـــى. فـــإذا كنّـــا نلمـــس توجهـــا واضـــحا و صـــريحا، فـــي نمـــوذج زكـــي نجيـــب محمـــود مـــثلا, نحـــو المرجعيـــة الانجلوساكســـونية، و اتجاهاتهـــا المنطقيـــة و فلســـفة اللغـــة والتحليـــل، فـــان الامـــر يختلـــف بالنســـبة للدراســـات و البحـــوث التـــي نصـــادفها فـــي جامعـــات بلـــدان المغـــرب العربـــي، فهـــي تنحـــو منحنـــى ابســـتيمولوجيا وتاويليـــا بـــالمعنى الـــذي نصـــادفه فـــي الفلســـفة الفرنســـية، و توقيعـــات أســـماء

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



بعينها داخلها، مثـل غاسـتون باشـلار و جـان دولـوز، و روبيـر بلانشـي، ولـوي التوسـر و غيـرهم. وهـو توجـه، وان جاء لأسـباب ثقافيـة و لغويـة، فهـو أيضـا يـدخل فـي بـاب التصـنيفات التـي تحـدثنا عنهـا سـابقا و التـي تقسـم الفلسـفة الغربيـة المعاصـرة إلـى فلسـفة تحليلية و فلسفة قارية .

و إذا كنا نلمـس بوضـوح و جـلاء حضـورا قويـا و حتـى هيمنـة، فـي الكثيـر مـن الأحيـان، لأسـماء مثـل كـارل بـوبر، و توماس كـوهن و بـول فيرابنـد، وايمـري لاكـاتوس، وقبـل ذلـك برتراند رسـل، ولودفيـغ فتنشـتين، في كتابـات و دراسـات أسـماء معروفـة مثـل الـدكتور عزمـي إسـلام، و عبـد القـادر مـاهر، وثابـت الفنـدي، ومحمـود فهمـي زيـدان، ومحمـد مهـران وغيرهم، فانه" لـم يحـي لـدنيا بـوبر بمـا فيـه الكفايـة، لنقصـيه مـن الحلبـة، فقيمته تضاهي قيمـة بشـلار, لـم يعـش طـومس كـوهن بـين ظهرانينـا لتتحـول نظريات في تاريخ العلـوم نظريـات لنـا. تحيـا جنبـا إلـى جنـب مـع نظريـات بشـلار و كـويري و غيرهمـا أو تـدخل فـي صـراع معهـا. أمـا تلميـذه المشاغب بـول فيربنـد فلـم يقـتحم بعـد قلاعنـا الوديعـة الهادئـة ليعبـث بهـا ويحـدث شـروخا بهـا. و لـن يستنشـق البحـث الابسـتيمولوجي بـالمغرب.. هواء جديـدا مـا لـم يحطـم تلـك القـلاع التـي تشـده شـدا إلـى أفـق بعينـه فيصاب بالعشى الليلي حتي في وضح النهار." [27]

و فـي هـذا السـياق , يمكـن القـول أن الممارسـة الابسـتمولوجية فـي المغـرب محكومـة بـأفق محـدد و محصـور, لا يحيـد عـن التصـور والمفهـوم

[27]– سالم يفوت: "البحث الابستيمولوجي و أفاقه بالمغرب" فـي "أعمـال نـدوة الفكـر الفلسـفي بـالمغرب" مرجـع سـبق ذكـره.ص 80-81.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الفرنسي للابستيمولوجيا، و هي بهذا المعنى و الشساعة التي تمنحنا إيّاها كل تلك الاتجاهات الابستيمولوجية المعاصرة في تعددها و اختلافها و تنوعها، و هي فوق هذا و ذاك تفتقر إلى المنحى الرياضي و المنطقي، و يطغى عليه الطابع التاريخي في ميدان فلسفة العلوم، و هو ما حدا بأحد أبرز الدارسين في مجال الدراسات الإبستيمولوجية إلى الاعتراف قائلا: "يبدو لي أن الدراسات الابستيمولوجية بالمغرب لا تزال في طور النشأة. وإذا انطلقنا من المنشورات المغربية في هذا الميدان نجد أن هذه الدراسات لا تتعدى عرض بعض المعلومات حول بعض القضايا الرئيسية المتداولة عادة في ميدان الابستيمولوجيا. أضف إلى ذلك أن الدراسات الابستيمولوجية بالمغرب كانت خاضعة لوجهات نظر بعض الباحثين الفرنسيين أو الناشرين بالفرنسية، كما كانت تمارس في إطار ميتافيزيقي أدبي، أي دون الاستعانة بالتقنيات النظرية الحديثة التي يستعين بها عادة فلاسفة العلوم مثل الرياضيات و المنطق الرياضي. لهذا في اعتقادي، لابد من إعادة النظر في كيفية ممارسة الابستيمولوجيا بالمغرب و ذلك بوضع برنامج عمل من طرف الباحثين المتخصصين في هذا الميدان."[28]

إن الحديث عن الدرس الابستيمولوجي المعاصر و تطبيقاته في الفكر العربي المعاصر يكاد يشبه الحديث عن تأصيل الفلسفة العربية المعاصرة، و هل هي إبداعية أم اتباعية.. و إذا كانت المواقف تتضارب و تختلف في شأن الدرس الفلسفي كما رأينا في الفصل السابق، فإن الأمر يختلف بشأن الكتابة الفلسفية في بعدها

[28]– عبد السلام بن ميس: "بعض القضايا الجديدة بالساحة الإبستيمولجية". في المرجع نفسه. ص150

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الابســـتيمولوجي، و لا نكـــاد نســـمع أصـــواتا إجمـــاع علـــى أن القـــول الابســـتيمولوجي عنـــدنا يكـــاد لا يعـــدو أن يكـــون اجترارا لكتابـــات مـــن الضـــفة الأخـــرى، أو هـــو فـــي أحســـن الأحـــوال تعامـــل انتقـــائي مـــع الـــدرس الابســـتيمولوجي الغربـــي المعاصـــر، و الاقتصـــار فيـــه على التوظيـــف، بمـــا يفـــي بـــالغرض و يخـــدم أهـــداف البحـــث عنـــدنا، للمفـــاهيم و المنـــاهج و الأدوات الإجرائيـــة التـــي ينتجهـــا الـــدرس الابســـتيمولوجي فـــي الفلسفة الغربية المعاصرة.

يقول الأســـتاذ محمـــد وقيـــدي فـــي هـــذا الصـــدد:" الفكـــر المغربـــي، بـــل العربـــي عامـــة، لا يؤســـس الابســـتيمولوجيا، بـــل يتعامـــل معهـــا كمجـــال تـــم تأسيســـه خارجـــه. و لا يقـــف الابســـتيمولوجي عنـــدنا مـــن جهـــة أخـــرى، علـــى منعطف فـــي تطـــور المعرفـــة العلميـــة يقـــوده بصـــورة موضـــوعية إلـــى تجديـــد فـــي التصـــور القـــائم عـــن مهـــام الابســـتيمولوجيا. (...) إن الفكـــر العربـــي المعاصر، بصـــفة عامـــة، كـــان فـــي حاجـــة إلـــى إدمـــاج هـــذا المجـــال المعرفـــي الجديـــد [الابســـتيمولوجيا] ضـــمن نســـقه المعرفـــي. وحيـــث إن مســـالة التأســـيس لـــم تكـــن هـــي المســـالة المطروحـــة هنـــا، و حيـــث أن الســـؤال لـــيس موضـــوعا استجابة لتحول معرفـــي، فـــان مثـــل هـــذا الســـؤال لا يعتبـــر فـــي واقعنـــا إنتاجـــا للمعرفة بقدر ما هو تعرف على معطيات معرفية قائمة قبله."[29]

و في تقييمـــه لمـــا ينـــتج فـــي مجـــال الابســـتيمولوجيا يقـــول أيضـــا الأســـتاذ وقيدي: " بهذا المعنى نقوِّم عـــددا مـــن الكتـــب التـــي صـــدرت عنـــدنا فـــي مجـــال الابســـتيمولوجيا. إنهـــا ليســـت إنتاجـــا لمعرفـــة جديـــدة، و لكنهـــا مجـــرد مـــداخل

[29]– محمد وقيدي: "جرأة الموقف الفلسفي". مرجع سبق ذكره.ص 96–97

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



لمعرفة قائمة أنتجت خارج أفقنا الفكري تمهد للابستيمولوجيا بكيفيات مختلفة. لقد حاولت هذه الكتابات مثلا إن تنفذ إلى تعريف الابستيمولوجيا عن طريق المقارنة بينها وبين بعض ميادين المعرفة الأخرى التي تجاورها أو تتقاطع معها من حيث الموضوع أم من حيث المنهج. فلسفة العلوم، فلسفة المعرفة، نظرية المعرفة، علم المناهج ، تاريخ العلوم ، المنطق ، الفلسفة علم نفس المعرفة، علم اجتماع المعرفة .."[30]

ومن خصوصيات التعامل المغاربي مع انجازات الدرس الأبستيمولوجي المعاصر والفلسفي بشكل عام ،هو انه تعامل إجرائي، بمعنى أنه لا يعمد إلى إعادة إنتاج ذلك الدرس محليا، بل هو يكتفي بتوظيف انجازاته من مفاهيم و مناهج..الخ، بما يتلاءم مع مقتضيات البحث ومتطلباته، وهكذا "لا تندرج الكتابة الفلسفية المغاربية في سياق الفلسفة بمعناه الكوني والشمولي؛ إنها تنمو على هامش تاريخ الفلسفة، وتساهم في صياغة مجراها الفكري في اتصال وانفصال عن هذا التاريخ. ومن الأمور التي تلفت النظر في هذا المضمار أن الكتابة الفلسفية المغاربية، وقد نشأت متأخرة بالمقارنة مع تبلور بعض التيارات الفلسفية في المشرق العربي، لم تنتج مدارس وتيارات تابعة للمدارس الفكرية الغربية،من قبيل الوضعية، والوجودية، والماركسية، والفلسفة التحليلية، الخ ...فلا وجود للمدارس والمذاهب الفلسفية الغربية في

[30]– المرجع نفسه. ص97

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



الإنتـــاج الفلســـفي المغـــاربي بـــالمعنى الـــذي بإعادة إنتاج فكر هذه المدرسة، بالعرض والشرح والتبسيط ."[31]

ولابـــد مـــن أن نســـتثني مـــن هـــذا الكـــلام شخصـــانية محمـــد عزيـــز الحبـــابي، التـــي كانـــت الكتابـــة الفلســـفية المغاربيـــة الوحيـــدة المعروفـــة والمقبولـــة فـــي المشـــرق العربـــي.. ولكـــن المهـــم فـــي كـــل هـــذا، هـــو أن الخصوصـــية الأبـــرز فـــي الكتابـــة الفلســـفية المغاربيـــة هـــو انفتاحهـــا وتـــداولها ضمن أجناس متعددة ومختلفـــة مـــن الكتابـــة، لـــيس فقـــط الفلســـفية، ولكـــن أيضـــا فـــي النقـــد الأدبـــي.[32] والعلـــوم الإنســـانية والاجتماعيـــة " فـــنحن نعتقـــد أن كثيـــرا مـــن النصـــوص الصـــادرة فـــي بلـــدان المغـــرب العربـــي، والمتعلقـــة بموضـــوعات تنتمـــي إلـــى حقـــل العلـــوم الإنســـانية والعلـــوم السياســـية والنقـــد الأدبي، تتضمن كثيـــرا مـــن المفـــاهيم الفلســـفية، و هـــو مـــا يعنـــي اتســـاع مجـــال الكتابة الفلسفية."[33]

إن مثـــل هـــذه الميـــزة والخصوصـــية هـــي التـــي جعلـــت أحـــد رواد الكتابة الفلســـفية فـــي المغـــرب العربـــي، يوضـــح ويؤصـــل لصـــيغة محـــددة فـــي التعامـــل مـــع الـــدرس الابســـتمولوجي المعاصـــر، لـــيس بـــالمعنى النســـقي الفلســـفي، ولكـــن بمعنـــى الاســـتعمال والتوظيـــف الإجرائـــي، الأمـــر الـــذي جعـــل مـــن تطبيقـــات الـــدرس الابســـتمولوجي تقتصـــر، بالنســـبة لمفكـــري ودارســـي المغـــرب العربـــي، علـــى صـــيغة فريـــدة للابســـتمولوجيا، تمـــتح مـــن التـــاريخ والعقلانية والفلسفة، ولكنها لا تنخرط في سياقاتها النسقية والمذهبية.

---

[31]– كمال عبد اللطيف: "قراءات في الفلسفة العربية المعاصرة". دار الطليعة بيروت. 1994. ص 130

[32]– نذكر على سبيل المثال: عبد الكبير الخطيبي، عبد الفتـــاح كيليطـــو، جمـــال الـــدين بـــن الشـــيخ، محمـــد مفتـــاح، عبـــد الوهـــاب بوحديبة... و غيرهم

[33]– كمال عبد اللطيف: المرجع نفسه . ص 131

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



يقـــول الجـــابري: إن الدراســـات الابســـ

أساسا و الفكر الابســتيمولوجي هــو فكــر نقــدي يقــوم علــى نقــد العلــم للكشــف عـــن مســـبقات الفكـــر العلمـــي وخطواتـــه و آلياتـــه. بهـــذا المعنـــى فالابســـتيمولوجيا هـــي مراقبـــة الفكـــر العلمـــي لنفســـه باســـتمرار، و بـــذلك فالدراســـات الابســـتيمولوجية تمكـــن الإنســـان، و نحـــن خاصـــة، مـــن الـــروح النقدية، مـــن هـــذا الـــذي نـــدعوه بالعقلانيـــة. (...) أمـــا الاســـتفادة التـــي يمكـــن أن نأخذها مـــن الابســـتيمولوجيا المعاصـــرة فـــي التعامـــل مـــع تراثنـــا تعـــاملا نقـــديا فأعتقد أنها كبيـــرة جـــدا، لأننـــا نكتســـب مـــن خلالهـــا روحـــا نقديـــة أولا، و ثانيـــا نكتســـب خبـــرة مـــن خـــلال الممارســـة النقديـــة للعلـــم و لتـــاريخ العلـــم، نتســـلح بمفـــاهيم، بـــأدوات عمـــل، نســـتطيع توظيفهـــا فـــي تراثنـــا توظيفـــا واعيـــا. طبعـــا مع احترام المجال الـــذي نوظفهـــا فيـــه، و عـــدم تحميـــل المفـــاهيم مـــا لا تحملـــه، الشيء الذي تمنعنـــا منـــه الابســـتيمولوجيا نفســـها مـــن حيـــث هـــي نقـــد المفـــاهيم، و لهذا النوع من التوظيف للمفاهيم."[34]

و يميـــز الجـــابري بـــين ابســـتيمولوجية وضـــعية و ابســـتيمولوجية عقلانيـــة، " لأن مـــا يســـمى بالابســـتيمولوجيا الوضـــعية أو الاتجاهـــات الوضـــعية فـــي الابســـتيمولوجيا المعاصـــرة هـــي أساســـا تنكـــر التـــاريخ و التراث و تبقى فـــي مســـتوى العيـــاني، التجريبـــي، و لـــذلك فهـــي لـــن تنفعنـــا فـــي شـــيئ، بينمـــا الابســـتيمولوجيا العقلانيـــة أو الاتجاهـــات العقلانيـــة فـــي الابستيمولوجيا تفيدنا في هذا المجال."[35]

---

[34]– محمد عابد الجابري: "التراث و الحداثة، دراسات و مناقشات ".المركز الثقافي العربي. بيروت. الدار البيضاء. 1991 . ص 258–259

[35]– المرجع نفسه ص 259

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



و تجـــدر الإشـــارة إلـــى أن الجـــابري ك

توظيـــف مفـــاهيم ومنـــاهج الـــدرس الابســـتيمولوجي، الفرنســـي تحديـــدا، فـــي الدراســـات الفلســـفية و بحـــوث التـــراث و الفكـــر و تـــاريخ الأفكـــار، و هـــو الأمر الـــذي جعـــل، تلامذتـــه[36] خصوصـــا (محمـــد وقيـــدي، ســـالم يفـــوت عبـــد الســـلام بـــن عبـــد العـــالي، الميلـــودي شـــغموم... الـــخ) يســـيرون علـــى نفـــس الخطى والتقليد، و اختيار الأسلوب الفرنسي في الابستيمولوجيا.

و يبـــرر الـــدكتور الجـــابري هـــذا الاختيـــار قـــائلا: " إن الابســـتيمولوجيا الفرنسية حاضـــرة أكثـــر، فـــي مـــا أكتـــب .. و هـــو راجـــع إلـــى عـــدة أســـباب، منها أســـباب ذاتيـــة ... و منهـــا أســـباب موضـــوعية. الأســـباب الذاتيـــة هـــي أننـــا في المغـــرب مرتبطـــون بالثقافـــة الفرنســـية أكثـــر ممـــا نحـــن مرتبطـــون بالثقافـــة الأنغلوساكســـونية أو غيرهـــا. أمـــا الأســـباب الموضـــوعية فتـــتلخص فـــي كـــون الأبحاث الابســـتيمولوجية فـــي فرنســـا هـــي أكثـــر مـــن غيرهـــا اهتمامـــا بالتحليـــل التـــاريخي التكـــويني، و بالنقـــد الفلســـفي العقلانـــي – إنهـــا أقـــل إمعانـــا فـــي الصـــورية و لـــذلك فهـــي، فيمـــا يخيـــل إلـــيّ، أكثـــر مـــلاءة لطبيعـــة الموضـــوع الـــذي أتعامـــل معـــه، موضـــوع التـــراث. أمـــا الابســـتيمولوجيا الانغلوساكســـونية

---

[36]– نذكر أطروحة محمـد وقيـدي: "فلسـفة المعرفـة عنـد غاسـتون باشـلار". دار الطليعـة بيـروت 1980، و كتابـه "مـا هـي الابسـتيمولوجيا؟". دار الحداثـة. بيـروت. 1983. و أطروحـة سـالم يفـوت: "فلسـفة العلـم المعاصـرة و مفهومهـا للواقـع". دار الطليعة . بيروت. 1986. و كتابه: "فلسـفة العلـم و العقلانيـة المعاصـرة". دار الطليعـة . بيـروت 1982. و كتابـه المشـترك مـع عبد السلام بنعبد العالي: "درس الابيستيمولوجيا".دار توبقـال. الـدار البيضـاء. 1985. و أطروحـة الميلـودي شـغموم حـول هنـري بوانكري ، بعنوان: "الوحدة و التعدد في الفكر العلمي الحـديث". دار التنـوير. بيـروت 1984.و هـي كلهـا أطروحـات جامعيـة تحـت إشراف الدكتور الجابري ...

و لكن رغم ذالك هناك توجهات في البحث الابستيمولوجي منفتحة تمامـا علـى الابسـتيمولوجيا الانجلوساكسـونية، مثـل أبحـاث عبـد السلام بن ميس، و بناصر البعزاتي، فضلا عن أبحاث و مشاريع الأستاذ طـه عبـد الـرحمن. بـل إن هنـاك توجهـا وضـعيا منطقيـا صريحا نجده في تونس، تمثلـه الأسـتاذة مليكـة ولبـاني، و تبنيهـا لوضـعية رودولـف كارنـاب و الفلسـفة التحليليـة و الفلسـفة النمساوية ...نذكر أطروحتها :

**Mélilka ouelbani : « le projet constructionniste de carnap ses origines et ses problèmes ». université de tunis I. 1992**

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



فهي كما نعرف جميعا قد اتخذت منحى هي فعلا ضرورية و مفيدة لشحذ الفكر و جعله يتمسك بالصرامة المنطقية ...إلخ غير أن مفاهيمها غير قابلة للتوظيف في الميدان الذي أعمل فيه، الابستيمولوجيا الأنفلوساكسونية وضعية، و النزعة الوضعية مضادة أصلا للتراث، للتاريخ."[37]

و إذا كان للكتابة الابستيمولوجية في المغرب، و اختياراتها، لها ما يبررها ذاتيا وموضوعيا – كما يقول الجابري – فإن الذي يطبع تلك الكتابة – في اعتقادنا – هو ما تضفيه على نفسها من ضوضاء وضجيج يبرزان أساسا في الطابع الترويجي والإشهاري الذي يطبع كتابات الباحثين و الدارسين في المغرب الأقصى، فهم يحيلون دوما على بعضهم البعض، ويكتبون عادة عن بعضهم البعض، دون أدنى إشارة إلى ما ينتج في المشرق العربي، أو حتى في تونس التي تتبلور فيها، في اعتقادنا، كتابة فلسفية وإبستيمولوجية في غاية الرصانة و الهدوء أيضا – أما في الجزائر فإن الكتابة الفلسفية الجادة و الابستيمولجية تحديدا فهي غائبة جملة و تفصيلا – و هو ما حدا بمفكر تونسي مرموق (و المفارقة أن الملاحظة و التشخيص تأتيان من مفكر تونسي و ليس من مثقف جزائري) – إلى الملاحظة و الوقوف على غياب تقاليد الفكر النقدي و الفلسفي قائلا " أما الجزائر من جهتها، فقد كانت مدة طويلة في مقدمة الأدب المغربي [المغاربي]. لكن الضرفية التاريخية جعلت التعبير الفرنسي يستعمل اليوم في هذا القطر بشعور الذنب، وهناك، من جهة أخرى تيار مبدئي يعادي الفكر، و هو موجود في صلب الدولة، فترتب

[37]– الجابري: "التراث و الحداثة..." المرجع السابق . ص293

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



عنـــه هجـــرة أكفـــأ العناصـــر. و أخيـــرا نلحـــ الجزائـــر و قطيعـــة طالـــت مـــع الإرث العربـــي الإســـلامي، فنـــتج عـــن هـــذا وجـــود تفـــوق واضـــح لأدب الخيـــال علـــى التفكيـــر التـــاريخي الفلســـفي المـــرتبط حتما بالعلوم الإنسانية."[38]

و مـــع ذلـــك فـــان الاختيـــارات الفلســـفية ممثلـــة فـــي تجربـــة بـــاحثي ودارســـي الفلســـفة فـــي المغـــرب العربـــي و الأقصـــى تحديـــدا، و التوظيـــف الابســـتيمولوجي لمفـــاهيم و أدوات الـــدرس الابســـتيمولوجي الغربـــي (الفرنسي) المعاصـــر، أصـــبحت تشـــكل، فـــي نظـــر الكثيـــر مـــن البـــاحثين عائقـــا حقيقيـــا فـــي وجـــه الانفتـــاح علـــى صـــيغ جديـــدة و متنوعـــة للكتابـــة الفلســـفية، انفتـــاح لا يمكـــن أن ينجـــز، دون عبـــور الحـــدود الشـــكلية والإجرائيـــة التـــي عادة مـــا يضـــعها الفكـــر الغربـــي بـــين أنمـــاط فلســـفية لديـــه (الفلســـفة التحليليـــة، الفلســـفية القاريـــة، الفلســـفة الأنغلوساكســـونية... الـــخ)، قـــد تفيـــده هـــو فـــي صـــياغة خطاباتـــه الفلســـفية و العقلانيـــة و الابســـتيمولوجية إلا أن تبنيهـــا مـــن قبلنـــا يجعلنـــا نُحـــرم مـــن نعمـــة الانفتـــاح و التعـــدد و التـــداخل و التكامـــل المعرفي في جميع تجلياته الفلسفية و العقلانية.

[38]– هشام جعيط: "الشخصـية العربيـة الإسـلامية و المصـير العربـي". ترجمـة المنجـي الصـيادي. دار الطليعـة بيـروت 1990. ص6

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

# خـــــــــاتمة

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



## خـــــــاتمة

لن نخلص في هذه الخاتمة إلى نتائج أو إستنتاجات بعينها، فالبحث في قضايا العقل و العقلانية، و ما يرتبط بهما من علم و فلسفة، أمر يمكن أن نباشر فيه القول، دون أن ندعي إغلاقه.

ومع ذلك هناك بعض الخلاصات التي إنتهينا إليها، و هي تهم، بالأساس، القضايا المرتبطة بتطبيقات العقلانية الغربية في الفكر العربي المعاصر. إن هذا الفكر بقي عاجزا، في اعتقادنا، عن إستلهام و تمثل العقلانية الغربية، ممثلة في الدرس الابستيمولوجي المعاصر، و بقي محدودا و قاصرا في التعامل إبداعيا مع مفاهيمها و مناهجها و أدواتها. بل إنه لم يتعد عتبة التأثر السلبي، في أغلب الأحيان، فجاء الكثير من تلك الإستلهامات والتمثلات صدى مبحوحا لمذاهب فلسفية، و اتجاهات، تعذر على الفكر العربي المعاصر الاستفادة إبداعيا من منطق اشتغالها، والوعي بالاستراتيجيات القابعة وراءه.

و مع ذلك، أمكن القول، أنه أصبح بالإمكان الاستئناس ببعض الاجتهادات التي مافتئت تروم الاجتهاد والتأصيل، و تؤسس لفهم و إدراك جديدين لمسألة العقل والعقلانية في بيئتنا العربية المعاصرة .. و ها هو الدكتور طه عبد الرحمن يُؤنسنا قائلا: "الشيء الذي يبقى ثابتا هو أنك عندما تختار مسلماتك وتختار قواعدك للاستنتاج من هذه المسلمات، ينبغي لك الإلتزام بها إلى النهاية في ترتيب النتائج عليها؛ فحينئذ، لا يبقى للعقل من معنى إلا كونه عبارة عن التقيد بالنسق الذي تختاره؛ فالعقل إذن عقول لا

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



بالمعنى القومي أو بالمعنى الفردي، و إنما بالمعنى فتعدد العقول بتعدد الأنساق. (...) العقل – على خلاف ما جرى به الإعتقاد عند العامة والخاصة على حد سواء – ليس ذاتا قائمة في الإنسان، و إنما هو فعل من الأفعال يصدُر عن الإنسان. (...) فلو كان العقل ذاتا ثابتة، لما تطور، (...) فلابد أن يكون فعلا، بل أن يكون أدلّ من غيره على الصبغة الفعلية " [1]

في هذا القول، و غيره، ما يجعل مستقبل العقلانية في بعديها الفلسفي و العلمي، مضمونة العواقب و النتائج، في ثقافتنا و فكرنا العربيين، إلى حد الاطمئنان و التفاؤل، المشوب، رغم ذلك، بالحذر.. فنحن يجب أن نبقى ملتزمين كل الحذر المعرفي و العلمي في تناولنا لمسألة العقلانية، في تربتيها الغربية و العربية ...

ومن أجل ذلك، لن نختتم القول، بل سنجعل آفاق البحث مفتوحة على مصراعيها، خاصة في شقه المرتبط بالفكر العربي المعاصر، الذي نحن واعون، تمام الوعي، أننا لم نفصّل فيه حديثنا و تحليلنا، وسنجعل من ذلك مشروعا مفتوحا سنعمل عليه مستقبلا في دراسات و بحوث قادمة...

و الله ولـــــــي التوفيـــق

[1]- طه عبد الرحمن: "حوارات من أجل المستقبل" مرجع سبق ذكره ، ص 60-61.

Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features

# قائمة المراجع و المصادر

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



## المراجع و المصادر باللغة العربية

1- إبراهيم زكريا: " دراسات في الفلسفة المعاصرة" مكتبة مصر، د ت .

2- ابراهيم زكريا: " كانت أو الفلسفة النقدية"، مكتبة مصر، القاهرة [د.ت].

3- ابراهيم زكريا: " هيجل أو المثالية المطلقة" مكتبة مصر، القاهرة، 1970.

4- إبراهيم عبدالله: "المركزية الغربية ، إشكالية التكون والتمركز حول الذات"، المركز الثقافي العربي، بيروت ، الدار البيضاء ، 1997 .

5- إسلام عزمي: "جون لوك" ، دار الثقافة ، القاهرة [د.ت].

6- اسلام عزمي:" اتجاهات في الفلسفة المعاصرة"، وكالة المطبوعات ، الكويت، ط أولى، د ت.

7- إمام عبد الفتاح إمام : "مدخل إلى الميتافيزيقا..." ، نهضة مصر ، ط1 ، 2005.

8- أمين عثمان: "شخصيات و مذاهب فلسفية"، دار الكتاب العربي، القاهرة، [د ت] .

9- أمين عثمان: "محاولات فلسفية "، مكتبة الأنجلو المصرية، 1953.

10- الأهواني أحمد فؤاد: " المعقول و اللامعقول ". سلسلة إقرأ. دار المعارف. القاهرة. عدد 328 . أبريل 1970

11- الأهواني أحمد فؤاد: "أفلاطون" سلسلة نوابغ لا الفكر الغربي، دار المعارف، مصر، ط رابعة [د ت]

12- ايرل وليم جيمس: "مدخل إلى الفلسفة" ترجمة عادل مصطفى ، مراجعة يمنى طريف الخولي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط أولى، 2005.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



13- أينشـــتين البـــرت – ليوبولداإنفلـــد: " تطـ محمـــد النـــادي و عظيـــة عاشـــور، مراجعـــة محمـــد مرســـي أحمـــد، مكتبـــة الانجلو المصرية، [ د ت].

14- باشلار غاستون: " حدس اللحظة"، ترجمة رضا عـــزوز، عبـــد العزيـــز زمـــزم، الدار التنونسية للنشر، 1986.

15- باشلار غاستون: " فلسفة الرفض"، ترجمـــة خليـــل أحمـــد خليـــل، دار الحداثـــة، بيروت، 1985.

16- بدوي عبد الرحمان: "ربيـــع الفكـــر اليونـــاني"، مكتبـــة النهضـــة المصـــرية. ط الثامنة، 1979،

17- بدوي عبد الرحمـــان:" التـــراث اليونـــاني فـــي الحضـــارة الاســـلامية.." وكالـــة المطبوعات الكويت. 1980

18- بشتة عبد القادر:" العقل العلمـــي فـــي عصـــر التنـــوير"، دار الطليعـــة، بيـــروت ،سنة 1997.

19- بشتة عبدالقادر :" الفلسفة و العلم مـــن كـــانط ونيـــوتن إلـــى الوضـــعية وحـــدود المعرفة الإنسانية"، دار الطليعة بيروت ،ط أولى، 2002.

20- بشته عبد القادر: " النسبية بـــين العلـــم و الفلســـفة"، المركـــز الثقـــافي العربـــي، الدار البيضاء، بيروت، 2002.

21- البعزاتي بناصـــر (و آخـــرون):" المفـــاهيم تكونهـــا و ســـيرورتها"، منشـــورات كلية الآداب والعلوم بالرباط، سنة 2000.

22- البعزاتي بناصر:" الاستدلال و البناء، بحث فـــي خصـــائص العقليـــة العلميـــة" ، دار الأمان، المركز الثقافي، الرباط، الدار البيضاء، 1999.

23- بلدي نجيب : " ديكارت " ، دار المعارف ، ط ثانية ، د ، ت .

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



بلدي نجيب: "دروس فـــي تـــاريخ الفلســـفة" دار ت
1997.

24- بن ميس عبدالسلام: " قضـــايا فـــي الابســـتمولوجيا والمنطـــق" ، شـــركة النشـــر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1 ، سنة 2000.

25- بن ميس عبدالسلام: "الســـببية فـــي الفيزيـــاء الكلاســـيكية والنســـبانية ، دراســـة ابستيمولوجيا " دار توبقال ، الدار البيضاء، ط أولى، 1994.

26- بنروبـــي ج ،: " مصـــادر و تيـــارات الفلســـفة المعاصـــرة فـــي فنرســـا" ج I، ترجمة عبد الرحمـــان بـــدوي، المؤسســـة العربيـــة للدراســـات و النشـــر ، بيـــروت، 1980.

27- بنعبد العالي عبد الســـلام – ســـالم يفـــوت:" درس الابســـتيمولوجيا" دار توبقـــال، المغرب، 1985.

28- بنعبـــد العـــالي عبـــد الســـلام: "أســـس الفكـــر الفلســـفي المعاصـــر –مجـــاوزة الميتافيزيقا"، دار توبقال، المغرب ، 2000.

29- بوبر كارل (و آخرون ): " في الفكـــر المعاصـــر (حـــوارات) " ترجمـــة محمـــد سبيلا، منشورات ما بعد الحداثة، فاس المغرب 2006،

30- بوبر كارل :" أسطورة الاطار، في دفـــاع عـــن العلـــم و العقلانيـــة"، ترجمـــة : يمنى طريق الخولي ، سلسلة عـــالم المعرفـــة، الكويـــت، عـــدد 292، أبريـــل ، مـــايو 2003.

31- بوبر كارل:" بحثا عن عالم أفضل"، ترجمة أحمـــد مســـتجير، الهيئـــة المصـــرية العامة للكتاب، القاهرة، 19965.

32- بوبر كـــارل:" منطـــق البحـــث العلمـــي"، ترجمـــة محمـــد البغـــدادي، المنظمـــة العربية للترجمة : بيروت ، 2006.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



33- بوترو اميل: " فلسفة كانط" ترجمـــة عثمـــان للكتاب، 1972.

34- تارسكي ألفراد: "مقدمة للمنطـــق و لمـــنهج البحـــث فـــي العلـــوم الإســـتدلالية"، ترجمة عزمي إسلام، مراجعة فـــؤاد زكريـــاء، الهيئـــة المصـــرية العامـــة للتـــأليف و النشر، 1970.

35- تايلور ألفـــراد إدوارد: "أرســـطو" ، ترجمـــة، د. عـــزت قرنـــي، دار الطليعـــة، بيروت، ط أولى، 1992.

36- تريمان سام: " من الذرة الى الكوارك نحو ثقافة علميـــة متقدمـــة لمواكبـــة علـــوم العصر و فلسفاتها، " ترجمة أحمد فؤاد باشا" سلســـلة عـــالم المعرفـــة، الكويـــت عـــدد 327 ماي 2006،

37- توفيق سعيد "أزمة الإبداع في ثقافتنـــا المعاصـــرة". مجـــد . المؤسســـة الجامعيـــة للدراسات. بيروت 2007.

38- الجابري محمد عابـــد: " الخطـــاب العربـــي المعاصـــر". المركـــز الثقـــافي فـــي العربي- الدار البيضاء ودائر الطلبعة- بيروت- طبعة أولى 1982.

39- الجابري محمد عابد: " مدخل إلـــى فلســـفة العلـــوم ، دراســـات ونصـــوص فـــي الإبســـتيمولوجيا المعاصـــرة" ، الجـــزء الثـــاني "المنهـــاج التجريبـــي وتطـــور الفكـــر العلمي" ، دار الطليعة بيروت ، ط الثانية ، 1982.

40- الجابري محمد عابـــد: "التـــراث و الحداثـــة، دراســـات و مناقشـــات ".المركـــز الثقافي العربي. بيروت. الدار البيضاء. 1991 .

41- الجابري محمد عابد:" مدخل إلـــى فلســـفة العلـــوم- تطـــور الفكـــر الرياضـــي و العقلانية المعاصرة" ج I، دار الطليعة، بيروت، 1982.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



42- جعيط هشـــام: "الشخصـــية العربيـــة الإســـلا
المنجي الصيادي. دار الطليعة بيروت 1990.

43- الحاج حسن وداد: " رود ولف كارنـــاب، نهايـــة الوضـــعية المنطقيـــة"، المركـــز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 2001.

44- الحاج كمال يوسف:" من الجوهر إلى الوجود، أو مـــن ديكـــارت إلـــى ســـارتر"، منشورات عويدات، بيروت، ط أولى ، 1958.

45- حسن حسين علي: " الأســـس الميتافزيقيـــة للعلـــم" ، دار قبـــاء، القـــاهرة، 2003
.

46- حلمي مطر أميرة "عن القيم و العقل في الفلسفة و الحضارة" عين للدراسات القاهرة 2006.

47- حمادي بن جاء بالله: "دراسات فلسفية، العلم في الفلسفة"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 1986.

48- حنفي حسن (و آخرون): " الفلســـفة فـــي الـــوطن العربـــي المعاصـــر" مركـــز دراسات الوحدة العربية، بيروت. 1985.

49- حنفي حسن (و آخرون): "حصـــيلة العقلانيـــة و التنـــوير فـــي الفكـــر العربـــي المعاصر" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. 2005.

50- حنفي حســـن: " قضـــايا معاصـــرة " ج ا فـــي فكرنـــا المعاصـــر. دار التنـــوير بيروت. 1983.

51- حنفي حسن: " مقدمة في علـــم الاســـتغراب"، المؤسســـة الجامعيـــة للدراســـات، بيروت، ط ثانية، سنة 2000.

52- حنفي: حسن " قضايا معاصرة – فـــي الفكـــر الغربـــي المعاصـــر"، دار التنـــوير ، بيروت، 1982.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



53- الخولي يمنى طريف (و آخرون): "زكـــي نج
حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة .1998.

54- الخولي يمنى طريف:" فلســفة العلــم فــي القــرن العشــرين" ، سلســلة عــالم المعرفة، الكويت، عدد 264، ديسمبر 2000.

55- دولوز جيل:" سيبونوزا ومشــكلة التعبيــر" ، ترجمــة أنطــون حمصــي ، دار أطلس ، دمشق ، ط أواى ، 2004.

56- دولوز جيل :"التجريبية والذاتية بحــث فــي الطبيعــة البشــرية وفقــا لهيــوم" ، ترجمة أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعيــة للدراســات ، بيــروت ، ط أولــى ، 1999 .

57- ديكارت رينه :" البحث عن الحقيقة بالنور الطبيعــي" ترجمــه وقــدم لــه ســفيان سعد الله ، راجعه حماد بن جاء بالله ، دار محمــد علــي للنشــر ، تــونس، ط أولــى ، 2006.

58- رسل براترند: " تاريخ الفلسفة الغربيــة "، الكتــاب الثالــث، الفلســفة الحديثــة ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977.

59- رسل براترند: "حكمــة الغــرب" IIج ، ترجمــة فــؤاد زكريــا، سلســلة عــالم المعرفة، الكويت، ديسمبر 1983.

60- رسل برتراند: " ألف باء النســبية" ، ترجمــة فــؤاد كامــل ، مراجعــة محمــد مرسي، دار الثقافة، القاهرة، 1965.

61- رسل برتراند: " مقدمة الفلســفة الرياضــية"، ترجمــة: محمــد مرســي أحمــد، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1980.

62- رسل برتراند: "تاريخ الفلسفة الغربية" ج I ترجمــة زكــي نجيــب محمــود، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، ط الثانية 1967 ،

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



63- رسل برتراند: "حكمة الغرب" ترجمة المعرفة، الكويت 1983،

64- زكريا فؤاد : " آفاق الفلسفة " ، دار التنوير ، بيروت / المركز الثقافي العربي ، بيروت – الدار البيضاء ، ط الأولى، 1988.

65- زكريا فؤاد: "اسبينوزا" ، دار التنوير ، بيروت ، ط الثانية ، 2005.

66- زكريا فؤاد:" التفكير العلمي" ، منشورات دار السلاسل، الكويت، 1985.

67- زيدان محمود فهمي: " من نظريات العلم المعاصر الى الموقف الفلسفية" دار النهضة العربية، بيروت، 1982.

68- زيناتي جورج "رحلات داخل الفلسفة الغربية" دار المنتخب العربي بيروت 1993

69- سالم يفوت:" المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر"، دار الطليعة. بيروت. 1999.

70- سبيلا محمد و عبد السلام بنعبد العالي في " الفلسفة الحديثة نصوص مختارة" ، دار الأمان، الرباط، 1991.

71- سبيلا محمد: " مدارات الحداثة، مقالات في الفكر المعاصر"، منشورات عكاظ ، المغرب، 1988.

72- سبينوزا "رسالة في اللاهوت والسياسة" ، ترجمة حسن حنفي دار الطليعة، بيروت، ط ثانية. 1981.

73- سلامة يوسف سليم: "المنطق عند أدموندهسرل، نظرية العلم" دار حوران، دمشق سوريا، ط أولى، 2002،

74- سيرو رينيه: " هيغل و الهيغلية" ترجمة أدونيس العكرة ، دار الطليعة، بيروت، 1993.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



75- شاخت ريتشارد في "رواد الفلسفة الحديثة " ، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

76- الشارني عمر: المفهوم في موضعه أو في العلاقة بين الفلسفة و العلوم" دار الجنوب، تونس 1992.

77- شالمرز آلان: " نظريات العلم" ، ترجمة الحسين سحبان و فؤاد الصفا، دار توبقال، المغرب، 1991.

78- عبد الرحمان طه: " الحق العربي في الاختلاف الفلسفي"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيؤوت.2002-

79- عبد الرحمان طه: " حوارات من أجل المستقبل" دار الهادي، بيروت، 2003.

80- عبد اللطيف كمال: "قراءات في الفلسفة العربية المعاصرة". دار الطليعة بيروت. 1994.

81- عبدالقادر: "الابستيمولوجيا، مثال فلسفة الفيزياء النيوتونية"، دار الطليعة ، بيروت ، 1995. بشته

82- عثمان أمين : "شخصيات ومذاهب فلسفية" ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، [د.ت].

83- العروي عبد الله (و آخرون): " أعمال ندوة الفكر الفلسفي بالمغرب المعاصر" منشورات كلية الآداب بالرباط، 1993،.

84- العروي عبد الله:" العرب و الفكر التاريخي" المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروتن 1998.

85- العمر عبد الله (و آخرون): " زكي نجيب محمود، فيلسوفا و أديبا و معلما " جامعة الكويت. كلية الآداب. قسم الفلسفة. الكويت 1987.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



86- غادامير هانز جورج: "بداية الفلسـفة" ترجمة ناظم،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط أولى 2002 ،

87- فتجنشتين لودفيج: " رسالة منطقية فلسفية"، ترجمـة عزمـي، إسـلام ، مراجعـة زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968.

88- فتغنشتاين لودفيك: " تحقيقات فلسفية" ترجمـة عبـد الـرزاق، بنـور، المنظمـة العربية للترجمة، بيروت، 2007 .

89- فخري د. ماجد: "أرسطو طاليس" دار المشرق، بيروت،ط الرابعة، 1999،

90- فضل الله مهدي: "مدخل إلى علم المنطـق (المنطـق التقليـدي) " دار الطليعـة، بيروت، ط4، 1990،

91- فوكو ميشل:" نظام الخطاب" ، ترجمـة محمـد سـبيلا، دار التنـوير، بيـروت، 1984.

92- كاريلو مانويل ماريا:" خطابات الحداثة" ، ترجمة إدريـس كثيـر و عـز الـدين الخطابي، منشورات دار ما بعد الحداثة، فاس- المغرب، 2001.

93- كانط: "مقدمة لكل ميتافيزيقـا مقبلـة يمكـن أن تصـير علمـا" تعريـب نـازلي اسماعيل حسين، مراجعـة عبـد الرحمـان بـدوي، دار الكتـاب العربـي، القـاهرة، 1967.

94- كرم يوسف "تاريخ الفلسفة الحديثة"، دار القلم، بيروت [د.ت].

95- كواريه ألكسندر:" ثلاثة دروس في ديكارت"، ترجمـة يوسـف كـرم، المطبعـة الأميرية، القاهرة، 1937.

96- كوبلستون فردريك: "تاريخ الفلسفة" المجلـد الأول، ترجمـة إمـام عبـد الفتـاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط أولى، 2002.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



97- كوبلستون فريدريك: "تاريخ الفلسفة"، المجلد أحمد، مراجعة و تقديم إمام عبد الفتاح إمـام، المجلـس الأعلـى للثقافـة، القـاهرة، ط أولى، 2003.

98- كوتنغهام جون: "العقلانية، فلسـفة متجـددة" ترجمـة محمـود منقـذ الهاشـمي، مركز الإنماء الحضاري، حلب سوريا، ط الأولى، 1997،

99- كون توماس:" بينة الثورات العلميـة"، ترجمـة شـوقي جـلال، سلسـلة عـالم المعرفة ، الكويت، ديسمبر 1992.

100- لايبنتز "المونادولوجيا"، و نصوص أخـرى تعريـب جـورج طعمـة، مكتبـة أطلس، ط2، دمشق، 1965.

101- لويس جون: "مدخل إلى الفلسفة"، ترجمـة أنـور عبـد الملـك، دار الحقيقـة، بيروت، ط الرابعة،1983.

102- ليبنيتز: "المونادولوجيا" ترجمة ألبير نصـري نـادر، اللجنـة الدوليـة لترجمـة الروائع الإنسانية (الأونيسكو)، بيروت، 1956.

103- ماجي براين تحريـر:" الوضـعية المنطقيـة و تركتها،رجـال الفكـر، مقدمـة للفلسفة الغربية المعاصرة". ترجمة نجيب الحصـادي، منشـورات جامعـة فـاريونس، بنغازي. 1998.

104- ماكيوز هربرت:" العقـل و الثـورة، هيغـل و نشـأة النظريـة الاجتماعيـة"، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1979.

105- مايير ميشال:" نحو قراءة جديدة لتاريخ الفلسـفة مـن الميتافيزيقـا الـى علـم السؤال" ترجمة عز الدين الخطابي – ادريس كثيـر منشـورات عـالم التربيـة، الـدار البيضاء2006.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



106- متس رودولف: الفلسفة الإنجليزية فـــي مائـ
مراجعة زكي نجيب محمود، ج II، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1967.

107- محمد علي عبـــد القـــادر مـــاهر: "فلســـفة التحليـــل المعاصـــر"، دار النهضـــة العربية، بيروت، 1985.

108- محمد هشـــام: " تكـــوين مفهـــوم الممارســـة الابســـتيمولوجية عنـــد باشـــلار"، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006.

109- محمود زكي نجيـــب: " ديفـــد هيـــوم" ، سلســـلة نوابـــغ الفكـــر الغربـــي ، دار المعارف، القاهرة ، [د.ت].

110- محمود زكي نجيب: "تجديد الفكر العربي" دار الشروق القاهرة 1980.

111- محمود زكي نجيب: "حياة الفكر في العـــالم الجديـــد". دار الشـــروق. القـــاهرة. 1982.

112- محمود زكي نجيب: "قصة عقل" دار الشروق. القاهرة . 1983 .

113- محمود زكي نجيـــب: "موقـــف مـــن المتافيزيقـــا". دار الشـــروق. القـــاهرة. ط الرابعة 1993 .

114- محمود زكي نجيب: "نحو فلسفة علمية" مكتبة الإنجلو المصرية. 1958 .

115- مدين محمد: " الحركة التحليلية فـــي الفكـــر الفلســـفي المعاصـــر، بحـــث فـــي مشكلة المعنى" دار الثقافة ، القاهرة، د ت .

116- المرزوقي ابو يعرب:"استيمولوجيا ارســـطو مـــن خـــلال منزلـــة الرياضـــيات في قوله العلمي " الدار العربية للكتاب , طرابلس, ليبيا , 1985 ,

117- المصباحي محمد (و آخـــرون): " المفـــاهيم تكونهـــا و ســـيرورتها" منشـــورات كلية الآداب بالرباط 2000نص 129 يناير-مارس 2001.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



118- مطـــر أميـــرة حلمـــي: "الفلســـفة عنـــد القاهرة،1968، ص86-87

119- مهران محمد: " فلسفة برتراند رسل"، دار المعارف، القاهرة، 1986.

120- موران إدغار: "الفكر و المستقبل، مدخل إلى الفكر المركب" دار توبقال الدار البيضاء 2004.

121- ميد هنتر: "الفلسفة: أنواعها و مشـكلاتها" ترجمـة فـؤاد زكريـا. دار نهضـة مصر. القاهرة 1969.

122- النشار مصطفى : "نظرية المعرفـة عنـد أرسـطو" – دار المعـارف بمصـر، ط الثالثة 1995

123- النشار مصطفى: "نظريـة العلـم الأرسـطية، دراسـة فـي منطـق المعرفـة العلمية عند أرسطو"، دار المعارف مصر، ط أولى،1986

124- نصار ناصيف: " مطارحات للعقل الملتزم:" دار الطليعة بيروت. 1986،

125- نصار ناصيف: "طريق الإستقلال الفلسفي" دار الطليعة بيروت 1986

126- ها بزنبرج فيرنر: " الفيزيـاء و الفلسـفة"، ترجمـة أحمـد مسـتجير، المكتبـة الأكاديمية، القاهرة، 1993

127- هابرماس يورغن: " المعرفة و المصلحة"، ترجمـة حسـن صـقر، مراجعـة: ابراهيم الحيدري، منشورات الجمل، ألمانيا، 2001.

128- هـايزنبرج قيرنـز: " المشـاكل الفلسـفة للعلـوم النووريـة" ترجمـة أحمـد مستجير، مراجعة محمد النادي، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة، 1973.

129- هشام محمد: "في النظرية الفلسـفية للمعرفـة، أفلاطـون –ديكـارت– كـانط" إفريقيا الشرق، الدار البيضاء– بيروت ، 2001.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



130- هوسرل إدموند: "الفلسفة علما دقيقا" ترجمة و للثقافة، القاهرة 2002

131- هويدي يحيى: "الفلسفة الوضـعية المنطقيـة فـي الميـزان". مكتبـة النهضـة المصرية. القاهرة 1972.

132- هيدغر مارتن:" مبـدأ العلـة"، ترجمـة نظيـر جاهـل ، المؤسسـة الجامعيـة للدراسات، بيروت.

133- وعزيز الطاهر: "المناهج الفلسفية". المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1990

134- وعزيز الطاهر: "تاريخ الفلسفة منهاجه و قضاياه "، شركة بابل الرباط، 1991

135- وقيدي محمـد: " بنـاء النظريـة الفلسـفية، دراسـات فـي الفلسـفة العربيـة المعاصرة"، دار الطليعة ، بيروت. 1990.

136- وهبة مراد: " المذهب عند كانط" ترجمه عن الفرنسـية، نظمـي لوقـا، مكتبـة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1974.

137- ياسين خليل: " مقدمـة فـي الفلسـفة المعاصـرة، دراسـة تحليليـة و نقديـة للاتجاهات العلمية في فلسفة القـرن العشـرين" ، منشـورات الجامعـة الليبيـة كليـة الآداب، سنة 1970.

13- يفوت سالم: " الفلسفة و الفكر العلمي" فـي مؤلـف جمـاعي:" الفلسـفة العربيـة المعاصرة" مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.2000.

139- يفوت سالم " فلسفة العلـم و العقلانيـة المعاصـرة" ، دار الطليعـة، بيـروت، 1982.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



140- يفوت سالم: "البحث الابســتيمولوجي و أفاق الفكر الفلسفي بالمغرب" مرجع سبق ذكره.

141- يفوت ســالم: "فلســفة العلــم المعاصــرة و مفهومهــا للواقــع" دار الطليعــة. بيروت. 1986.

142- يفوت سالم: مكانة العلم في الثقافة العربية" دار الطليعة : بيروت، 2006.

143- يفوت سالم:" سلطة المعرفة" دار الأمان ، الرباط، 2005.

## باللغة الفرنسية

1- Agazzi Evandro: « la spécificité de la philosophie des sciences Françaises au XX$^{e}$ siècle » in collectif « philosopher en français, langue de la philosophie et langue nationale », Puf, Paris, 2001,

2- Banardel Françoise: « L'irrationnel », ed : PuF. 1996.

3- Ben Guiza Tahar: « le rationalisant concordataire de la philosophie de Leibniz », université de tunis I .Faculté des sciences Humaines et sociales.2001

4- BENJABALLAH Hamadi: « le fondement du savoir dans le critique de la raison pure » faculté des sciences humaines et sociales , Tunis, ALIF, les éditions de la Méditérranée, Tunis 1997,

5- Blanché Robert : « La science actuelle et le Rationalisme », ed , PUF , 1967 ,

6- BRAUNSTEIN Jean François: « Bachlard, Canguilhem, Foucault, « le style Français » en epistémologie « in collectif, « les philosolhes et la science

7- Bunge Mario : « Epistémologie » .Traduit de l'Espagnol par : Hélène Donadieu .Maloine S.a. éditeur . Paris .1983.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



es d'histoire et de philosophie des sciences » vrin, Paris ,1968,

9- Dupuy Maurice : « La philosophie Allemande » , ed : PUF, 1980,

Etudes d'histoire et philosophie des sciences » Op.cit.,

10- Feyerabend Paul: « Adieu la raison » traduit de l'Anglais par : Baudouin Jurdant, Ed du seuil . Paris 1989.

11- Gourinat JEAN –Baptiste: « Platon et l'invention de la science » dans « les philosophes et la science » ouvrage collectif . ed Gallimard . 2002.

12- Heidegger Martin: « Hegel et son Concept de l'expérience » in « chemins qui ne mènent nulle part », Ed / Gallimard.Paris. 1962.

13- Hyppolite Jean : «figures de la pensée philosophique » T2, Puf.¨Paris, 1971,

14- Kant EMMANUEL: « critique de la raison pure », traduction de jules Barni, ed :Flammarion, 1976,

15- koyré Alexandre : Etudes Galiléennes, Hermann, paris , 1996 ,

16- Koyré Alexandre : « Etudes d'histoire de la pensée scientifique , Puf . Paris. 1966.

17- lecourt Dominique: l'épistémologie historique de G. Bachelard. vrin. Paris, 1974.

18- ouelbani Mélilka: « le projet constructionniste de carnap ses origines et ses problèmes ». université de tunis I. 1992

19- Saint-Sernin Bertrand: « La raison ».col :Que sais je ?.PuF.Paris.2003.

20- ULLMO JEAN : « la pensée scientifique moderne », ed : Flammarion, paris, 1969,

21- vernant Jean-Pierre: « mythe et pensée chez les grecs, études de psychologie historique » ed :F.M,Paris,1965, Vialatoux Joseph " L'intention philosophique " Ed : PUF , Paris . 1969.

Whitehad Alfred North : « La fonction de la raison ». Payot. Paris.1969.

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



fins psychiques » in collectif : « le rationnel et l'irrationnel ».Académie Tunisienne « Beït Al-Hikma ». Tunis.2000 .

## المعاجم و القواميس باللغة العربية

- "معجم أعلام الفكر الإنساني" إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984.
- عبد الرحمن بدوي "موسوعة الفلسفة" ج1 المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط الأولى 1984.
- عبد الرحمن بدوي: "ملحق موسوعة الفلسفة"، المؤسسة العربية للدراسات و النشر. بيروت 1996
- جميل صليبا: " المعجم الفلسفي" ج II ، دار الكتاب اللبناني بيروت 1982.

## باللغة الفرنسية

André Lalnde :vocabulaire philosophique .Ed PuF.Paris .1983

- Paul Foulquié : Dictionnaire de la langue philosophique. Ed : PuF. Paris.1982.

– Alain Lercher : les mots de la philosophie .ed : Belin .Paris .1985 .

## المجلات و الدوريات باللغة العربية

- عالم الفكر"، الكويت عدد 4، المجلد 30 أبريل – يونيو 2002.
- "عالم الفكر"، الكويت عدد 3 يناير – مارس 2001

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



- " الفكر العربي المعاصر"، عدد 29، ديسمبر،
- "المستقبل العربي"، عدد 114 . أوت 1988 .
- "المستقبل العربي".عدد 222، أوت 1997.
- "المناظرة "،العدد الأول 1989 . الرباط.
- "فكر ونقد"، عدد 4 .ديسمبر 1997 .الدار البيضاء .
- "قضايا عربية"، بيروت سبتمبر 1974، عدد 5 .

## باللغة الفرنسية

magasine litteraire, N$^{0}$416 janvier 2003, Sepecial leibniz ,

## مواقع الانترنت

www.nizwa.com/volume29

http//fr.wikipedia.org

Your complimentary
use period has ended.
Thank you for using
PDF Complete.
Click Here to upgrade to
Unlimited Pages and Expanded Features

# الفهـــــــرس

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



مقدمـــــــــة----------أ
مدخـــــــل عام----------1
في العقلانية و المفاهيم المجاورة----------1
أولا: في العقلانية و العقل .. و اللامعقول----------3
ثانيا: في الفلسفة و العلم .. و الابستيمولوجيا----------10
الفصـــــــل الأول----------15
العلم و العقل في الفلسفة اليونانية----------15
أولا: نظرية المعرفة قبل أفلاطون----------16
ثانيا: من لحظة سقراط الفلسفية إلى الفلسفة و العلم عند أفلاطون----------20
ثالثا: العقلانية و العلم عند أرسطو.----------27
رابعا: الفلسفة و العلم .. احتواء من أجل العقل----------37
الفصـــــــل الثاني----------42
الفلسفة الحديثة ونشأة العلم الحديث..العقلانية في بعديها العقلي والتجريبي ----------42
أولا:ديكارت وصياغة القول العلمي فلسفيا----------46
ثانيا: عقلانية سبينوزا وليبنتز..صياغة جديدة للقول الفلسفي ----------59
1- عقلانية سبينوزا.----------59
2-عقلانية ليبنتز.----------68
ثالثا : الثورة التجريبية وصياغة العقل بعديا..
لوك ، بركلي ، وهيوم، أو الفلسفة على المحك----------77
الفصـــــــل الثالث ----------86
تحولات العقلانية...
من الفلسفة (الميتافيزيقا) والعلم إلى الدرس الابستيمولوجي المعاصر ----------86
أولا: كانط وتجديد العقل.----------86
ثانيا: العقل المطلق، هيغل يشطب نمطية العلاقة بين الفلسفة والعلم.----------96

PDF Complete
Your complimentary use period has ended. Thank you for using PDF Complete.
Click Here to upgrade to Unlimited Pages and Expanded Features



ثالثا : الاتجاهات العلمية في الفلسفة المعاصرة..
العقل والعقلانية في القرن العشرين.----------104
1- فلسفة التحليل----------109
2- التجريبية المنطقية----------118
3- العقلانية والدرس الابستيمولوجي المعاصر----------125
4- الفلسفة والفيزياء----------137
5- الأسلوب الفرنسي في الابستيمولوجيا----------147
الفصـــــــل الرابع----------156
سؤال الفلسفة في الفكر العربي المعاصر..
بين تجليات العقلانية واستلهام الدرس الابستيمولوجي----------156
أولا: "الفلسفة العربية" المعاصرة....بأي معنى؟----------159
ثانيا: استلهام الدرس الابستيمولوجي المعاصر..
بحثا عن صياغة عربية للعقلانية----------172
الفصـــــــل الخامس----------191
الوضعية المنطقية و تطبيقاتها في الفكر العربي المعاصر ...
و الأسلوب العربي في الابستيمولوجيا----------191
أولا: الوضعية المنطقية و نموذج زكي نجيب محمود----------191
ثانيا: الأسلوب العربي في الابستيمولوجيا----------208
خـــــــاتمة----------219
قائمة المراجع و المصادر ----------221
الفهـــــــرس ----------238